

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية الآداب و العلوم الإنسانية
قسم الفلسفة

جامعة الحاج لخضر
باتنة

فلسفة العلامة عند مروان بارت الأسطورة و نسق الزي أنموذجاً

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة

إشراف الأستاذ الدكتور
عبد الله العشي

إعداد الطالبة:
نصيرة عيسى مبرك

السنة الجامعية: 2010-2011

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية الآداب و العلوم الإنسانية
قسم الفلسفة

جامعة الحاج لخضر
باتنة

فلسفة العلامة عند مروان بارت

الأسطورة و نسق الزبي أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة

إشراف الأستاذ الدكتور
عبد الله العشي

إعداد الطالبة:
نصيرة عيسى مبرك

لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
د/عبد المجيد عمراي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر - باتنة -	رئيسا
د/عبد الله العشي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر - باتنة -	مشرفا
د/ارشيد دحدوح	أستاذ محاضر - أ -	جامعة - قسنطينة -	عضوا
د/عبد المجيد دهوم	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر	عضوا
د/عبد الرحمان بوقاف	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر	عضوا

السنة الجامعية: 2010-2011

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّهِ اشْرَحْ لَهُ صَدْرِي وَبَسِّرْ لَهُ أَمْرِي

وَأُحْلِلْ عَقْبَةَ مَنْ لِسَانِي بِفَقْهُمَا قَوْلِي

صدق الله العظيم

المقامة
الفرحانية

إذا كان موضوع الفلسفة كما يراه هيجل هو الواقع في شموليته، فإنّ هذا الأخير تغذيه قنوات المشهد الاجتماعي و الثقافي و الفكري و الإعلامي العام، بكلّ ما تحمله الخطابات المستشرية فيها، من هالة و تلوينات و طقوسية، لذلك شكّل الواقع بكل تجلياته إشكالاً فلسفياً لدى العديد من الفلاسفة والمفكرين، كما هو الشأن بالنسبة للمفكر الفرنسي رولان بارت، الذي لم يتوقف عند حدود التعامل مع الواقع من حيث كونه إحالة على الوجود العيني المباشر فحسب، بل باعتباره فضاءً علاماتياً تسبح في مداه أنساق دلالية، تصنع عمقها الدلالي علامات على تنوعها و اختلافها، و المنفتحة على مستويات قرائية و استقرائية و تأويلية واسعة، تكشف عن وضوح و بدهة دلالتهما و معناها من جهة، و عن غموضها الأسر و كثافتها الدلالية و المفهومية المتحجبة بالضبابية و الالتباس من جهة أخرى.

فالتواجد الفعلي للعلامات و المدى الذي تغطيه من الواقع، و مختلف الظواهر التي تشتغل بوصفها كذلك، لا يقل أهمية و شأنًا من الحضور القوي للعلامة كمفهوم نظري و إجرائي، في كتابات بارت على مستويات متفاوتة. فالعلامة تتموقع ضمن زاوية مهمّة من حيّز الفكر البارقي على وجه العموم، و رؤيته السيميائية على وجه الدقة و التحديد .

ذلك أنّ العلامة البارتيّة لا تمنح نفسها كموضوع للوعي فقط، بل توفر للذات في الوقت نفسه إمكانية إعادة تفكيك رموزها و استبطان دواخلها، كما هو الحال بالنسبة لمعلمين علامتين أولاهما بارت أهمية بالغة : أساطير الواقع اليومي في تعدّدها و تلويناتها و غناها، ذات الارتباط العميق بالتطوّرات السوسيوثقافية، وكذا نسق لباس المودا. حيث عمد بارت إلى التسلّح بمقاربة تتعالى على المقاربة الوصفية، التي عمّمها الدّراسات البنيوية، و توجه في المقابل نحو تبني المقاربة السيميولوجية، في التعامل مع تحليل مختلف الأنساق الدلالية. هذا ما أدى بي إلى طرح مجموعة من التساؤلات أجملها في مايلي:

1- ما مفهوم العلامة عند رولان بارت؟

2- ما المدى الذي أعطاه بارت للعلامة؟

3- كيف استفاد بارت من سيميولوجيا النسق اللغوي عند اشتغاله بالأنساق الثقافية؟

4- ما مفهوم الأسطورة باعتبارها نسقاً سيميائياً بالمنظور البارقي ؟

5- كيف استطاع بارت تحليل نسق لباس المودا على أنه حقل دلالي؟

لأجل هذا، ارتأيت أن أتناول هذا الموضوع بالدّراسة و البحث، لعلّي أخرج منه بنتيجة علمية. و لقد وسمته

بـ: "فلسفة العلامة عند رولان بارت، الأسطورة و نسق المودا أنموذجا".

أسباب اختيار موضوع البحث:

و يعود اختياري لهذا الموضوع إلى أسباب ذاتية و أخرى موضوعية:

أ-السبب الذاتي: ويتمثل في الرغبة الشديدة في معرفة حقيقة العلامة منظورا إليها من زاوية دراسة و تحليل بارتية و ذلك بتسليط الضوء على أنموذجين يمثلان فضاء لهذه العلامة.

ب-الأسباب الموضوعية: و أجمالها فيما يلي:

1-تمكين القارئ من التعرف على بعض ملامح العلامة بالمفهوم البارتى.

2-قلة الدّراسات الفلسفية المعمّقة في هذا الموضوع، فرغم ضخامة المكتبة الفلسفية، إلّا أنّها تكاد تخلو من مثل هذه الدراسة، و حتى و إن وجدت فهي لا تعدو كونها مباحث صغيرة تدرج تحت مواضيع عامّة و معظمها خارج المجال الفلسفي، بالإضافة إلى ذلك فإن مادّة العلامة كموضوع، و كل ما يتعلق بها من مشكلات تقريبا محتواة في كتب اللغة.

3-الأهمية التي يكتسيها موضوع العلامة في الفلسفة، إذ أنه يمس بكيفية أو بأخرى العديد من المسائل الفلسفية، فهذا الموضوع قد تكتمل به بعض التصورات الفلسفية.

4-الخروج بالعلامة كموضوع، من حيز الدّراسات السّيميائية و اللغوية و الأدبية، إلى حقل الدّراسات الفلسفية، فما يحمله الموضوع من بعد و عمق فلسفيين، ذلك كله ما ولّد لدي الرغبة العلمية لتسليط الضوء على هذا الموضوع.

المحاور الرئيسية

قسّمت هذا البحث إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: و عنوانته بـ: "مصطلح العلامة"، و قد ضمّنته ثلاثة مباحث، كلّ مبحث تحته مطالب فرعية. تناولت في المبحث الأول التعريف بالعلامة، حيث تنطّرت لتعريفها اللغوي و في اصطلاح الفلاسفة و السّيميائيين. أمّا المبحث الثاني فتناولت فيه معنى العلامة من وجهة نظر أربع مدارس سيميائية، و هي: سيمياء

التواصل، سيمياء بورس، سيمياء الدلالة و سيمياء الثقافة. و تناولت في المبحث الثالث أنواع العلامة باعتبار علاقتها بما تشير إليه أو تحيل عليه، ممثلة في الأيقونة، المؤشر و الرمز.

الفصل الثاني: و عنوانته بـ: "مصطلح العلامة عند رولان بارت" و قد ضمّنته مبحثين، كلّ مبحث مقسّم إلى مطالب. فالمبحث الأول عرضت فيه تعريف العلامة من وجهة نظر بارت، و عناصرها المؤلفة لها أي الدال و المدلول. و في المبحث الثاني عرضت الأنظمة الثنائية المتمفصلة ذات الارتباط المباشر بالعلامة ، و المتمثلة في الثنائيات التالية: اللسان و الكلام، المركب و النظام ، التقرير و الإيجاء.

الفصل الثالث: و عنوانته: "الأسطورة كنسق سيميائي لدى رولان بارت"، و قد جعلته في مبحثين. الأوّل في تعريف الأسطورة البارتية و علاقتها باللغة، و كيفية قراءتها و فك رموزها. و المبحث الثاني تناولت فيه الأسطورة ككلام غير ميسّس، إضافة إلى أنواع الأساطير من ناحية التّصنيف الإيديولوجي البارتي لها، و المتمثلة في الأسطورة اليمينية و الأسطورة اليسارية.

الفصل الرابع: و عنوانته بـ: "نسق المودا كبنية دلالية لدى رولان بارت"، و جعلته في مبحثين. الأوّل في البنيات اللباسية و أنظمة لباس الكتابة هذا الأخير الذي اختاره بارت ليكون محل دراسة و تحليل ، أما الثاني ففي التحليل البلاغي للباس المودا حيث تنطّرت فيه لتعريف العلامة اللباسية و النظام البلاغي الذي حلل بارت بناءً عليه العلامة اللباسية بوحداتها و المتمثلة في الدال و المدلول اللباسيين.

هذا وقد حرصت أن أبدأ كل فصل بتمهيد، أوضح من خلاله ما سأبحثه، و أختمه بعرض ما توصّلت إليه من نتائج.

الخاتمة: و ختمت هذه الدراسة بعرض النتائج التي توصّلت إليها.

المنهج المنبع في الدراسة

اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع المنهج التحليلي، الذي يتناسب مع طبيعة الموضوع، و الذي تقتضيه تقريباً كلّ دراسة فلسفية.

المصادر والمراجع

حرصت في هذا البحث أن أعتمد على أهمّ المصادر و المراجع المتعلقة بالموضوع، فبالنسبة للمصادر،

اعتمدت على مؤلفات رولان بارت ذات الصلة المباشرة بالموضوع، أمّا بالنسبة للمراجع، فقد تنوّعت بين كتب الفلسفة و اللغة، و إن كانت المراجع السيميائية هي الطاغية على البحث، فهذا راجع لطبيعة الموضوع لأن أغلب مادّته متناثرة في كتب السيميائية، على اعتبار أن العلامة و ما يتعلّق بها من مسائل تعد لبنة أساسية للحقل السيميائي.

أمّا أهمّ المصادر التي اعتمدت عليها فهي:

1- مبادئ في علم الأدلة، لرولان بارت، ترجمة محمد البكري.

2- أساطير، لرولان بارت.

3- نسق المودا، لرولان بارت.

4- درس السيميولوجيا، لرولان بارت.

أمّا بالنسبة لأهم المراجع المعتمدة في البحث فهي:

1- السيميائيات و التأويل، لبنكراد سعيد.

2- السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها، لبنكراد سعيد.

3- العلامة تحليل المفهوم و تاريخه، لأمبرتو إيكو، ترجمة بنكراد سعيد.

4- دروس في السيميائيات، لحنون مبارك.

الصُّعُوبات:

لا يخلو أي بحث علمي من الصُّعُوبات، و من العراقيل التي واجهتني هي قلة المراجع التي تهتم بموضوع العلامة عند بارت، على وجه التحديد، و التي تكاد تنعدم. كما أن أسلوب كتابات بارت، صعب مهمة ترجمتي للمصادر الأساسية المتعلقة بموضوع البحث إلى اللغة العربيّة.



المبحث الأول: تعريف العلامة.

المطلب الأول: التعريف اللغوي للعلامة.

المطلب الثاني: العلامة في اصطلاح الفلاسفة.

المطلب الثالث: العلامة في اصطلاح السيميائيين.

المبحث الثاني: العلامة في المدارس السيميائية.

المطلب الأول: العلامة في سيمياء التواصل.

المطلب الثاني: العلامة في سيمياء بورس.

المطلب الثالث: العلامة في سيمياء الدلالة.

المطلب الرابع: العلامة في سيمياء الثقافة.

المبحث الثالث: أصناف العلامة.

المطلب الأول: الأيقون.

المطلب الثاني: المؤشر.

المطلب الثالث: الرمز.

مُتَهَيِّدٌ:

يحيا الانسان في وسط عالم علاماتيّ، حيث تحيط به العلامات و الأنساق الدلالية، بكلّ ما تحمله من رموز و دلالات من كل ناحية. و بصرف النظر عن نوع أو طبيعة العلامات، فإنّ هذه الأخيرة تتأرجح بين الانتاج و القراءة، أو بين الابداع و التلقّي، فقد تنتج العلامة بصورة تلقائية عفوية بعيداً عن أي مقصد أو غاية، و قد يكون إبداعها لأغراض أو أهداف مسطّرة و محدّدة مسبقاً. و الشأن ذاته بالنسبة للتلقّي، فقد يكون بريئاً دون وعي، كما قد يكون مقصوداً.

و على اعتبار أنّ هذا الفصل هو المدخل، بالنسبة لبحث يتناول بالدراسة بعض ملامح العلامة و تجلياتها، من وجهة نظر المفكر الفرنسي رولان بارت، كان من الضروري أوّلاً التعريف بالمصطلح الأساسي لهذا البحث، و تبيان أنواعه. و قد كان هذا هو مدار دراستي في هذا البحث، فتحديد المفهوم اللغوي للعلامة و معناها في الإصطلاح الفلسفيّ و السيميائيّ، هو من الأهميّة بمكان. فضلاً عن الوقوف عند بعض أنواع العلامة، و التي عادة ما تستخدم على أساس أنّها مجرد كلمات مرادفة لمصطلح العلامة.

وقد عقدت لبيان ما سبق ذكره و غيره ثلاثة مباحث، فالأول تناولت فيه معنى العلامة لغةً، و في اصطلاح الفلاسفة و السيميائيين. أمّا الثاني فتطرقت فيه لمعنى العلامة من منظور أربع مدراس سيميائية كبرى، لاختلافها في وجهة النظر. أما المبحث الأخير فقد ضمته أنواع العلامة المتمثلة في الأيقون، الإشارة و الرمز، حيث تتّضح بعض الفروقات الأساسية الموجودة بين هاته المصطلحات الثلاثة.

المبحث الأول: تعريف العلامة.

المطلب الأول: التعريف اللغوي للعلامة.

العلامة: "Signe"، باللغة الفرنسية، مأخوذة في أصلها الاشتقاقي من الكلمة اللاتينية "Signum"، وهي تعني الإشارة أو الرمز أو كل ما يسمح بالمعرفة، التوقع و التنبؤ، أو هي حركة أو إيحاء... إلخ يسمح بالتعرف على شيء ما و التواصل.¹

و العلامة "Signe"، كما ورد تعريفها في المعجم اللغوي الفرنسي "Hachette"، هي كل شيء يكون بمثابة إشارة تدل على شيء آخر، بحيث تذكر به و تعلن عنه كالحمي التي تعتبر عادة علامة على المرض، أو هي كل ما يستعمل اصطلاحاً بغرض التمثيل، الإشارة و التحديد، أو هي حركة تسمح لشخص ما بالتعرف على شيء ما كما هو الحال بالنسبة لعلامات عدم الرضا، كما أنها كل موضوع أو ظاهرة ترمز لشيء آخر، و العلامات إما أن تكون لفظية أو غير لفظية.²

أما العلامة كما ورد تعريفها في المعجم الفرنسي "Le Grand Robert" فهي كلمة مشتقة من اللغة اللاتينية، و تعود في أصلها إلى كلمة "Signum"، وهي تعني كل شيء مادي يسمح بالاستدلال على وجود شيء آخر، و الشيء المادي الممثل للعلامة قد يكون وجهها، أو حركة، أو لوناً... إلخ.³

و العلامة "Sign" كما ورد تعريفها في المعجم الإنجليزي "Oxford"، فهي مأخوذة عن الكلمة اللاتينية "Signum"، و تعني حدثاً أو فعلاً أو ظاهرة، تشير إلى وجود شيء ما أو حدوثه أو إمكانية حدوثه في المستقبل، و هي مرادفة للإشارة.⁴

أما العلامة في اللغة العربية فهي السمة و الجمع علام، كقول عامر بن الطفيل:

عَرَفْتُ بِحَوْ عَارِمَةَ الْمُقَامَا بِسَلَمَى أَوْ عَرَفْتُ بِهَا عَلَامَا

فظهر عيسى عليه السلام على سبيل المثال، هو علامة أي سمة تدل على اقتراب الساعة، و العلامة قد ترد بمعنى الشيء الذي ينصب في الفلوات، تهتدي به الضالة و يقال عَلِمَهُ و يَعْلِمُهُ عَلَماً، و سَمَهُ و عَلَّمَ نفسه و أَعْلَمَهَا، و سمها بسمات الحرب، و يقال رجل مُعْلِم إذا عرف مكانه في الحرب بعلامة، كما يقال: أَعْلَمَ حمزة يوم بدر، و

¹ Le petit Larousse Illustré, dictionnaire français, éd, librairie Larousse, Canada, 1990, p 940.

² Hachette, dictionnaire français, éd, Institution nationale des arts, Algérie, 1993, p1512.

³ Le Grand Robert, dictionnaire français, imprimé en France, pub2, 2001, p 1502.

⁴ Oxford advanced learners dictionary, oxford university press, 6th ed, 2000, p1245.

منه قوله:

فَتَعَرَّفُونِي إِنِّي أَنَا ذَاكُمْ شَاكٌّ سِلَاحِي فِي الْحَوَادِثِ مُعَلِّمٌ⁵

و ما يمكن استخلاصه من خلال ما سبق تقديمه من تعريفات للعلامة، كما هي واردة في المعاجم الأجنبية أو المعجم العربي، أنها و إن كانت تختلف في بعض التفسيرات، فإنها تتفق جميعا في تعريف العلامة بأنها: أي شيء يقوم مقام شيء آخر للدلالة عليه أو تمثيله.

⁵ ابن منظور: لسان العرب، إعداد و تصنيف يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت، (د.ط.)، (د.ت)، مج 3، ص 1358

المطلب الثاني: تعريف العلامة في اصطلاح الفلاسفة.

عرّف الفلاسفة العلامة بتعريفات مختلفة منها:

أولاً: العلامة عند أرسطو

عرفها "أرسطو" "Aristote" من خلال قوله: "إن الألفاظ دالة أو رموز للمعاني التي في النفس، كما أنّ الحروف التي تكتب هي دالة على هذه الألفاظ"⁶. تكلم أرسطو هنا عن العلامة بوصفها مرادفة للرمز، وأنّ الرموز في النسق اللساني على الأقل تتشكل من الكلمات، التي تتحدد على اعتبارها علاقة تربط بين ثلاثة حدود، الأصوات وأحوال النفس والأشياء. وتستخدم الحد الأول كوسيط ما بين الحد الثاني والثالث، أما الأشياء فهي متطابقة مع نفسها دوماً، وأيضاً أحوال النفس، لأنّ كل واحد منهما يكون مستقلاً عن الأفراد. كما أنّ المعاني التي في النفس خلافاً للحروف والكلمات، هي أمثلة أو صور أو "أيقونات" للموجودات وفقاً للاستعمال المعاصر.⁷

وبتحديده للفارق بين الكلمات والمعاني التي في النفس، يؤكد بطريقة تكاد تكون عفوية، بأنّ الكلمات والحروف هي بلا شك وقبل كل شيء، علامات للمعاني التي توجد في النفس، وهذا تأكيد على المماثلة عنده بين مفهوم الرمز "Symbole" ومفهوم العلامة. كما أنّه يستعمل كلمة "ألفاظ" أي علامات، بمفهوم واسع يكاد يكون استعارياً.

ويعتقد أرسطو في هذا السياق أنّ الألفاظ ليست واحدة بعينها عند جميع الأمم، أي أنّ الألفاظ والحروف توضع أو تنشأ عن طريق التواضع، وقد قسّم العلامات إلى صنفين مختلفين:

الصنف الأول: وهو بحسب النطق اليوناني "تكمريون"، بمعنى دليل ويمكن أن يترجم بعلامة ضرورية.

والصنف الثاني: هو العلامة الضعيفة، وقد قدم على الصنف الأول للعلامة مثالين وهما، أنّ من لديه حمّى فهي علامة على المرض، وأنّ من لديها حليب هو علامة على أنّها قد ولدت.⁸

فالعلامة عند أرسطو هي الشيء الذي يؤدي وجوده، أو إنتاجه إلى وجود أو إنتاج شيء آخر، سواء كان سابقاً أو تالياً.⁹

⁶ أرسطو: في التأويل، ترجمة ابن رشد، تحقيق جبرا جهامي، دار العودة، بيروت، (د.ط)، 1988، ص 84، 85

⁷ طائع الحداوي: سيميائيات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص 336

⁸ أمبرتو إيكو: السيميائية و فلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2005، ص 74، 75

⁹ طائع الحداوي: المرجع السابق، ص 337

ثانياً: العلامة عند ابن سينا

يقول ابن سينا: "إن الإنسان قد أوتي قوة حسية، ترسم فيها صور الأمور الخارجية، وتتأتى عنها إلى النفس، فترسم فيها ارتساماً ثانياً ثابتاً، وإن غابت عن الحس... ومعنى دلالة اللفظ، أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم، ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع، لهذا المفهوم فكلما أوردته الحس على النفس التفتت إلى معناه".¹⁰

ومن هنا يلاحظ المتأمل ويدرك أن تصور ابن سينا لدلالة اللفظ، يتوافق مع ما ذهب إليه "دو سوسير" "Ferdinand de Saussure" في تفسير العلامة، فالعلامة في نظر ابن سينا هي ثنائية المبنى تتكون من مسموع اسم ومعنى. ملغياً بذلك من مفهوم العلامة الواقع الخارجي أو المرجع الذي تستند إليه العلامة، وذلك ما فعله دو سوسير أيضاً على عكس ما هو عند بعض الدارسين الأقدمين، حين يكون المرجع طرفاً أساسياً في العلامة.

وقد أكد ابن سينا على أهمية وجود العلامات في حياة الإنسان، من أجل تحقيق التواصل.¹¹ و يتبين ذلك من خلال قوله: "لما كانت الطبيعة الانسانية محتاجة إلى المشاركة، والمحاورة فانبعثت إلى اختراع شيء يتواصل به... فمالت الطبيعة إلى استعمال الصوت، ووفقت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معاً، لتدل بها على ما في النفس من أثر. ثم وقع اضطراب ثان إلى إعلام الغائبين من الموجودين في الزمان، أو المستقبلين إعلامياً بتدوين ما علم، فاحتيج إلى ضرب آخر من الإعلام فاخترعت أشكال الكتابة".¹²

ولم يكن "أغسطين" "Augustin" بعيداً عن ابن سينا، في اعتباره هو الآخر أن وظيفة العلامة اللغوية تتمثل في السماح للبشر بالكشف عن تفكيرهم والتواصل بشكل مؤسس "إذ بواسطة الكلمات أستطيع نطق العلامات، ولكن من الصعوبة أن أوضح الكلمات بطريقة العلامة غير اللغوية، ومن أجل توضيح الكلمات كان الأمر ضرورياً لإيجاد حروف ترمز إلى الكلمات حينما تجتمع بشكل مفهوم".¹³

ثالثاً: العلامة عند الغزالي

عرّف الغزالي العلامة من خلال قوله: "إن للشيء وجوداً في الأعيان ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ ثم في الكتابة، فالكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي هو في النفس مثال الوجود في الأعيان، والوجود في الأذهان والأعيان لا يختلف باختلاف البلاد والأمم، بخلاف الألفاظ والكتابة فإنهما دالتان بالوضع والاصطلاح".¹⁴ انطلاقاً من هذا القول نجد أن العلامة عند الغزالي تتألف من أطراف أربعة أساسية، هي

¹⁰ ابن سينا: العبارة، تحقيق محمد الخضير، القاهرة، (د.ط.)، 1790، ص 4، 3

¹¹ ينظر الموقع: http://www.aljahidhiya.asso.dz/Revues/tebyin_20/Elalama_fiellisaniyate.htm

¹² ابن سينا: المرجع السابق، ص 5

¹³ بشير خليفي: الفلسفة وقضايا اللغة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص 40

¹⁴ الغزالي: معيار العلم، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط2، (د.ت)، ص 35، 36

الموجود في الأذهان، الموجود في الأعيان، الموجود في الألفاظ والموجود في الكتابة .

فالعلاقة بين الموجود في الألفاظ (الدّال) والموجود في الأذهان (الفكرة) ،علاقة سببية أي أنّ الدّالّ يتطلب في ذهن المتلقي المدلول ،كما أنّ المدلول يتطلب هو الآخر في ذهن المتكلم الدّالّ الملازم له، لذلك فإنّ المفاهيم المستوحاة من المرجع الخارجي، قابلة لأن تكون مشتركة بين أفراد المجتمع. بينما هذه الخاصية تفتقر إليها الموجودات في الألفاظ (الدوال) ،وارتباطها بالمدلولات لأنّها تواضعية اصطلاحية.

ويبدو أنّ الغزالي قد أدرك أهميّة العلامات في النظام التواصلّي ،إذ أنّ الإنسان كيف تعامله مع الواقع الخارجي من خلال كفاءته العقلية، التي تسمح له بابتكار النظام الترميزي المشكل وفق التصور الحسي ،وما يوفره المحيط الاجتماعي من إشارات ورموز ترتبط بعالم الأشياء المحسوسة. وقد أصبح هذا التصور لعالم الأشياء محورا أساسيا في النظرية الدلالية الإحالية، التي جاء بها "ريتشارد" Ivor Armstrong Richards "و"أوغدن" " Charles Kay Ogden في مؤلفهما "معنى المعنى". حيث أشارا إلى أهميّة التّحليل المزدوج الذي يتناول العلاقة بين الألفاظ والأفكار من جهة، والأشياء المشار إليها من جهة أخرى.¹⁵

رابعاً: العلامة عند لالاند

عرّف "لالاند" André Laland " العلامة في معجمه الفلسفي بأنّها إدراك راهن يسوّغ بكيفية أكيدة نسبيا، إقرارا متعلقا بأي شيء آخر، والعلامات توجد على صنفين: علامات طبيعية وأخرى اصطناعية ،أما الأولى فهي تلك التي لا تنجم علاقتها بالشئ المشار إليه إلا عن طريق قوانين طبيعية، فالدخان على سبيل المثال يشير إلى النار على نحو خاص، أما العلامات الاصطناعية هي التي تقوم علاقتها بالشئ المشار إليه، على إقرار إرادي وجماعي في الأغلب كالعلامات الجبرية والعلامات الموسيقية.¹⁶

من خلال ما سبق ذكره يمكن القول أنّ الناظر في التعاريف المقدّمة سابقا للعلامة، يجد أنّها لا تبتعد كثيرا عن المعنى العام الوارد في المعاجم اللغوية. كما أنّ كلا من أرسطو و ابن سينا و الغزالي و لالاند ،وإن اختلفت تعبيراتهم فهي تصب في مجرى واحد، يجعل من العلامة كيانا حاملا لمعنى معين أو دالاً عليه.

¹⁵ بلقاسم دقة: علم السيمياء في التراث العربي، مجلة التراث العربي، العدد91، سبتمبر 2003، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص 8

¹⁶ أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 2001، ص 1292، 1293

المطلب الثالث: تعريف العلامة عند السيميائيين.

لقد تعددت تعريفات السيميائيين للعلامة و نذكر منها :

أولاً: العلامة عند سوسير

عرّفها سوسير بأنها "وحدة ذات طبيعة نفسية، ثنائية المبنى أي أنّ لها وجهين هما عنصرها المشكّلات لها، وهما شديدا الصلة والارتباط كلّ منهما مكمل للآخر، ونسمي التآليف الحاصل بين التّصوّر والصّورة السّمعية بالعلامة، ونقترح الاحتفاظ بلفظ (علامة) كدلالة على المجموع الكلّي، وإبدال التّصوّر والصّورة السّمعية بلفظيّ المدلول "Signifié" والدّال "Signifiant".¹⁷

يبدو أنّ أهمّ ما يميّز العلامة عند سوسير هو طابع الازدواجية، الذي يؤسّس له كلّ من الصّورة الصّوتية والمفهوم "Concept" أو المعنى "Sens"، فهما معا يشكّلان الوحدة التّفسيّة المعبر عنها بالعلامة، فالعلامة هي وحدة تجمع بين طرفين هما الدّال والمدلول.

والعلاقة بين الدّال كصورة صوتية، والمدلول كمفهوم أو معنى، لا تقوم على المشابهة والتناسب، وإلا لما تعددت اللغات. بل تقوم هذه العلاقة على الاعتبارية "Arbitraire"، إذ لا توحى الدوال بمدلولاتها بشكل تلقائي وطبيعي. كما أنّ العلامة السوسيرية هي علاقة تجريدية، و مفهوم محايد إذ تلغي الذات والايديولوجيا. وعليه فإن سوسير اهتم بإنتاج العلامة لا بالتعبير عنها.¹⁸

ثانياً: العلامة عند بورس

يقول "بـورس" Charles Senders Peirce " : "إنّ العلامة أو (الماثول "Représentamen") هي شيء يعوض لشخص ما شيئاً بأية صفة، وبأية طريقة، إنّهُ يخلق عنده علامة موازية أو علامة أكثر تطوراً، إنّ العلامة التي يخلقها أطلق عليها مؤولاً "Interprétant" للعلامة الأولى، وهذه العلامة تحل محل شيء: موضوعها.¹⁹

وبناء عليه تشغل العلامة (الماثول) كأداة نستعملها في التمثيل لشيء آخر، إنه لا يقوم إلا بالتمثيل، فهو لا يعرفنا على شيء ولا يزيد معرفتنا به. ذلك أنّ موضوع العلامة هو ما يجعلها شيئاً قابلاً للتعرف، ويستفاد من هذا التعريف أنّ العلامة (الماثول) هي: ما يحل محل شيء آخر، أداة للتمثيل لا توجد إلا من خلال تحيينها داخل

¹⁷ Saussure Ferdinand de : Cours de linguistique générale, éd, Payothèque, Paris, 1979, p 99

¹⁸ مبارك حنون: دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص 37، 38

¹⁹ سعيد بنكراد: السيميائيات و التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص 78

موضوع "Objet" ما، لا تستطيع الإحالة على موضوعها إلا من خلال وجود مؤول يمنح للعلامة صحتها.

ويمكن القول أنّ الماثول يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الدّال في تصوّر السوسيري، فمهمة العلامة، كما هي مهمة الدّال، تكمن في التمثيل لشيء لمنحه وضعاً تجريدياً أي مفهوماً، استناداً إلى هذا وجب النظر إلى العلامة باعتبارها وحدة ثلاثية المبني، غير قابلة للاختزال إلى عنصريين.

فالعلامة هي ماثول يحيل على موضوع عبر مؤول، وهذه الحركة هي ما يشكل في نظرية بورس، ما يطلق عليه السيميوز "Sémiosis"، أي النشاط الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها، وعلى هذا الأساس فإن السيرورة السيميائية (حقل السيميوز) تستدعي الماثول كأداة للتمثيل، وتستدعي الموضوع كشيء للتمثيل، وتستدعي مؤولا يقوم بالربط بين العنصرين، أي ما يوفر للماثول إمكانية تمثيل الموضوع بشكل تام داخل الواقعة البلاغية.²⁰

ثالثاً: العلامة عند إيكو

يعتقد "إيكو" Umberto Eco " أنّ مجموعة الاستعمالات اليومية، يتبين من خلالها أنّ العلامة إشارة واضحة تمكننا من التوصل إلى استنتاجات بشأن أمر خفي. ويتفق الجميع حسب إيكو على تعريف العلامة، على أنّها شيء يقوم مقام شيء آخر، والشيء هو عبارة عن موضوع ملموس، أي كيان مادي ينتجه الإنسان، أو يعترف به على أنّه قادر على القيام بوظيفة المعبر عن شيء آخر، أو هو صنف أو نمط من التعبيرات الملموسة الممكنة. ويبقى الالتباس بشأن الشيء الآخر الذي يحيل عليه، أو يقوم مقامه²¹، لكن إيكو وجد الحل لهذا الالتباس من خلال التعريف الذي قدمه "جاكبسون" "Roman Jakobson" للعلامة، حيث عرف هذا الأخير كل علامة على أنّها علاقة إرجاع، ويظهر هذا جلياً من خلال قوله: "فقد قررنا أن نستعمل بصفة مؤقتة الإشارة إلى ذلك الشيء الآخر لفظ "إرجاع لأنّه محايد".²²

ويميز إيكو بين نمطين من العلامات: العلامات الطبيعية و العلامات غير القصدية.²³

وما يمكن استخلاصه بناء على ما سبق ذكره، أنّ الناظر المتفحص للتعريفات الثلاثة للعلامة، يجد أموراً وفروقات تميزها عن بعضها، لكن بصرف النظر عن تلك الفروقات، فإن ما يجمع العلامة وفقاً لتعريف كل من "سوسير"، "بورس" و"إيكو" أنّ هذه الأخيرة تعني في أبسط صورها، ومفاهيمها كل ما يقوم مقام شيء آخر.

²⁰ سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها، دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية، سورية، ط2، 2005، ص 91، 92

²¹ أمبرتو إيكو: السيميائية و فلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، ص 459، 460

²² المرجع نفسه، ص 116

²³ مبارك حنون: دروس في السيميائيات، ص 40

المبحث الثاني: العلامة في المدارس السيميائية.

المطلب الأول: العلامة في سيمياء التواصل.

يمثل هذا الاتجاه مجموعة من المناطقة واللسانيين منهم: "موان" "Georges Mounin" و"بريطو" "Prieto Luis Georges" و"بويسنس" "Eric Buysens" وغيرهم. وينظر هذا الاتجاه إلى العلامة على أنها أداة تواصلية أو وسيلة قصد تواصلية إبلاغي، وهذا مفاده أن العلامة تتكون وفق هذا المنظور من الدال والمدلول والقصد أو الوظيفة. ولا يهم هؤلاء اللغويين والمناطقة من العلامة السيميائية غير الإبلاغ وأداء الوظيفة الاتصالية أو التواصلية، وهذه الوظيفة الإبلاغية لا تنحصر في الأنساق اللسانية وحسب، بل تتعداها إلى كل الأنساق غير اللسانية ما دامت تؤدي الغرض الإبلاغي.²⁴

وبذلك يمكن للسيميولوجيا "Sémiologie" حسب بويسنس أن تعرف باعتبارها دراسة طرق التواصل، أي دراسة الوسائل المستخدمة للتأثير على الغير. والمعرّف بها بتلك الصفة من قبل الشخص الذي نريد التأثير عليه، ويرى بويسنس أن وجهة النظر السيميولوجية تفرض علينا اللجوء إلى الوظيفة الأولية للغة، أي التأثير على الغير رغم أنه من الممكن التأثير على الغير دون إرادة ذلك، ويتعلق الأمر في هذه الحالة ببعض الإشارات، ويقول بريطو إن استعمال العلامات هو الذي يحدد التواصل، إذ يمكن الحديث عن فعل تواصلية أو فعل حامل للمعنى، في كل لحظة يحاول فيها مرسل وهو في طور إنتاج علامة ما، إمداد مستقبل أو متلق بإشارة معينة.

فالسيميولوجيا كما يرى كل من بويسنس وبريطو، عليها أن تهتم بكل ما هو قابل للإدراك كالوقائع ذات الصلة بحالات الوعي، والمنتجة أساسا بقصد التعريف بحالات الوعي هاته، وبعبارة أخرى فإن التواصل هو الذي يشكل موضوع السيميولوجيا، أي أن هذه الأخيرة تركز على العلامات القائمة على القصدية التواصلية.²⁵

والعلامة والتواصل هما محورا سيمياء التواصل، وكل من هذين المحورين يتشعب إلى أقسام، وهكذا يمكن أن ينقسم التواصل السيميائي إلى إبلاغ لساني وإبلاغ غير لساني: فالتواصل اللساني يتم عبر الفعل الكلامي، فعند سوسير مثلا لا بد من متكلم وسماع بالإضافة إلى تبادل الحوار عبر العلامات، كما أن التواصل يتم عبر إرسال الرسالة من طرف المتكلم إلى المستقبل، وهذه الرسالة يتم تشفيرها وترسل عبر القناة ويشترط وضوح المقصد لنجاح الرسالة في تأدية غرضها، وبعد تسليم الرسالة يقوم المتلقي بتفكيك الشفرة وتأويلها، أما التواصل غير اللساني

²⁴ لخضر العرابي: المدارس النقدية المعاصرة، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران، الجزائر، (د.ط)، 2007، ص 155

* السيميولوجيا Sémiologie: السيميولوجيا أو علم العلامات من العلوم التي تطورت بوتيرة سريعة طوال القرن العشرين منذ ظهور كتاب فرديناند دو سوسير محاضرات في علم اللغة العام إلى آخر أبحاث رولان بارت و ميتر و هو العلم الذي عرفه سوسير بدراسة حياة العلامة في كنف المجتمع.(انظر: برنار توسان: ما هي السيميولوجيا، ترجمة محمد نظيف، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1994، ص 5)

²⁵ مبارك حنون، دروس في السيميائيات، ص 72، 73، 74

فيعتمد على أنساق دلالية غير لغوية، وهي حسب بويسنس مصنفة حسب معايير ثلاثة:

1- معيار الإشارة النسقية: حيث تكون العلامات ثابتة ودائمة، من أمثلة ذلك (الدوائر، المثلثات، المستقيمات، المستطيلات، علامات المرور).

2- معيار الإشارة اللانسقية: وهي علامات غير ثابتة وغير دائمة، على عكس المعيار الأول مثال (الملصقات الدعائية).

3- معيار الإشارة: حيث تكون العلاقة جوهرية بين المؤشر "Indice" وشكله، مثلاً: (الشعارات الصغيرة التي توضع فوق واجهات الدكاكين أو المتاجر قصد الترويج للبضائع).

هذا فيما يخص محور التواصل، أما محور العلامة، فإن الدال والمدلول يشكلان ما يسمى بالعلامة، التي يصنفها أنصار هذا الإتجاه إلى أربعة أصناف :

1- الإشارة: هي علامة حاضرة مدركة ظاهرة تجعل نفسها رهن إشارة الإنسان الذي يملك حق تعريفها في ذاتها، وشرحها الشرح المراد أنى ومتى ظهرت، وهي بدورها تتفرع إلى عدة أنواع يمكن إجمالها في ما يأتي :

أ/ الكهانة أو العرافة : وهما إشارتان تخبران الإنسان بظواهر لا تزال في ضمير الغيب، مثل السحب المنبئة

بالشتاء وحمرة الأصيل المنبئة بالغروب، والإرهاصات التي تنذر بقيام ثورة... الخ

ب/ أعراض المرض : وهي الإشارات الدالة على المرض، كالحمى، أو ألم معين، أو لون غير طبيعي ،

وكذلك الصوت الغريب الصادر عن محرك السيارة الدال على اختلال ضبطه.

ج/ البصمات والآثار : هي تلك الإشارات الدالة على حدث وقع في زمن مضى، كالأواني الفخارية أو

الأسلحة والأدوات التي يعثر عليها عالم الآثار والتي تساعد على تحديد كيفية تعاقد الجماعات الإنسانية

على المكان الذي يمارس فيه حفريات²⁶.

2- المؤشر : وقد عرفه بريطو بأنه العلامة التي هي بمثابة إشارة اصطناعية، وهو يفصح عن فعل معين لا

يؤدي المهمة المنوطة به إلا حيث يوجد المتلقي له.

3- الأيقون : وهو علامة تدل على شيء تجمعها إلى شيء آخر علاقة المماثلة، إذ يتعرف في الأيقون على

الأنموذج الذي جعل الأيقون مقابلاً له.

²⁶ لخضر العرابي: المدارس النقدية المعاصرة، ص 156، 157

4- الرمز : وهو علامة العلامة، أي العلامة التي تنتج قصد النيابة عن علامة أخرى مرادفة لها²⁷.

يبدو أن سيمياء التواصل قد حصرت العلامة في إطار الوظيفة والبعد التواصلية، وهذه الوظيفة التواصلية الإبلالية لا تختص بما العلامة اللسانية فحسب، إنما توجد هذه الوظيفة في البنيات السيميائية غير اللسانية، غير أن هذا التواصل مشروط بالقصدية وإرادة المرسل في التأثير على غيره. وعلى هذا الأساس انحصر تعريف العلامة عند بعضهم، بأنها حركة يقصد بها الاتصال بشخص ما أو إعلامه بشيء ما.²⁸

وخلاصة القول أن العلامة من منظور سيمياء التواصل، لا تخرج عن كونها وسيطا تواصلية، يستخدم بغرض التبليغ والتأثير في الغير. كما أن الفعل التواصلية يتحدد بناء على استعمال العلامات، و البعد التواصلية هو الذي يشكل موضوع السيميولوجيا، مع العلم أن هذا البعد تؤسسه العلامات القائمة على الغاية التواصلية أو الإخبارية.

المطلب الثاني: العلامة في سيمياء بورس.

²⁷ فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص89

²⁸ لخضر العرابي: المدارس النقدية المعاصرة، ص162

بدءا يمكن القول أن السيميائيات في تصور بورس ، ليست مجرد أدوات إجرائية يمكن استثمارها في قراءة هذه الواقعة الدلالية أو تلك ، كما لا يمكن أن تكون نموذجا تحليليا جاهزا، قادرا على الإجابة على كل الأسئلة التي تطرحها الوقائع فهي على العكس من ذلك ، فعل أو سيرورة لإنتاج الدلالة و غط تداولها واستهلاكها ، أو بعبارة أخرى إنها تصور متكامل للعالم ، ذلك أن الإمساك بهذا العالم باعتباره سلسلة لا متناهية من الأنساق الدلالية ، أي باعتباره علامات يشير إلى استحالة فصل العلامة عن الواقع ، مادام هذا الواقع نفسه ينظر إليه باعتباره نسيجاً من العلامات .

وبناء على هذا التصور البورسي ، فإن دائرة العلامات تتسع لتشمل كل الموجودات بل إن الواقع ليس كذلك إلا في حدود مثوله أماناً كعلامة²⁹ . وما يجدر ذكره في هذا السياق أن فهم الطرح البورسي للعلامة ، يمر عبر استيعاب نظرية المقولات ، إذ لا يشكل التعريف الذي يقدمه بورس للعلامة سوى الوجه المرئي ، لقاعدة فلسفية ترى في التجربة الإنسانية كلها كيانا منظما من خلال مقولات ثلاث ، هي الأصل والمنطلق في إدراك الكون ، وإدراك الذات وإنتاج المعرفة وتداولها ، فلا حدود تفصل بين المرئي والمستتر ، بين الممكن والمتحقق ، فكل ما يؤثت هذا الكون يشكل وحدة واحدة .³⁰

وما يجدر ذكره في هذا السياق، أن العلامة في إطار المشهد الفكري البورسي مرتبطة ارتباطا وثيقا بعمليات الإدراك ، وفي هذا المجال يقترح بورس رؤية فينومينولوجية* "Phénoménologique" للإدراك، ترى في كل الأفعال الصادرة عن الإنسان سيرورة بالغة التركيب والتداخل ، فكل ما يفعله الإنسان وكل ما يحيط به يمكن النظر إليه باعتباره تداخلا لمستويات ثلاثة : فالعالم يمثل أماناً في المرحلة الأولى على شكل أحاسيس ، ونوعيات مفصولة عن أي سياق زماني أو مكاني، وهذا ما يشكل مقولة "الأولانية" "Priméité"، وتشير هذه المقولة إلى الإمكان فقط ، فلا شيء يوحى بأن معطياتها قد تتحقق في واقعة ما ، فالسعادة مثلا قبل أن يكون الإنسان سعيدا لم تكن سوى حالة شعورية محتملة.

ويمثل العالم في مرحلة ثانية باعتباره وجودا فعليا ، يأخذ على عاتقه تجسيد الأحاسيس والنوعيات في وقائع وهو ما يشكل مقولة "الثانانية" "Secondéité"، وتشير هذه المرحلة إلى التحقق الفعلي (رجل سعيد مثلا) ، ثم يمثل أماناً في مرحلة ثالثة باعتباره قانونا، أي باعتباره مفاهيم مجرد المعطى من بعده المحسوس ، لكي تكسوه بغطاء

²⁹ سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، ص27، 28، 29

³⁰ المرجع نفسه، ص 41

* الفينومينولوجيا "Phénoménologie": دراسة وصفية لمجموعة ظواهر كما تتجلى في الزمان والمكان بالتعارض، إما مع القوانين المجردة لهذه الظواهر، وإما مع الحقائق المتعالية، وتطلق على منهج هوسرل وفلسفته . (أنظر: أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ص973)

مفهومي ، وفي هذه الحالة نكون أمام القانون الذي سيمكننا من التعرف على هذه الوقائع ، وهو ما يتطابق مع مقولة "الثلاثية" "Tiercéité"، وهي التي تجعلنا نؤول سلوكنا باعتباره دالا على السعادة .

فمن خلال المقولات الفينومينولوجية ، يمكن التعرف على العلامة باعتبارها صيغة تنظيمية للوقائع الإنسانية ، فإذا كان الأول يحيل على الثاني عبر الثالث ، فإن العلامة عند بورس تشتغل وفق مبدأ الثلاثية ومبدأ الإحالة .

واستنادا إلى ما سبق ذكره يمكن القول : بأنه ما ينتمي إلى العلامة ، باعتبارها صيغة تنظيمية مباشرة للتجربة الإنسانية ، وما ينتمي إلى المقولات باعتبارها تشكل الروابط التي تجمع بين مكونات التجربة الإنسانية (أشكال الوجود) ، يعود إلى نفس المبدأ : التخلص من المعطيات الحسية باعتبارها كيانات جوفاء لا يمكن أن تنتج معرفة ، وذلك من أجل صيغتها داخل قوالب الوجود والمفاهيم ، فلأننا لا ندرك العالم بشكل مباشر ولا يمكن أن نقول عنه أي شيء في غياب أداة التوسط التي هي العلامات ، التي هي "الثلاثية" فلا وجود لفكر بدون علامات ، ولا يمكن أن نفكر خارج ما تقدمه هذه العلامات .³¹

والظاهر أن بورس كما يبدو، قد استوحى الكثير من تصوراته في مجال الإدراك القائم على المقولات القبلية ، على الأقل، من المقترحات الفلسفية التي جاء بها "كانط" Immanuel Kant ، فكانت وفقا لهذا التصور كان يرفض بشكل قطعي، أي حدس عقلي فالفكر عنده لا يمكن أن يتبلور و يظهر إلى الوجود، إلا إذا تم من خلال مقولات³²، والتي هي بمثابة "المبادئ الأولية التي تحدد إمكانية التجربة، وتجعل منها معرفة تجريبية موضوعية"³³

وإذا كانت التجربة الإنسانية كما سبقت الإشارة ، تشتغل بكافة أبعادها كمهد للعلامات : لحياتها ولنموها ولموتها أيضا ، فلا شيء يفلت من سلطان العلامة . وهكذا فإن الكون في تصور بورس يمثل أمامنا باعتباره شبكة غير محدودة من العلامات ، فكل شيء يشتغل كعلامة ، ويدل باعتباره علامة ، ويدرك بصفته علامة أيضا ، كما أنه لا يمكن البحث عن المعنى خارج العلامة ، ولا يمكن أن نفكر دون علامات فالمعنى موجود في العلامات ، والعلامات هي وحدها السبيل إلى إنتاج الدلالات وتداولها³⁴ .

وإذا استندنا إلى هذه الفكرة المركزية لدى بورس، فبالإمكان القول أنه ليس من الغريب أن تركز بعض موحشة ، ليلج عالما ثقافيا حيث يستأنس ويكتشف طاقاته التعبيرية الجديدة ، وفلسفة اللغة من الرواقيين إلى كاسيرر ومن القديس أغسطين إلى "فدجنشتين" "Ludwig wittgenstein" لم تكف عن مساءلة أنساق

³¹ سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 88، 89، 90

³² سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، ص 50

³³ زكريا ابراهيم: كانط أو الفلسفة النقدية، دار مصر للطباعة، مصر، (د.ط.)، 1987، ص 62

³⁴ سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 91

وخلاصة القول، أن العلامة تحتل مركزا محوريا ضمن أفق الفكر البورسي على وجه العموم، وما يميز تصوره لها يكمن في اعتباره إياها لبنة لا غنى عنها لفهم العالم ، على اعتبار أنها تشكله ولها القدرة على إعادة تشكيله من جديد ، كما أن المفهوم البورسي للعلامة مستلهم من الرؤية الفينومينولوجية للإدراك ، إضافة إلى بعض المفاهيم الكانطية .

³⁵ المرجع السابق، ص 27

المطلب الثالث: العلامة في سيمياء الدلالة.

يعزى هذا الاتجاه المسمى بـ"سيمولوجيا الدلالة" إلى "رولان بارت" "Roland Barthes"، الذي يرى أنّ جزءاً كاملاً من البحث السيميولوجي المعاصر، مردّه إلى مسألة الدلالة³⁶: فعلم النفس والبنويّة^{*} "Structuralisme" وبعض المحاولات الجديدة للنقد الأدبي، كل ذلك لا يدرس الوقائع و المواضيع إلا على اعتبار أنّها حاملة للدلالات والمعاني، أي باعتبارها وقائع دلالية و افتراض الدلالة يعني حتمًا الاستئناس بالسيمولوجيا.³⁷

وعليه فلا مهرب للأبحاث المعاصرة في العديد من الحقول المعرفية، من الخوض مباشرة في مسألة الدلالة، وبالتالي فإن المقاربة السيميولوجية مقارنة ضرورية لأنّ أغلب الوقائع تحمل الدلالة، بل إنّنا حينما نتقل إلى مجموعات ذات عمق سيميولوجي حقيقي، فإننا نواجه مجدداً اللغة، ومن الأكيد أنّ الأشياء والصور والسلوكيات يمكنها أن تدل، إلا أنّها لا تقوم بذلك أبداً بصورة مستقلة عن اللغة، فكل نسق سيميولوجي يمتزج باللغة، وكل المجالات ذات العمق السوسولوجي تفرض وجود اللغة.³⁸

وهذا ما أكد عليه "ميرلو بونتي" "Maurice Merleau-Ponty"، حينما اعتبر أنّ مدلولات الأنساق السيميائية تستمد مشروعيتها وبدون استثناء من النسق اللغوي في عموميتها، لأنّ الأنساق الأخرى لا يمكن تحويل دوالها إلى مدلولات، دون الإحالة على المرجعية التي يجسدها نسق العلامات اللغوية، لأنّ الفكر يوجد في الكلام.³⁹

وتستند سيمياء الدلالة بشكل كبير وواضح إلى أفكار سوسير كمرجعية أساسية، والتي تشكل جزءاً مهماً من الألسنية البنوية ويظهر ذلك في تصور بارت للعلامة، على أنّها كل يحركه محوران هما الدال والمدلول، غير أنّ الأشياء و إنّ كانت حاملة للدلالة فهي لن تكون علامات سيميولوجية أو علامات دالة، إلا بتدخل اللغة وامتزاجها بها.

فالأشياء و مختلف المواضيع تكتسب صفة العلاماتية من اللغة، وكذلك الأنساق السيميولوجية ككل، وهذا ما دفع ببارت إلى أن يرى أنّه من الصعب جداً تصور إمكان وجود مدلولات لأنساق مهما كانت المواضيع

³⁶ مبارك حنون، دروس في السيميائيات، ص 74

^{*} البنوية Structuralisme: التيار اللغوي الذي يعني بتحليل العلاقات بين العناصر المختلفة في لغة ما، حيث يتمّ تصويرها على أنّها كل شامل تنظمه مستويات محددة. و ي كذلك تيار فكري مشترك بين مجموعة من العلوم الإنسانية (علم النفس، الأنثروبولوجيا... إلخ). (انظر: لخضر العرابي، المدارس النقدية المعاصرة، ص 88، 89)

³⁷ Roland Barthes: Mythologies, éd, seuil, Paris, 1^{er} pub, 1957, p 195, 196

³⁸ مبارك حنون: المرجع السابق، ص 74

³⁹ الحسين الزاوي وآخرون: الطريق إلى الفلسفة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009، ص 21

والأشياء التي تشكلها خارج اللغة، فإدراك ما تدل عليه مادة ما يعني اللجوء إلى اللغة فلا وجود لمعنى إلا لما هو مسمى، وعالم المدلولات ليس سوى عالم اللغة.

فمدلول العلامة لا ينشأ خارج اللغة بل داخلها، وبذلك فإن الأشياء لا تدل إلا بالاستعانة بما توفره لنا اللغة من تصور للعالم، ولا مجال لإسناد الدلالة إلى الأشياء واعتبار هذه الأخيرة علامات، لولا تدخل اللغة فوجود المعنى يرتبط بالتسمية وبالتالي فإن اللغة هي التي تحقق لنا عالم المدلولات⁴⁰.

فروية بارت هنا، تحمل بعض السمات الهيدغيرية، ذلك أن هيدغر يذهب هو الآخر للتأكيد على عدم قابلية تمثيل المعنى خارج فعل الكلام، وبعيدا عن النشاط اللغوي، فاللغة حسب تعبيره: "هي بيت الوجود ومخبأ ميلاد الإنسان"⁴¹.

وإذا كان إنتاج المعنى وتوفير التواصل، يمكنه أن يتم بواسطة علامات لفظية وعلامات غير لفظية، فإن بارت يسند وظيفة التواصل إلى العلامات اللسانية⁴²، وعلى هذا الأساس فإن العالم السيميولوجي رغم اشتغاله في البداية على مواضيع غير لسانية فهو مرغم عاجلا أم آجلا على العثور على اللغة الحقيقية و الالتقاء بها في طريقه ليست باعتبارها نموذجاً، وإنما بصفتها مكوناً كذلك كبديل أو كمدلول⁴³.

ولأن المعنى من إنتاج اللغة، فلا يمكن للسيميولوجيا إلا أن تلجأ إلى اللغة، للوقوف على دلالة العلامات، وبذلك فاللغة تعتبر أنموذجاً للسيميولوجيا، إذ هي التي تمدنا بالمعاني، والمدلولات، أي أن نموذج المعاني في السيميولوجيا نموذج لساني، بالإضافة إلى ذلك فإن اللغة مكون للسيميولوجيا، إذ يستحيل بناؤها ما لم تكن اللغة عنصراً بنائياً فيها.

وبما أن بارت يربط إنتاج المعنى داخل العلامة باللغة، فإن مختلف العلامات كعلامات المودا "Mode" على سبيل المثال، ستكون مجموعة فرعية تابعة لنسق أساسي عميق هو نسق اللغة اللفظية، ذلك أن أنساق التواصل إشارية كانت أو مرئية، متفرعة عن اللغة المنطوقة وتفرض وجود اللغة.

وعليه فإن سيميولوجيا أنساق العلامات غير اللسانية عليها أن تستعير توسط اللسان، وعلى هذا الأساس فإن هذه السيميولوجيا في حد ذاتها لا يمكنها أن توجد إلا بواسطة سيميولوجيا اللسان "Langage"، فاللسان حسب بارت هو مؤول كل الأنساق الأخرى لسانية كانت أو غير لسانية، ولهذا السبب فإن المعرفة السيميولوجية

⁴⁰ مبارك حنون: دروس في السيميائيات، ص75

⁴¹ دليل محمد بوزيان وآخرون: اللغة والمعنى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص222

⁴² مبارك حنون: المرجع السابق، ص75

⁴³ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، (د.ط)، 1986، ص29

* المودا Mode: تكتب بالحرف الاستهلاكي و يقصد بها هنا fashion أي الأزياء اللباسية أو أسلوب اللباس بحيث يتعارض هذا المعنى مع كلمة mode التي تعني أسلوب العيش أو التفكير. (انظر: Roland Barthes: Système de la mode, éd , seuil, Paris, 1967, p13)

لا يمكن أن تكون إلا نسخة من المعرفة اللسانية⁴⁴، وبذلك قلب بارت المعادلة السوسيرية قائلاً: "إن اللسانيات"^{**} "Linguistiques" لا يمكن اعتبارها حقلاً أو جزءاً، حتّى وإن كان مميزاً، من علم العلامات بل السيميولوجيا هي ما من يشكل جزءاً من اللسانيات".⁴⁵

وإذا كان بارت قد أولى اللغة كل هذه الأهمية، فإن "الفلسفة التحليلية"^{***} قد أعطت هي الأخرى لموضوع اللغة مكانة كبيرة، بإقرارها بأن الوظيفة المثلى للفلسفة مرتبطة بتحليل اللغة، فلم تبقى اللغة مع هذه الفلسفة مجرد وسيلة للتخاطب والتواصل، بل هي هدف البحث الفلسفي، ما دام العالم لا ينكشف إلا عن طريقها⁴⁶.

لكن بعيداً عن موفق بارت من اللغة وكل من نحى نحوه، فهناك من قلّل من قيمة اللغة ومن قدرتها على احتواء الفكر، "فبرغسون" "Henri Louis Bergson" يرى أن الفكر أوسع من اللغة، حتّى أنه في بعض الحالات نجد أن أفكاراً تموت دون أن نعبر عنها⁴⁷.

وما يمكن قوله كخلاصة أنّ سيميولوجيا الدلالة كاتجاه، لا يؤسس العلامة خارج النسق اللساني لأنّ هذا الأخير هو الذي يمنحها المعنى، وإن كان هذا الاتجاه يهتم بكل المواضيع والوقائع التي تحمل الدلالة، فإنه قد قسم بذلك العلامات، إلى ما هو لساني وما هو غير ذلك، مع اعتبار العلامات اللغوية دائماً هي النموذج بالنسبة لباقي الأنواع الأخرى.

⁴⁴ مبارك حنون: دروس في السيميائيات، ص 75، 76

^{**} اللسانيات Linguistiques: علم موضوعه الوحيد و الحقيقي هو اللغة التي ينظر إليها كواقع قائم بذاته و يبحث فيه لذاته و إن كان موضوع اللسانيات هو اللغة فإن هدفها كما يقول دو سوسير هو دور لا يقوم على التصرف ببنية اللغة بل تحديد هذه البنية و وصفها. و منهجها يعتمد على النظرة الكلية و التحليل التزامني و ذلك من أجل الكشف عن البنية اللغوية. (انظر: الزواوي بغوره: المنهج البنوي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2001، ص 34)

⁴⁵ رولان بارت، مبادئ في علم الأدلة، ص 29

^{***} التحليلية: هي الفلسفة التي حاولت إيجاد حلول للمشكلات الفلسفية، عن طريق تحليل مفردات اللغة ومفاهيمها، من أشهر فلاسفة المذهب: راسل وفدجنشتين. (انظر: الموسوعة العربية العالمية، النسخة الالكترونية، الإصدار3، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2004).

⁴⁶ بشير خليفي: الفلسفة وقضايا اللغة، ص 62

⁴⁷ الحسين الزواوي وآخرون: الطرق إلى الفلسفة، ص 135

المطلب الرابع: العلامة في سيمياء الثقافة.

لقد نشأ هذا الاتجاه مع أبحاث الشكلانيين* الروس "Formalistes Russes" مع ظهور مدرسة تارتو "Tartu"، التي تعد من أبرز المدارس السيميولوجية الروسية ومن أعلامها البارزين "يوري لوتمان" Yuri " Lotman " مؤلف كتاب "بنية النص الفني" و"إيفانوف" Viatcheslav " Ivanov " و"أوسبانسكي" "Piotr Demianovitch Ouspensky " وجمعت أبحاث هؤلاء الأعلام، في كتاب جامع بعنوان "أعمال حول أنظمة العلامات" وتتضمن سيمياء الثقافة الاتجاه الإيطالي ممثلاً في كل من: أمبرتو إيكو و"روسي لاندي" Rossi-Landi " .

وقد ميزت مدرسة تارتو بين ثلاثة مصطلحات وهي: السيميولوجيا الخاصة، والمتمثلة في دراسة أنظمة العلامات ذات الهدف التواصل، والسيميولوجيا المعرفية التي تهتم بالأنظمة السيميولوجية وما يشابهها، والسيميولوجيا العامة التي تتكفل بالتنسيق بين جميع العلوم الأخرى، وقد اهتمت تارتو بالسيميولوجيا ذات البعد الاستمولوجي، ومن هنا اهتمت هذه المدرسة بسيميولوجيا الثقافة.⁴⁸

وينطلق هذا الاتجاه من اعتبار الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية⁴⁹، أو أنساقاً دلالية أي علامات، لأن العلاقات الاجتماعية الإنسانية لا تتأسس إلا بناء على نسيج من العلاقات التواصلية، فكل النشاطات التي يقوم بها الإنسان مشبعة بالمعنى وانطلاقاً من هذا الاعتبار فإن الثقافة باعتبارها الوعاء الشامل، الذي تدخل فيه جميع نواحي السلوك الفردي منه والاجتماعي، تتعلق بإنتاج العلامات واستخدامها.

وبناء على هذا التصور فإن السيميولوجيا هي العلم الذي يعنى بدراسة الظواهر الثقافية باعتبارها علامات أي عمليات تواصلية، وبالتالي فإنه يجب أن تصبح موضوعات للتواصل، ومن ثمة تعود كل ظاهرة ثقافية بالضرورة إلى السيميولوجيا، وإذا كانت السيميولوجيا تعنى بالثقافة في شموليتها، وكانت العلوم تعنى بظواهر خاصة من سيميولوجيا الثقافة، فإن السيميولوجيا بهذا المنظور ستشمل كل العلوم، وسترادف إلى حد ما الاستمولوجيا.

وإذا كانت الثقافة تشتمل على ما لا حصر له من الظواهر، منها ما يصنف على أنه علامة، ومنها ما يخرج عن دائرة هذا التصنيف، كالسيارة التي تستخدم للتنقل مثلاً لا للتواصل، فإن العلامة من وجهة نظر السيمياء الثقافية، هي كل ظاهرة ثقافية تؤدي وظيفة تواصلية أو إبلاغية، في ظل شروط وظروف ملائمة، فالعلامة حسب أنصار هذه المدرسة، لا تكتسب دلالتها إلى من خلال وضعها في إطار ثقافي محدد.

* الشكلانية Formalisme: حركة لغوية نقدية رفعت شعار فصل الأدب عن الحياة وإبعاده عن الصراعات السياسية و نادى بالفن عكس ما كانت تدعو إليه الواقعية الاجتماعية الثورية . (انظر: لخضر العرابي: المدارس النقدية المعاصرة، ص 22)

⁴⁸ لخضر العرابي: المدارس النقدية المعاصرة، ص 174

⁴⁹ مبارك حنون : دروس في السيميائيات، ص 85-86

وإذا كانت الدلالة لا توجد إلا من خلال العرف والإصطلاح، فهذان بدورهما هما نتاج التفاعل الاجتماعي، وبالتالي فهما يدخلان ضمن آليات الثقافة، ولا ينظر أصحاب هذه المدرسة إلى العلامة المفردة، بل يتكلمون دائماً على أنساق دلالية أي مجموعات من العلامات، ولا ينظرون إلى النسق الواحد مستقلاً عن الأنساق الأخرى، بل يتحدثون عن العلاقات التي تربط بينها، سواء كان ذلك داخل ثقافة واحدة، كعلاقة الأدب مثلاً بالبنى الثقافية الأخرى مثل: الاقتصاد، السياسة... إلخ أو يحاولون الكشف عن تجليات الثقافة الواحدة، عبر تطورها الزمني، أو الفصل بين ما هو ثقافي وما هو غير ذلك.

أما بالنسبة للعلامة من حيث تكوينها، فهم يرون أن العلامة تتكون من وحدة ثلاثية المبنى وهي: الدال والمدلول والمرجع، ويؤكد أمبرتو إيكو على أن كل سلوك مبرمج أو نسق تواصلية يؤدي وظيفة ما هو بمثابة نظام للعلامات، ولا يمكن فهم الثقافة فهماً حقيقياً، إلا بفهم مظهرها التواصلية الذي يتجلى عبر العلامات، أي أن قوانين التواصل هي ذاتها قوانين الثقافة.⁵⁰

أما روسي لاندي فهو يرى أن العلامات، مهما كان نوعها لغوية كانت أو غير لغوية، يجب أن لا تدرس بمعزل عن الاقتصاد والسياسة، فهو يذهب في تحديده للسيمولوجيا، انطلاقاً من أبعاد البرمجة وأبعاد البرمجة هذه ثلاثة:

1/ أنماط الإنتاج وتمثل مجموعة قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج.

2/ الإيديولوجيات: هي تخطيطات اجتماعية لنمط ما.

3/ برامج التواصل: المقصود بها التواصل اللفظي وغير اللفظي.

فالعلامات تحكمها هذه الأبعاد الثلاثة، وهي في مجملها أبعاد ثقافية، وقد استلهم روسي لاندي الكثير من أفكاره من الفلسفة الماركسية "Marxisme".⁵¹

وقد أصبحت هذه المفاهيم أساساً محورية، في الدراسات السيميائية "السوفييتية" كلها، فتوصف الأنظمة السيميائية بأنها أنظمة نمذجة للعالم، أي أنها تضع عناصر العالم الخارجي في شكل تصور ذهني يشكل نسقاً أو نموذجاً، لذلك يرى "إيفانوف" أنه لا بد من تصنيف أنظمة العلامات، في شكل تدرج هرمي، وأن اللغة هي النظام الأولي بالنسبة للأنظمة المشتقة منها، كالأساطير، والفنون... إلخ.⁵²

⁵⁰ لخضر العرابي: المدارس النقدية المعاصرة، ص 174، 175، 176

* الماركسية Marxisme : هي مذهب كارل ماركس القائم على المادية التاريخية كمصطلح ابتكره أنجلز القائل أن الوقائع الاقتصادية هي القاعدة و العلة المحددة لكل الظواهر الاجتماعية. (انظر: أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ص 768)

⁵¹ مبارك حنون: دروس في السيميائيات، ص 89، 90

⁵² فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 98

وما يمكن استنتاجه من خلال ما سبق ذكره، أنَّ سيمياء الثقافة تدرج العلامة ضمن إطار المواضيع المسمّاة بالظواهر الثقافية، أي أنَّ العلامة هي ظاهرة ثقافية، تؤدي وظيفة إبلاغية تواصلية، أو هي عبارة أخرى هي موضوع يكتسب دلالاته من خلال تواجده ضمن إطار ثقافي ما.

المبحث الثالث: أصناف العلامة.

لقد تعددت التصنيفات والتقسيمات التي قدمتها المدارس السيميائية للعلامة، ويعود كل تصنيف إلى وجهة نظر خاصة، ويمكن القول أن فهم هذه التصنيفات يتطلب معرفة صلبه بالأسس الفلسفية، التي تستند إليها في رؤيتها للعلامة، و بدون ذلك لا يمكن فهم مبررات أو معيار التصنيف، وقد أرجع "أمبرتو إيكو" التصنيفات الأكثر بروزا للعلامة إلى تسع معايير، وقد حددها في كتابه "العلامة تحليل المفهوم وتاريخه" وتمثل فيما يلي:

1/ المعيار الأول: مصدر العلامة

2/ المعيار الثاني: الدلالة والاستنتاج.

3/ المعيار الثالث: درجة الخصوصية السيميائية أو (العلامات التي يستعمل دالها لغايات سيميائية).

4/ المعيار الرابع: القصدية ودرجة وعي الباث.

5/ المعيار الخامس: القناة الطبيعية وجهاز الالتقاط الإنساني.

6/ المعيار السادس: العلاقة مع المدلول.

7/ المعيار السابع: إنتاجية الدوال.

8/ المعيار الثامن: نوعية العلاقة المفترضة مع المرجع.

9/ المعيار التاسع: السلوك الذي تثيره العلامة عند المتلقي.⁵³

وقد اعتبر إيكو تصنيف بورس تصنيفا شاملا فهو المفكر الوحيد، الذي حاول تقديم تصنيف عام، آخذا بعين الاعتبار كل وجهات النظر تقريبا، فالعلامات عند بورس تتوزع على تسع فئات، وهي نتاج توزيع ثلاثي، ينطلق من ثلاث زوايا نظر: العلامة في ذاتها، العلامة في علاقتها بموضوعها، والعلامة في علاقتها بالمؤول، وهذه الفئات التسع هي:

العلامة في ذاتها: علامة نوعية، علامة مفردة، علامة معيارية.

العلامة في علاقتها بموضوعها: أيقونة، مؤشر، رمز.

⁵³ أمبرتو إيكو: العلامة تحليل المفهوم و تاريخه، ترجمة سعيد بركراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 63

العلامة في علاقتها بالمؤول: خبر، تصديق، حجة.

ويتولد عن هذه التأليفات التسعة عشر أقسام أخرى من العلامات.⁵⁴

وسنأخذ الثلاثية الثانية، من أجل محاولة تحديد عناصرها المشكلة من الأيقون، المؤشر والرمز فالثلاثية الثانية، تعد من أكثر ثلاثيات بورس انتشارا وذيوعا، بل يمكن القول أحيانا، أن أعمال بورس السيميائية، اختصرت في هذه الثلاثية، وربما يعود ذلك إلى أن الأعمال التي أنجزت حول الصورة كانت تتخذ من بعض أعمال بورس السيميائية منطلقا لها.

إضافة إلى ذلك فإن هذه الثلاثية تعد من أكثر ثلاثياته استيعابا، وأكثرها تمثيلا للمواضيع الواقعية، فسواء تعلق الأمر بالأيقون أو المؤشر أو الرمز، فإن هذه العناصر الثلاثة تحيل على أنماط كبرى في التفكير الإنساني، فيما يتعلق بالتناظر والتجاور، والعرف والتسنين.

المطلب الأول: الأيقون.

الأيقون هو علامة تحيل على الموضوع. بموجب الخصائص التي يمتلكها هذا الموضوع، سواء كان هذا الموضوع موجودا أم غير موجود، فالإحالة بين حالة الأيقون قائمة على التشابه، وهذا ما يقوله بورس صراحة، حين يجعل الإحالة قائمة على وجود عناصر مشتركة بين الماثول والموضوع، فلا وجود على الأقل لأي تميز في الأيقون الخالص، بين الماثول والموضوع الذي يحيل عليه⁵⁵، لذا فالأيقون "هو علامة ذات طابع دلالي يجعل منها حاملة للدلالة حتى وإن غاب موضوعها مثال على ذلك خط بقلم الرصاص يمثل خطأ هندسيا"⁵⁶، فالعلامة الأيقونية هي علامة تمتلك بعض خصائص الشيء الممثل.

وقد وجد تعريف العلامة الأيقونية هذا بعض الاهتمام، إذ تلقفه "شارل موريس" Charles Morris " وعمل على تدقيقه، فهو يذهب إلى أن العلامة تصبح أيقونا إذا كانت تملك بعض خصائص الشيء الممثل، أو بالأحرى تمتلك خصائصه الواقعية⁵⁷، فالإحالة حسب هذا التعريف هي إحالة تلقائية وطبيعية. فالماثل يملك في داخله كل خصائص الشيء الممثل، فالصورة كيفما كان نوعها وكذا الرسم البياني وموضوعات العالم تشغل كأيقونات، فمع العلامة الأيقونية لا يمكن التمييز بين الماثول والموضوع فهما متطابقان، ويميز بورس بين ثلاثة أنواع من الأيقونات.

⁵⁴ميرتو إيكو: المرجع السابق، ص 109

⁵⁵ سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، ص 115، 116

⁵⁶ Peirce C S: Écrits sur le signe, éd, seuil, Paris, 1978, p 139

⁵⁷ميرتو إيكو: سيميائيات الأنساق البصرية، ترجمة محمد التهامي و محمد أوداد، دار الحوار، اللاذقية، ط1، 2008، ص 30

1- الأيقون / الصورة: هو كل الصور التي تخطط بنا ،والتي نودع نسخة منها والعلاقة هنا قائمة على وجود تشابه بين الماثول و موضوعه، فما تحيل عليه الصورة هو نفسه أداة التمثيل.

2- الأيقون / الرسم البياني: في هذه الحالة نكون أمام علاقة أيقونية بين الماثول وموضوعه، قائمة على وجود تناظر بين العلاقات التي تنظم عناصر الموضوع وعناصر الماثول، مثال ذلك: البيانات التي نستعملها للإحصائيات، وكذلك النماذج النظرية في العلوم الدقيقة.

الأيقون / الاستعارة: وفي هذه الحالة نكون أمام شبكة من العلاقات المعقدة، فهي تشير إلى الطابع التناظري القائم بين الماثول والموضوع ،من خلال الإحالة على عناصر مشتركة بين الأول والثاني .فقد يتعلق الأمر بالخصائص وقد يتعلق بالبنية مثال ذلك: صورة شجرة صغيرة قد توحى بالطفولة، والتشابه هنا لا يتعلق بعناصر محسوسة ومشاركة ، بينها بل يتعلق بخصائص مجردة كالطراوة والنضارة والعنفوان.⁵⁸

ويرى إيكو أن مسألة الشبه فيها قدر كبير من النسبية، وأنها تخضع للمواضعة ،"وعلى هذا الأساس فإن المشكلة كلها تكمن في المعنى، الذي نعطيه لعبارة في بعض مظاهرها. بمعنى أن العلامة الأيقونية تشبه الشيء في بعض مظاهره ،ولعل تعريفاً كهذا، يمكن أن يرضي الحس السليم لكنه لن يرضي السيميائيات".⁵⁹

إن إيكو رفض فكرة التشابه هذا أو عوض ذلك بقوله بالتسنيين المسبق، الذي يتحكم في إدراك العلامات الأيقونية، فالأشياء التي ترى وتدرك بالعين أي كل ما يشغل كعلامات أيقونية، لا ينظر إليها في حرفيتها، وإنما يتم التعامل معها باعتبارها عناصر منضوية داخل هذا النسق أو ذاك.

من هنا ،فإن العلامات الأيقونية تشتغل رغم كونها محكومة ظاهرياً، على الأقل بمبدأ التشابه، وفق سنن "Code" أيقوني مجرد نمط إنتاج أو إعادة إنتاج عناصر التجربة الواقعية، فإدراك الواقع عبر العلامة الأيقونية، لا يتم إنطلاقاً مما تشتمل عليه هذه العلامة من عناصر قادرة على إحالتها على تجربة واقعية، بل عبر معرفة سابقة وهذه المعرفة تمكننا في الآن نفسه من الإمساك ببنييتين: بنية إدراكية متولدة عما توفره العلامة الأيقونية كتمثيل ذهني عام، وبنية واقعية في منطلق التمثيل وأصله. وهذا يعني أننا لن ننقل آلياً من الدال الأيقوني إلى ما يوجد خارجه، إلا عن طريق الوسيط الرابط بين الطرفين.⁶⁰

بناء على ما سبق ذكره، يمكن القول كخلاصة أن الأيقون، كأحد الأنواع الكبرى للعلامة، هو علامة تحيل أو تشير، بناء على التشابه، إلى شيء أو موضوع ما ، أي أن هناك مجالاً للمشاهدة ما بين العلامة (الأيقون) والموضوع الذي تدل عليه.

⁵⁸ سعيد بنكراد: السيميائيات و التأويل، ص 116، 117

⁵⁹ أميرتو إيكو: سيميائيات الأنساق البصرية، ص 32

⁶⁰ سعيد بنكراد: المرجع السابق، ص 118

المطلب الثاني: المؤشر

"إن المؤشر هو علامة أو تمثيل يحيل على موضوعه، لا من حيث وجود تشابه معه، ولا لأنه يرتبط بالخصائص العامة التي يمتلكها هذا الموضوع، ولكنه يقوم بذلك لأنه مرتبط ارتباطاً دينامياً بما في ذلك الارتباط الفضائي مع الموضوع الفردي، من جهة ومع المعنى أو ذاكرة الشخص الذي يشتغل عنده هذا الموضوع كعلامة من جهة ثانية"⁶¹. فإذا كانت الإيقونة مرتبطة بموضوعها بالتشابه، فعلاقة المؤشر بموضوعه علاقة مباشرة وحيوية.

فهناك علاقة مجاورة في المؤشر، فهو علامة فريدة ووحيدة تحيل على موضوع وحيد وفريد، يمتلك صفته وفق أمثلة المؤشرات الكلاسيكية، كالدخان الذي هو علامة النار، فالدخان والنار يرتبطان عضوياً. وبنفس الطريقة ينبغي أن نفهم أن عرضاً ما هو إشارة لمرض ما، أصيب به شخص محدد، كما يشير النجم القطبي إلى الشمال، وأن الساعة التي يشير عقربها الصغير إلى 03، وعقربها الكبير إلى 12، تشير إلى الساعة الثالثة.⁶²

فالانتقال من الماثول إلى الموضوع يتم بحكم التجاور الوجودي، لا بحكم القانون أو التشابه. فالدخان دليل على النار رغم عدم وجود أي تشابه بين الدخان والنار، فالإشارات قد تكون طبيعية وقد تكون اجتماعية، وقد تكون لغوية. فالماثل داخل العلاقة الإشارية يحيل على موضوعه بحكم التجاور، فالأمانة علامة تنير انتباهك إلى وجود شيء ما، عبر دافع ما وهذا الدافع لا علاقة له بالتشابه. فالمؤشرات تنتمي إلى كل الأنظمة والأنساق الدلالية اللسانية وغير اللسانية، بما فيها الجسدية والصورية التي تسمح بربط دينامي مباشر أو غير مباشر، بين الأفراد والأشياء.⁶³

ففي المنظومة اللسانية مثلاً هناك مؤشرات تستخدم للتواصل، ولإنتاج دلالة مرتبطة بسياقها الزماني والمكاني. ومنفعتاتها المعرفية، على مستوى تلقي المعلومة والغرض منها. فتواجد شخص بقرية ريفية، وسماعه صوت شخص يسوق دابته قائلاً له "احذر"، "احذر"، فيصبح لفظ "احذر" مؤشراً دلالياً من أجل لفت انتباه الراحل وتجنب الاصطدام به، فنتيجة هذا الصوت هي التأثير في المستمع ومحاولة إزاحته عن الطريق، ليفسح له مجال المرور، فهو إذن مؤشر لأن القصد منه جعل الراحل في علاقة واقعية بالنسبة للدابة، التي تدنو منه وتقرب.

وبالإمكان أخذ أمثلة أخرى، لها علاقة بمنظومات أخرى غير لسانية: فمقياس الضغط الجوي المنخفض والمناخ الرطب على سبيل المثال، الذي تخبر عنه مصلحة الأخبار الجوية في التلفاز، مؤشر احتمالي على أن المطر سيسقط، أي يقع افتراض أن قوى الطبيعة تقيم رابطاً احتمالياً بين انخفاض الضغط الجوي والمناخ الرطب، والمطر الذي سيهطل.

⁶¹ سعيد بنكراد: المرجع السابق، ص 119

⁶² جيرارد دولودال: السيميائيات، ترجمة عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 2004، ص 108، 109

⁶³ سعيد بنكراد: المرجع السابق، ص 119، 120

وناعورة الهواء التي تستعمل لجلب المياه من جوف الأرض، أو إنتاج الطاقة الشمسية هي مؤشر على مجرى الرياح واتجاهها. فالمؤشرات، منها ما له علاقة بالأنساق اللسانية، ومنها ما له علاقة بأنساق غير لسانية، وهو ما يؤكد أن المؤشر يعم مختلف جوانب الحياة، البشرية وأصعدها الإدراكية وقنواتها التواصلية وفضاءاتها المعرفية.⁶⁴

وعلى عكس الرمز مثلا فإن المؤشر يحتاج إلى سند زمني ومكاني، هو الذي يحدد له وجوده. فالدخان وآثار الأقدام والأشياء التي يتركها المحرم في مكان الجريمة، لا يمكن أن تؤوّل باعتبارها أمارات، إلا ضمن سياق زمني ومكاني بعينه. من هنا كان للمؤشر وظيفة مرجعية فقد نُظر إليه دائما باعتباره الوسيط المحسوس بين الكائنات البشرية وبين الأشياء.

وإذا كانت العلاقة الأيقونية بين الماثول والموضوع تعد شرطا أساسيا لكل سيميوز، ولكل تواصل لأنّها تؤسس لعلاقة تواصلية بين الماثول وموضوعه، فإن العلاقة الإشارية لا تقل أهمية عن العلاقة السابقة داخل السيميوز. لأنّها تمكن من إبلاغ كل ما هو منفصل ومختلف وتكشف عن فحواه.

بل يمكن القول أن هذه العلامة هي شرط إمكانية وجود التجربة ذاتها، فالإشارة مثلا في المجال المسرحي، ومن خلال طبيعتها المرجعية، تشتغل دائما باعتبارها ما يحيل على السيرورة السردية، لهذا فإن موقعها داخل السيميوز موقع أساسي. بل بالإمكان المضي أبعد من ذلك، فاللغة الإيمائية (اللغة الجسدية) بصفة عامة، قائمة في جزء هام منها على الإشارة، فغياب هذا البعد داخل التجربة الإنسانية معناه تحويل هذه التجربة إلى كيان أعمى وأخرس، وفقد لكل قدرة على التواصل.

وهذا ما يكشف عن البعد التواصلية الهام الذي تضطلع به المؤشرات، وتجدد الإشارة هنا إلى أن المعرفة التي تمدنا بها الإشارة معرفة قائمة بذاتها، شأنها في ذلك شأن المعرفة التي تأتينا عن طريق الأيقون، على وجود سنن يسمح بتأويل الإشارة تأويلا صحيحا، ففي غياب معرفة خاصة بالآثار التي يمكن أن تتركها الأفعى، على سبيل المثال على الرمل، لا يمكن للمتلقّي أن يؤوّل هذه الآثار باعتبارها آثارا خاصة بالأفعى، فقد يخلص هذا المتلقّي إلى القول بأن الأمر يتعلق بحادث طبيعي لا غير.⁶⁵

وخلاصة القول أن المؤشر باعتباره هو الآخر صنفا ماثلا للعلامات، كما هو الحال عند بورس فإنّه وعلى خلاف الأيقون، الذي تكون فيه العلاقة بين العلامة والشيء المشار إليه علاقة مشابهة، فإن علاقة المؤشر بالموضوع الذي يحيل عليه هي علاقة تجاور وجودي. فهناك دائما نوع من العلاقة المباشرة التي تربط المؤشر بموضوعه، كما هو الحال بالنسبة للدخان والنار.

⁶⁴ طائع الحدادي: سيميائيات التأويل، ص 316، 317

⁶⁵ سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، ص 120، 121

المطلب الثالث: الرمز

لقد عرف لالاند أندري الرمز في معجمه بأنه: "كل علامة ملموسة توحى بمقتضى علاقة طبيعية بشيء غائب أو لا يمكن إدراكه حسياً ومن ذلك أن الصولجان رمز الملكية".⁶⁶ وهذا التعريف الذي قدمه لالاند يحمل بعض ملامح تعريف بورس للرمز حيث عرفه هذا الأخير بأنه ماثل يكمن طابعه التمثيلي في كونه قاعدة تحدد مؤوله فكل الكلمات والجمل والكتب وكل العلامات العرفية الأخرى تشغل كرموز فنحن نتحدث عن كتابة أو نطق كلمة رجل و لكننا في الواقع لا نطق ولا نكتب إلا نسخة أو تجسيداً لهذه الكلمة.

فالرمز علامة اعتباطية تستند في ارتباطها مع موضوعها إلى العرف، والرمز ينحدر من طبيعة عامة ومجردة إنه ينتمي حسب بورس إلى مقولة الثانية. فهو لا يستند إلى حدث ولا نوعيات أو أحاسيس، لكي يوجد بل يكتفي بالإشارة إلى القانون أو الضرورة، ولهذا فإن العلاقة القائمة بين الماثول الرمزي وموضوعه لا تستند إلى التشابه، ولا إلى التجاور بل تستند إلى العرف الاجتماعي.⁶⁷ وإذا تم إسقاط مدلول التعريف السابق على النسق اللساني، على سبيل المثال، فإننا نجد الرمز يتخلل هذا النسق بدءاً بالكلمات إلى الجمل، والقضايا إلى مؤلفات وكتب برمتها.

فالكلمة في حد ذاتها لا وجود لها، وإذا كان لها وجود واقعي فإن واقعيتها تكمن في مدى تطابق الموجودات معها، فكلمة "إنسان" هي عند الكتابة أو النطق بها عبارة عن نسخة تجسدية، وعبارة أيضاً عن صيغة عامة لمتتالية صوتية. ولا تصوير علامة إلا بموجب عادة أو قانون للتعليم والاكتساب، وبناء على هذا القانون، يتم تأويل نسخها بأنها دالة على إنسان أو مجموعة من الناس.⁶⁸

ويسمى سوسير رمزا ما يطلق عليه بورس أيقونة، ويطلق "هجمسلف" " Louis Hjelmslev " تسمية الرمز على جميع الأنظمة، مثل الرسوم البيانية والألعاب والبنى القابلة للتأويل من قبيل التمثيلات والشعارات، مما يسميه سوسير وهجمسلف رمزا، وهو يمثل جنساً متسعاً جداً يمكن للأنواع الموجودة تحته، أن تفترق في خصوصيات كثيرة ومتعارضة. ويضع تودوروف تحت راية الرمزي، ظواهر مختلفة جداً فيما بينها، فالرمز حسب هذا الأخير هو كل ما يسمح بتأويل وتحقيق معنى غير مباشر.⁶⁹

وتجدر الإشارة في إطار هذا السياق إلى أن العلامة لا تكون رمزاً إلا إذا كانت تكثيفاً لسلسلة من النسخ السلوكية المتحققة. فلا يمكن للنسخة المفردة أن تكون رمزاً، ولا يمكن أن يؤدي السلوك الفردي إلى إنتاج رمز، فالرمز يحتاج إلى زمن والوظيفة الرمزية تنشأ من تعدد التجارب وتنوعها وتكرارها أيضاً، فالماثل الرمزي هو

⁶⁶ أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ص 1398

⁶⁷ سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، ص 121

⁶⁸ طائع الحدادي: سيميائيات التأويل، ص 320، 321

⁶⁹ أمبرتو إيكو: السيميائية و فلسفة اللغة، ص 457

نفسه، كما يعتقد بورس، من طبيعة عامة أو قانون أو علامة معيارية، إنه ليس فقط عاما ومجردا ومحروما من أي سياق، لكن موضوعه أيضًا يجب أن يكون من طبيعة عامة أي مفهوما .

وهذا القول فيه تأكيد مرة أخرى على الطبيعة التعاقدية للرمز، فإذا كانت علاقة الماثول بموضوعه داخل العلامة الأيقونية قائمة على التشابه، وإذا كانت العلاقة داخل العلامة الإشارية قائمة على التجاور الوجودي، فإن العلاقة داخل العلامة الرمزية من طبيعة عرفية، فالأمم والشعوب تخلق انطلاقا من تجربتها سلسلة من الرموز، تستعيد عبرها قيم تاريخها فتسقط من خلالها المستقبل، وتفهم من خلالها الحاضر.⁷⁰

ويرى بورس أن الرموز تتطور من نفسها، أي أن الرمز يولد الرمز، وحالما تصبح واقعا موجودا فإنها تنتشر في الثقافات وبين الأمم، وتنمي دلالاتها عن طريق الاستعمال والتجربة، فالألفاظ مثل: قوة، قانون، ثروة، زواج... إلخ اكتست اليوم دلالات مختلفة عن الدلالات التي كانت تحملها مع من سبقنا من الأسلاف. فالرموز تحيا أي تنتشر عبر المجموعات البشرية التي تتداولها وتسخرها لمقاصدها، وهو ما يسمح لها بالتحول وتوليد رموز أخرى، في إطار التغير الدائم الذي يشهده الإنسان.⁷¹

ولقد أشار بورس إلى الدور الذي تلعبه الرموز حيث أن الرمز يمكن الإنسان من التخلص من التجربة الظرفية والمباشرة، كما يمكنه من التخلص من الكون المغلق للتناظرات، فمن خلال الرمز تتسرب ذاكرة الإنسان إلى اللغة، وعبره يدرج الإنسان رغبته ضمن أفق مشاريعه الخاصة. أي أن للرمز دورا هاما في تنظيم التجربة الإنسانية، ولكي تبلغ هذه التجربة وتصبح عامة وكونية، فهي تحتاج لأن تصب في قوالب وأبعاد رمزية.⁷²

فنجد أن "كاسيرر" Ernest Cassirer "يذهب إلى أن حياة الإنسان بدون الرمزية، ستكون مماثلة لحياة سجناء الكهف حسب أسطورة "أفلاطون" "Platon" الشهيرة. فالإنسان لا يحيا في عالم مادي خالص إنما يحيا في عالم رمزي، فاللغة والأسطورة "Mythe" والفن والدين هي عناصر من هذا العالم، فهي خيوط مختلفة تخلق نسيج الرمزية، وكل تقدم في فكر الإنسان وتجربته يعقد هذا النسيج ويقويه.

فالإنسان في فلسفة الأشكال الرمزية لكاسيرر، ليس جوهرًا خالصًا وإنما هو وحدة تعرف من خلال وظائفها الرمزية، المعبر عنها في الأشكال الثقافية، وتظهر هذه الوظيفة في تعدد وتنوع الأشكال الرمزية التي يبدعها الإنسان، فالإنسان في إطار هذه الفلسفة لا يتحدد بوصفه كائنا عاقلا أو اجتماعيا، بل بوصفه كائنا رمزيا قادرا على إبداع أشكال رمزية.

⁷⁰ سعيد بنكراد: السيميائيات و التأويل، ص 121، 122

⁷¹ طائع الحدادي: سيميائيات التأويل، ص 320

⁷² سعيد بنكراد: المرجع السابق، ص 122

* الأسطورة Mythe: هي حكاية تقليدية تلعب الكائنات الماورائية أدوارها الرئيسية تتمتع الأسطورة بقدسية و سلطة عظيمة على عقول الناس و نفوسهم فهي حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يشف عن معاني ذات صلة بالكون و الوجود و حياة الإنسان. (انظر: فراس السواح: الأسطورة و المعنى، دار علاء الدين، دمشق، ط2، 2001، ص 14)

ومسوغ هذا الكلام أن الجانب الاجتماعي للإنسان يتقاطع فيه مع بعض الحيوانات ، فالإنسان لا يعي ذاته إلا في إطار جماعة معينة إلا انه يتميز، عنها في كونه يشارك بكل فاعلية في تشكيل أشكال الحياة الاجتماعية وله القدرة على تحويلها وتغييرها ونقدها ، فأشكال التعبير المختلفة التي ابتدعها الإنسان مع مرور الزمن والتاريخ ، أصبحت تشكل عالما ووجودا ثانيا بالنسبة له ، وهذا كله عن طريق الرمز الذي اعتبره كاسيرر الطاقة الفكرية التي بواسطتها يصبح مضمون معين من الدلالات الفكري مرتبطا بعلامات حسية وواقعية⁷³.

فلا يمكن للإنسان أن يوجد دائما أمام الحضور المباشر للواقع، ولا يمكن أن يراه دائما وجها لوجه إن صح التعبير، إذ يبدو أن الواقع المادي يتراجع بمقدار ما يتقدم النشاط الرمزي، فالإنسان تحيط به أشكال ثقافية مختلفة، تستدعي تدخل الوسيط الاصطناعي المتمثل في "الرمز". وقد ذهب كاسيرر إلى أبعد من هذا، فقد اعتبر أشكال الحياة الثقافية كلها للإنسان في غناها وتنوعها، أشكالا رمزية ورأى ضرورة تعريف الإنسان بوصفه حيوانا رمزيا، حتى يتمكن من تعيين الاختلاف الخصوصي للإنسان.⁷⁴

وقد أوجز إيكو أصناف العلامة البورسية، باعتبار نوعية العلاقة المفترضة بين الموضوع والمرجع كالآتي:

1- الأيقون: هو علامة تحيل على موضوعها وفق تشابه، تستند إلى تطابق خصائصها الجوهرية مع بعض خصائص هذا الموضوع. فالصورة الفوتوغرافية والرسم البياني هما على سبيل المثال من قبيل العلامات الأيقونية.

2- المؤشر: علامة لها رابط فيزيقي مع الموضوع الذي تحيل عليه، كحالة الأصبع الذي يشير إلى موضوع ما وحالة دوار الهواء التي تحدد اتجاه الرياح، و الدخان كدليل على وجود النار. ويدخل في هذا الإطار تصنيف أسماء الإشارة مثل "هذا"، "ذاك"، "هذه"، ضمن المؤشرات وأيضا أسماء الأعلام والأسماء المشتركة، إذا كانت تستعمل من أجل الإشارة إلى شيء محدد.

3- الرمز: علامة تقوم ببناء على العرف والتعاقد: وأبرز مثال على ذلك العلامة اللسانية، ويرى إيكو أن استعمال هذا التمييز الثلاثي في أعمال كثيرة، جعله يفقد المعنى الذي يعطيه له بورس، وانتشار هذا التوزيع يعود إلى كونه يستجيب لمتطلبات الحس السليم، إلا أنه في حالة خضوعه للتحليل سيظهر بأنه قابل للنقد، لأنه سي طرح مشاكل من الصعب تجاوزها.⁷⁵

وما يمكن استنتاجه كخلاصة من خلال ما سبق ذكره، أن الرمز كأحد الأصناف الكبرى للعلامات هو علامة تقترن بموضوعها الذي تحيل عليه استنادا إلى العرف أو بعبارة أخرى فإن العلاقة القائمة بين العلامة الرمزية وموضوعها تتأسس بناء على العرف الاجتماعي، كما هو الحال على سبيل المثال بالنسبة للميزان كرمز والعدالة

⁷³ الزواوي بغوره: الفلسفة واللغة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص 78، 79، 80

⁷⁴ مبارك حنون: دروس في السيميائيات، ص 83

⁷⁵ أمبرتو إيكو: العلامة تحليل المفهوم و تاريخه، ص 190، 191

كموضوع يحيل عليه هذا الرمز بحكم العرف.

النّاتج:

- 1- إنّ مفهوم العلامة كما هو وارد من خلال المعاجم اللّغوية، على اختلافها النسبي، لا يُخرج، على وجه العموم، العلامة عن كونها كل ما يحمل دلالة عن شيء آخر.
- 2- إنّ معنى العلامة في الاصطلاح الفلسفيّ، بصرف النظر عن الفروقات الموجودة بين الفلاسفة، هو الآخر لم يتعد كثيراً عن المعنى اللغوي الوارد في المعاجم.
- 3- إنّ ما قيل في التّيجتين السابقتين، ينسحب كذلك على مفهوم العلامة في الاصطلاح السّيميائي، حيث لم يُخرج السّيميائيون العلامة كثيراً من دائرتها التي وضعها فيها اللغويون و الفلاسفة.
- 4- سيمياء التّواصل حصرت العلامة في حدود الفضاء الإبلاغي التّواصلي، الذي جعلت منه المحور الأساسي الذي تدور في فلكه السيميولوجيا ككل.
- 5- العلامة في منظور بورس، تصنع العالم وتحركه وتصيغه، وترتبط بالتصورات الفينومينولوجية.
- 6- العلامة تتموضع في إطار سيمياء الدّلالة ضمن الطّرح البارتي، الذي قلب القاعدة السوسيرية بجعله اللسانيات تحتوي السيميولوجيا، فلا حياة للعلامة خارج هذا التّصوّر، فاللغة هي مانحة المعنى.
- 7- حياة العلامة مرهونة ببعدها الثقافي، فلا يمكن تصور علامات خارج الحقل الثقافي، فهو الذي يعطي المعنى للعلامة و خارجها فهي ميتة أو لا وجود لها.
- 8- العلامة كمصطلح عام تنضوي تحتها مصطلحات أخرى، تأخذ خصائصها العامة. و هذه المصطلحات ليست مرادفات للعلامة، كما يعتقد البعض أو كما جرى استعمالها، بل تمثّل أنواعاً للعلامة كالأيقون، الإشارة و الرمز.
- 9- الأيقون و المؤشر و الرّمز تعتبر أنماطاً للعلامة، و مكمن الاختلاف بينها هو طبيعة العلاقة التي تربطها كعلامات مع الموضوع الذي تحيل عليه.
- 10- طبيعة العلاقة التي تربط الأيقون كعلامة، بالموضوع الذي يحيل عليه هي علاقة مشابهة.
- 11- إنّ العلاقة المباشرة المتمثّلة في التجاور الوجودي، هو ما يربط المؤشر بالمُشار إليه.
- 12- إنّ العرف الاجتماعي هو الذي يؤسّس للعلاقة التي تربط الرّمز، كطرف مادي بموضوعه أو ما يمثله هذا الرمز. فالعلاقة، إنّ جاز التعبير، هي علاقة عرفية بين الرّمز و المرموز له.

الفصل الثاني

مصطلح العلامة عند مرو لان بامرت

المبحث الأول: العلامة بالمفهوم البارتي.

المطلب الأول: تعريف العلامة.

المطلب الثاني: تعريف الدال.

المطلب الثالث: تعريف المدلول.

المبحث الثاني: الأنظمة الشائية المحددة للعلامة عند بارت.

المطلب الأول: اللسان/الكلام.

المطلب الثاني: المركب/النظام.

المطلب الثالث: التقرير/الإيحاء.

مُهَيِّدٌ

من خلال عرض المبحث الثاني للفصل الأول، الذي تناول المعنى و المميزات الأساسية التي تكتسبها العلامة، بناء على رؤية أربع مدارس سيميائية كبرى: سيميائ التّواصل، سيميائ بورس، سيميائ الدّلالة و سيميائ الثّقافة. و بصرف النظر عمّا اتّفقت فيه و اختلفت حوله، و تماشياً مع مقتضيات هذا البحث في المقام الأول، اتّضح أن سيميائ الدّلالة تنتسب أساساً إلى رولان بارت، و قد تجلّت من خلال هذا المبحث، و قد تجلّت من خلال هذا المطلب بعض الملامح و الميزات الأساسيّة للعلامة البارتية، لكن يبدو أن الكثير من التّفصيلات حول هذه الأخيرة تبقى تتطلب الايضاح أكثر.

و بما أنّ البحث أساساً يتناول العلامة من منظور رولان بارت، فمقتضى الحال يفرض بأن يتضمن هذا الفصل التعريف بالعلامة وفقاً للرؤية البارتية، بناء على أسس نظريّته السّمبولوجية، ذلك أن المفهوم الذي يمنحه أي باحث سيميولوجي للعلامة، يعد مفتاحاً أساسياً لا غنى عنه لفهم توجهه الفكري على وجه العموم، و رؤيته السّمبليّة على وجه الدقة والتحديد، كما هو الحال بالنسبة لكبار السّمبليّين أمثال سوسير و بورس و غيرهم، إضافة إلى أنّ تعريف بارت للعلامة يظهر ما يتفق و ما يختلف فيه عن غيره من السّمبليّين.

و توضيحاً لمعنى العلامة و عناصرها من وجهة نظر بارت، ضمّنت الفصل مبحثين: الأول عرضت من خلاله مفهوم العلامة و عناصرها الأساسيّة المشكّلة لها، المتمثّلة في الدال و المدلول. و بما أن بارت كمفكر بنيويّ التوجّه، فهو لم يفصل العلامة عن أسس اللّسانيات البنيويّة، المتمثّلة في الأنظمة الثنائية المتفصلة، و يتجلى ذلك من خلال ثنائية النظام / المركب و ثنائية اللسان/الكلام و ثنائية التقرير/الإيجاء، حيث تعتبر هذه المحاور الثنائية التركيب الفضاء الذي تتواجد فيه العلامة، وتتحدد في إطاره، و قد تناولت هذه المحاور الثنائية كمبحث ثان لهذا الفصل.

المبحث الأول: العلامة بالمفهوم البارتي.

المطلب الأول: تعريف العلامة

"إن المدلول والدال في الاصطلاح السوسيري هما مكونا العلامة"⁷⁶، هذه هي العبارة التي استهل بها بارت حديثه أو بالأحرى تعريفه للعلامة، وهي حسب بارت مصطلح شديد الغموض لتعدد معانيه وغنى تاريخه، والتباسه الدلالي، فهو يحتل مكانة عائمة في المجال المفهومي الذي ينتمي إليه، فهو يندرج ضمن سلسلة من الحدود المتصاهرة المتنافرة، المتقاربة والمتغايرة مثل: الإشارة والمؤشر والأيقونة والرمز فهي تمثل حدودا منافسة للعلامة.⁷⁷

ولكن هناك عنصر مشترك يقرب بين هذه الحدود، حسب بارت، ويتضح ذلك من خلال قوله: "ولنحدد أولا العنصر الذي تشترك فيه كل هذه المصطلحات، بحيث تحيل جميعا وبالضرورة إلى علاقة بين طرفين"، أي أن هذه المصطلحات تحيل جميعا وحتما إلى علاقة بين متضايفين، ولكن هل هذه السمة أو هذا الملمح يساعد على التمييز بين هذه المصطلحات؟ ولكن هذه السمة لا يمكن أن تميز أيّا من المصطلحات عن باقي السلسلة، وبالتالي يجب أن نعلم إلى مصطلحات أخرى، حتّى نعثر على تنوع أوفر في المعنى وسنقدم هذه السمات على شكل تراوح (الحضور والغياب)."⁷⁸

فمن أجل الحصول على تغير في المعنى ينبغي الإحتماء بملامح وسمات أخرى، توجهها صورة بديل: الحضور/الغياب بناء على مقولات من نوع: التمثيل والمشابهة والمباشرة والمطابقة والوجودية.⁷⁹

- 1/ إما أن تتضمن العلاقة أو لا تتضمن التمثيل النفسي لأحد الطرفين (التمثيل).
- 2/ إما أن تتضمن العلاقة أو لا تتضمن مشابهة بين الطرفين (المشابهة).
- 3/ إما أن تتضمن العلاقة أو لا تتضمن علاقة مباشرة بين طرفين أو غير مباشرة (المباشرة).
- 4/ إما أن يتطابق الطرفان تطابقا تاما، أو على العكس من ذلك يتجاوز أحدهما الآخر. (المطابقة).

⁷⁶ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ص 61

⁷⁷ طائع الحدادي: سيميائيات التأويل، ص 331

⁷⁸ رولان بارت: المصدر السابق، ص 62

⁷⁹ طائع الحدادي: المرجع السابق، ص 331

5/ إما أن تتضمن العلاقة أو لا تتضمن نسبة وجودية ،مع الشخص الذي يستعملها (الوجودية).⁸⁰

وعمقتضى ما إذا كانت هذه السمات إيجابية أو سلبية، فإنّ كل حد في الحقل يباين الحدود المجاورة له ،وهو ما قام به بارت عندما فحص توزيع هذا الحقل عند أربعة مؤلفين مختلفين هم: "هيغل" "Hegel Freidrich"، بورس، "يونغ" "Yoachim Yung" و"والون" "Wallon" مما يفضي إلى تناقضات حدّية يحصرها الجدول التالي:⁸¹

الإشارة	المؤشر	الأيقون	الرمز	العلامة	بحاز مرمز
1 / التمثيل	والون -	والون -	والون +	والون +	
2 / المشابهة		بورس +	هيغل + والون + بورس -	هيغل + والون +	
3 / المباشرة	والون +	والون -			
4 / المطابقة			هيغل - يونغ - والون -	هيغل + يونغ + والون +	
5 / الوجودية	والون +	والون - بورس +	بورس - يونغ +		يونغ -

فالتناقض الحدي يتمظهر على النحوالتالي:

المؤشر: وجودي عند بورس وليس كذلك عند والون، وفي الرمز هناك نسبة مشابهة بين متضايفين لدى هيغل

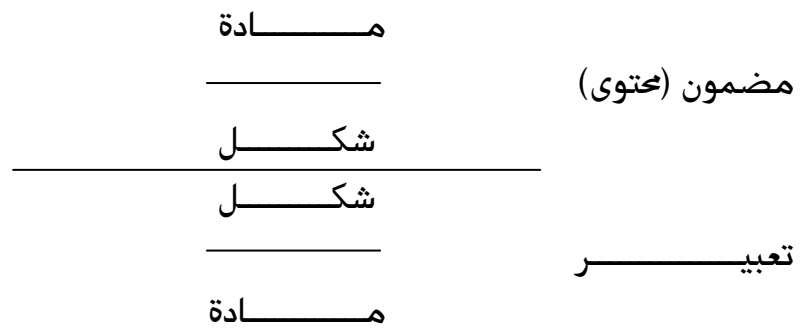
⁸⁰ مبارك حنون: دروس في السيميائيات، ص 38

⁸¹ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ص 63

ووالون، وهي غائبة لدى بورس. ثم إن الرمز وجودي في تصور يونغ وليس الأمر كذلك عند بورس، إلى جانب هذه القراءة هناك إمكان إنجاز قراءة أفقية ينظر فيها إلى طبيعة هذه الحدود، لدى كل مؤلف: فمثلاً الرمز عند هيغل قياسي والعلامة ليست كذلك، وهو عند بورس غير قياسي ومن الوجهة السيميولوجية فإن ألفاظ الحقل لا تكتسب معانيها، إلا في سياق تعارضها مع بعضها البعض، وينجلي معناها بقدر المحافظة على هذه التعارضات، ويميل رولان بارت إلى تعريف والون لهذه الحدود.⁸²

وفي تعريفه للعلامة، يؤكد بارت دائماً على التركيبية الثنائية لهذه الأخيرة: "إن العلامة مكونة من دال ومدلول، تشكل الدوال صعيد العبارة، وتشكل المدلولات صعيد المحتوى. وقد أدخل هجمسلف داخل كل صعيد من الصعيدين فرقاً، قد يكون مهماً في دراسة العلامة السيميولوجية وليس العلامة اللسانية فقط.

وكل صعيد يحتوي في الواقع بالنسبة لهجمسلف على طبقتين: هما الشكل والمادة"⁸³. فلقد كان هجمسلف أول من اقترح أكثر التحليلات دقة حول بنية العلامة، أو الرابط الدلالي. فالعلامة عند هجمسلف ليست شيئاً يحلّ مكان شيء آخر، كما كانت تقول بذلك التصورات التقليدية، فالعلامة وظيفة ناتجة عن العلاقة المتبادلة بين مستويين: التعبير والمضمون، ويمكن توضيح ذلك وفق الشكل التالي:



فداخل كل سيرورة سيميائية نكون أمام عنصرين، يعود أحدهما إلى مستوى التعبير وهو المسمى بالدال، وهو كيان حامل لعنصر ينتمي إلى المضمون أي المدلول.⁸⁴

ويؤكد بارت في معرض حديثه عن العلامة على أهمية الثنائية "شكل" و"مادة"، والتي استلهمها عن "هجمسلف"، فالشكل ما يمكن وصفه بصفة شمولية وببساطة وانسجام، دون اللجوء إلى مقدمات غير لسانية. وبما أن هذين المصطلحين على صعيدي العبارة والمحتوى فإننا سنحصل على:

1/ مادة التعبير: كالمادة الصوتية المنطوقة، غير الوظيفية التي يهتم بها علم الأصوات.

⁸² طائع الحداوي: سيميائيات التأويل، ص 332

⁸³ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ص 66، 67

⁸⁴ أمبرتو إيكو: العلامة تحليل المفهوم و تاريخه، ص 136

2/ شكل التعبير: وتشكله القواعد الاستبدالية والتركيبية.

3/ مادة المحتوى: ويتعلق الأمر على سبيل المثال: بالمظاهر الانفعالية والإيديولوجية للعلامة.

4/ شكل المحتوى: يتعلق الأمر بالتنظيم الشكلي للمدلولات فيما بينها، وذلك بواسطة غياب أو حضور سمة دلالية.

ويعتقد رولان بارت أن ثنائية: شكل/ مادة تصبح ذات بعد نفعي، وسهلة الاستعمال في السيميولوجيا في الحالتين التاليتين:

1/ عندما نجد أنفسنا أمام نسق تتجسد فيه المدلولات في مادة أخرى، غير مادة نسقها الخاص وتلك هي حالة: الأزياء المكتوبة.

2/ عندما نكون بصدد نسق دلالي يحتوي على مادة غير دالة بشكل مباشر وظيفي، غير أنه يمكنها أن تكون في مستوى معين نافعة لاغير: ذلك أن أكلة ما، تستخدم للدلالة على حالة ما لكنها تستخدم أيضاً للتغذية.

ومن منطلق التحليل الذي قدمه بارت، يحدد لنا طبيعة العلامة السيميولوجية، مقارنة بالعلامة اللسانية من خلال قوله بأن العلامة السيميولوجية تتكون على غرار نموذجها من دال ومدلول، فلون الضوء في قانون المرور مثلاً هو عبارة عن أمر يتعلق بالسير أو التوقف في قانون المرور، لكن العلامة السيميولوجية تختلف عن العلامة اللسانية على مستوى المادة. ذلك أن العديد من الأنساق السيميولوجية (أشياء، إشارات، صور) تكون مادة التعبير فيها مغايرة للدلالة، وهي في الغالب أشياء للاستعمال، تحملها المجتمع غايات دلالية، فاللباس يقي الجسم ويغطيه كما أن الطعام يستخدم للتغذية، ولكنهما يصلحان للدلالة على شيء ما أيضاً.

ويضيف بارت بأن السياق الاستعمالي للعلامة، يجعلها تشيع بالدلالة ويقترح تسمية هذه العلامات السيميائية، ذات الأصل النفعي الوظيفي بـ "العلامات الوظائف (Fonctions signes) لأنها تستعمل وتحمل الدلالة في الوقت نفسه، فالعلامات الوظائف في وجهها الأول تحمل معنى محدداً لها، وفي الوجه الثاني تتجه نحو اكتساب معانيها الدلالية، وذلك بتأثير من المجتمع الذي يحول كل استعمال إلى علامة على هذا الاستعمال.

وتوضيحا لما سبق يمكن القول بأن العلامة السيميولوجية، سواء كانت لغوية أو غير لغوية مرهونة باستعمالها، أي بالبعد النفعي. وهكذا تمتلك دلالتها الإضافية أو الخاصة من استعمالها، فعلى سبيل المثال ارتداء معطف شتوي يهدف إلى الوقاية من المطر، لكن هذا الاستخدام لا ينفصل أبداً على كونه دليل حالة مناخية معينة، أي أن الدال والمدلول للعلامة السيميولوجية لا يرتبطان ولا ينتجان الدلالة، إلا في سياق محدد، فهي الوحدة التي

وما يمكن قوله قبل ختام هذا المطلب، أن "بول ريكور" Paul Ricœur " قد خالف بارت في تصوره للعلامة، فإن اعتبر هذا الأخير العلامة هي الكلمة المفردة، فإن ريكور يرى أن العلامة، موضوع السيمياء، هي شيء افتراضي والشيء الفعلي الحقيقي الوحيد هو الجملة، لأنها الحدث الفعلي في لحظة التكلم، وهذا هو السبب الذي يجعلنا لا نستطيع أن نعبر من الكلمة، بوصفها العلامة المعجمية، إلى الجملة بتوسيع منهجية واحدة لتشمل وحدات أكثر تعقيدا.

فالجملة وهي وحدة الخطاب الأساسية في رأي ريكور، ليست مجرد كلمة أوسع أو أعقد من الكلمة المفردة، بل هي وحدة من نوع آخر فالجملة كل لا يتجزأ إلى كلمات عدة بل الكلمات شيء والجملة شيء آخر، فالجملة كل غير قابل للتجزئة إلى مجموع أجزائه، صحيح أنها تتكون من كلمات لكنها لا تؤدي الوظيفة الاشتقاقية لكلماتها المفردة، فالجملة تتكون من علامات وليست علامة.

ووقوفاً عند هذا الحد، يتضح أن بارت اختزل العلامة اللغوية في عنصرين هما الدال والمدلول مع التغييب الكلي للواقع الخارجي، وهذا فيه افتراض لانفصام العلاقة بين اللغة والواقع الخارجي، على اعتبار أن العلامة هي علاقة بين دال ومدلول دون إحالة على الخارج، وهذا الانفصام في رأي ريكور يجعل الأنظمة اللغوية أنظمة مكتملة ومغلقة، تنطوي ضمناً على جميع العلاقات الممكنة في داخلها، وبالتالي لا علاقة لها بالواقع الخارجي.

وفي حدود هذه المسلمة لا تظهر اللغة بوصفها وسيطاً بين العقول والأشياء بل تشكل عالمها الخاص بها، الذي تشير فيه كل وحدة منه إلى وحدة أخرى من داخل هذا العالم نفسه، فاللغة لم تعد "صورة حياتية" بتعبير فـدجنشتين بل صارت نظاماً مكتفياً بذاته، وذات علاقات داخلية فقط، فقد أصبحت اللغة في إطار هذا الفضاء البنيوي وسيطاً بين علامات وعلامات أخرى، وعند هذه النقطة بالضبط تختفي اللغة بوصفها خطاباً من وجهة نظر ريكور.⁸⁶

فهناك صلة بين اللغة والشرط الأنطولوجي للوجود في العالم، فاللغة ليست عالماً مستقلاً بذاته فنحن من ينقل تجاربنا إلى اللغة، وفكرة نقل التجربة إلى اللغة، هي الشرط الأنطولوجي للإحالة وهو شرط ينعكس في اللغة، بوصفها مسلمة تفرض استناداً إليها الوجود الموضوعي للأشياء الجزئية التي تدل عليها، وهذا التسليم بالوجود الموضوعي من حيث هو أساس لتحديد الهوية، هو ما قصده "فريجه" Gottlob Frege " حين قال بأننا لا نرضى بالمعزى وحده بل نفترض قبلاً وجود الإحالة.⁸⁷

وخلاصة القول أن بارت لم يخرج كثيراً عن حدود التصور السوسيري للعلامة، فهو على غرار دوسوسير

⁸⁵ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ص 68، 69، 70

⁸⁶ بول ريكور: نظرية التأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2003، ص 10، 9، 11

⁸⁷ المرجع نفسه، ص 51

يعتبر العلامة وحدة ذات طابع مزدوج، "دال /مدلول"، فهو بذلك يقضي الشيء المسمى أو المرجع. كما أنه ينظر إلى العلامات غير اللسانية أو كما يسميها العلامات السيميولوجية، انطلاقاً من النموذج اللساني، فهو يعطي الأولوية والأفضلية للعلامة اللسانية التي تشكل المرجع والمعيان لمختلف العلامات الأخرى.

المطلب الثاني: الدال

يعتبر رولان بارت الدال من طبيعة ترابطية، ويستحيل فصل تعريفه عن تعريف المدلول. فهو لم يفصل في تعريفه وإعطاء سماته بل اكتفى ببيان طبيعته، ويظهر ذلك من خلال قوله: "إذا يمكن القول فقط بأن ماهية الدال مادية دائماً سواء كانت أصواتاً، أشياء، أو صوراً"⁸⁸. فالدال عند بارت ليست كيانات قائمة بذاتها، فهي لا تمتلك استقلالاً ذاتياً، إنما باستمرار وعلى الدوام تمد إصبعها للإشارة إلى وجود مدلول يكمن خلفها، وهي لن تكون أكثر من تشكيل لفظي أو كتابي بدون وجود مدلول يسند وجودها.⁸⁹

ويقصد بارت بقوله أن الدال ذو ماهية مادية، أنه يمثل الوسيط المادي للمدلول أو هو الشكل الخارجي الذي يتمظهر من خلاله المدلول. لكنّه لم يذهب إلى أبعد من هذا، مما قد تحمله كلمة "مادية" من دلالات أخرى⁹⁰، كما أن الدال عند بارت هو امتداد لمفهوم سوسيرله، من بعض جوانبه رغم أنه اعترض على جوانب أخرى، كما هو الحال بالنسبة لطبيعته.

فسوسيراعتبر أن الدال ذو طابع تجريدي، إذ هو عنده يمثل صورة سمعية مشتقة من كيان صوتي، فالصورة السمعية عبارة عن الانطباع النفسي للصوت، فقد يبدو الدال من الوهلة الأولى ذا طبيعة حسية ملموسة، لكنه ليس كذلك بل هو ذو طبيعة نفسية، فنحن لا نحتاج إلى استحضار الجزء المادي في تعريفه، فآلة الصوت لا تحدد مضمون الصوت، ومن هنا فإنّه البصمة النفسية التي تلتقطها أذن المتلقي، أو يقوم بتشكيلها فم الباث فالدال حب سوسير ذو طبيعة نفسية. فنحن نستطيع أن نتحدث إلى أنفسنا، أو نستظهر مسرحية أو قصيدة دون تحريك الشفاه.

كما أن الدال مفروض وليس حراً، فالذات المتكلمة لا تستشار في أمره، ومن ثم لا نستطيع تبديله، ولا تغييره فهو نتيجة عرف وسلطة العرف أقوى وأعمق من سلطة القانون. فالدال الذي يختاره اللسان لا يمكن استبداله بآخر، لأنّه ينفلت من إرادتنا ومن قدرتنا على إحلال عنصر آخر محله.⁹¹

⁸⁸ المصدر السابق، ص 77

⁸⁹ ينظر الموقع: <http://saidbengrad.com/al/n12/11.htm>

⁹⁰ رولان بارت: المصدر السابق، ص 81

⁹¹ سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها، ص 77

ويؤكد بارت، وقد سبقه إلى ذلك سوسير و" بنفنيست " Emile Benveniste "، على تعدد اللغات واختلاف الدوال وتشابه المدلولات تقريبا، وهذا يعني أن الدوال تمتلك بنية ذات طبيعة وظيفية، فهي تشير إلى واقع تعمل عليه هي المدلولات، التي تأخذ الحيز الثابت في كيانها الوجودي، على العكس من الاختلاف الوجودي للدوال، في طبيعتها التشكيلية صوتًا وكتابةً.

فعندما نقول ثور (OX) باللغة الإنجليزية أو ثور باللغة العربية، يفهم على الفور أنهما تعنيان الحيوان "ثور" فالحيوان "ثور" يبقى (المدلول) والقاسم المشترك، بين دالين مختلفين لفظًا وكتابةً أي دالين متباينين لمدلول واحد، فما ينتج عن ترجمة موحدة لجميع اللغات دوال مختلفة ومدلول واحد فقط.

لكن سوسير أراد انفتاحا أكثر لهذه العلاقة غير المتوازنة، فحاول كسر هيمنة المدلول على الدوال و جعل للدوال ظلالا دلالية، يكونها مصدر نفسي هو الشخص المستقبل للدال، فنقل المدلول من رقعته الثابتة معجميا وسوسيولوجيا إلى حرية الفضاء السيكلوجي، وتنفس الدال عبر منافذ جديدة لمدلولات مختلفة وليس لمدلول واحد فقط، فقد يعني الدال ثور عند شخص أو عند مجموعة أشخاص المدلولات التالية: الحيوان ثور، مصارعة الثيران، الغضب والعصبية، الممجية ومدلولات أخرى.⁹²

ومن وجهة نظر بارت فإن عملية تصنيف الدوال تمثل البنية الحقيقية للنظام، والمقصود من ذلك هو تقطيع الرسالة المتكوّنة من مجموع الرسائل، المبنوثة على مستوى المتن المدروس إلى وحدات دالة صغرى، بفضل الاختيار الاستبدالي وجمع الوحدات في أصناف، وتصنيف العلاقات التركيبية التي تربط بين هذه الوحدات.⁹³

وما يمكن استنتاجه من خلال ما سبق ذكره، هو أن الدال، كعنصر أساسي، مشكل للعلامة كوحدة كلية، وفق المنظور البارتي، يدخل في علاقة شديدة الالتحام مع المدلول، والدال ذو طبيعة مادية أو هو كيان مادي، وليس ذو طبيعة نفسية كما ذهب إلى ذلك سوسير.

⁹² ينظر الموقع: <http://saidbengrad.com/al/n12/11.htm>

⁹³ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ص 77

المطلب الثالث: المدلول

يعرف بارت المدلول بقوله: "لقد أسفرت طبيعة المدلول في اللسانيات، عن نقاشات انصبت أساسا على درجة واقعيته، وهي مع ذلك تتفق جميعا في كون أن المدلول ليس شيئا، ولكنه تمثل نفسي للشيء، ولقد حدد سوسير جيدا الطبيعة النفسية للمدلول حينما سماه: مفهوما".⁹⁴

أي أن المدلول ليس ذلك الشيء الواقعي الملموس الذي تعينه العلامة، إنما هو التمثيل الذهني للشيء، فهو ذو طبيعة نفسية وقد عبر سوسير عن المدلول بلفظ المفهوم، وهو أكثر تجريدا من الصورة الصوتية فهو ذو طبيعة مجردة⁹⁵، فالمدلول حسب رولان بارت هو التصور الذهني الذي نملكه عن شيء ما، في العالم الخارجي فهو ليس الشكل المادي ولا يمكن أن يكونه، إنه الصورة المجردة التي يمنحها اللسان للشيء عبر التعيين والتسمية، فالشيء لا يحضر في الذهن عبر مادته إنه يأتي إليه من خلال بنية شكلية، تعد تكثيفا لمجموعة من الخصائص، التي تمكننا من استحضار هذا الشيء وفق سياقات متعددة.

وإذا كان بارت قد استوحى مفهوم المدلول من سوسير، فإن هذا الأخير رغم أنه لم يكن واضحا بما فيه الكفاية في تعريفه للمدلول، فإنه مع ذلك كان قطعيا في تحديد جوهره، فالمدلول ليس شيئا ولا يعين مرجعا، إنه يكتفي بالإحالة على قسم من الأشياء وفق سيرورة تقليدية، تقود إلى تجريد الظاهرة وتحويلها من الملموس إلى المجرد.⁹⁶

فسوسير حدد المدلول بمدى أوسع من نطاقه المعجمي، وأطلقه في فضاء الدلالة السيكلولوجية، بارتباط التصور النفسي للكلمة بما تحمله من مفهوم يحدده هذا التصور. فهو بدلا من أن يعطي للكلمة مطلقة التشكيل الدلالي، سحب بساط السلطة من تحت قدميها وأسنده للتصورات النفسية، والمقصود بها الفهمية على المستوى الذهني الشخصي. فعلى حد معنى مثاله المتداول لن يكون مدلول كلمة ثور، هو الثور كحيوان بكيانه الوجودي، إنما صورته النفسية وهذا ما تتفق عليه اللسانيات عموما، كما يشير إلى ذلك بارت.⁹⁷

⁹⁴ المصدر السابق، ص 71

⁹⁵ مبارك حنون: دروس في السيميائيات، ص 37

⁹⁶ سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها، ص 77

⁹⁷ ينظر الموقع: <http://saidbengrad.com/al/n12/11.htm>

ويرى بارت أن أول النقاشات التي انصبت حول طبيعة المدلول، مثلتها المدرسة الرواقية⁹⁸ "Stoïcisme" فهم كانوا يميزون بعناية بين التمثيل النفسي وبين الشيء الواقعي، فهم ميزوا بين الصوت المجرد الذي تصدره الحنجرة وعضلات النطق، وهو ليس صوتاً مركباً، والعنصر اللغوي المركب والكلمة ذاتها، والتي لا تقوم إلا إذا كانت موصولة بمضمون وقابلة للإتصال به.

فالمدلول، استناداً للنموذج الرواقي، ليس حالة نفسية أو تفكيراً أو فكرة، فهو ليس فكرة بالمعنى الأفلاطوني، لأن الميتافيزيقا الرواقية كانت مادية، وليس فكرة بالمعنى النفسي، وعلى العكس من ذلك، يوحى الرواقيون بأن المدلول هو شيء غير مادي "بالضبط ليس المدلول فعل وعي ولا حتى واقعا، إنما لا يمكن تعريفه إلا ضمن سيرورة الدلالة، وبكيفية تكاد تكون من باب تحصيل الحاصل إنه ذلك الشيء الذي يعينه مستعمل العلامة"⁹⁸. وبهذا يعود بارت إلى تعريف وظيفي محض للمدلول، باعتباره أحد طرفي العلامة والفرق الوحيد الذي يجعله معارضاً للدال، ذلك أن هذا الأخير مجرد وسيط.⁹⁹

ويتساءل بارت عن كيفية تصنيف المدلولات؛ فهو يرى أن هذه العملية تكتسي أهمية في السيميولوجيا، لأنها تقوم على استخراج الشكل من المحتوى، سواء تعلق الأمر بالمدلولات اللغوية أم بالمدلولات غير اللغوية، أما بالنسبة للأولى فيمكن تصورهما مصنفة على نوعين:

1/ التصنيف الأول: الخارجي: يعتمد على المحتوى الإيحائي للمفاهيم، والمثال على ذلك الحصر المنهجي للمجموعات عند كل من هاليج "Rudolf Hallig" و"وارتبيرغ" "Warther Von Wartburg" أو حقول المعاني عند "تريي" "Jost Trier"، والحقول المعجمية عند "ماتوري" "Georges Matoré". وعيب هذه التصنيفات من الناحية البنيوية حسب بارت (خاصة تصنيفات هاليج ووارتبيرغ)، أنها تركز كثيراً على مادة المدلولات وليس على شكلها.

2/ التصنيف الثاني: هو التصنيف الذي يعتمد على وضع تعارضات بين المدلولات، واستنباط سمة مميزة ملائمة (قابلة للاستبدال). ولقد نادى بهذا المنهج كل من هجمسلف وبريطو و"غريماس" "Algirdas Griemas".

ويؤكد بارت في هذا الصدد على أنه من الضروري التذكير بأن المدلولات، لا تكون جزءاً من اللسانيات عند بعض علماء اللسان، الذين يرون بأنه يجب الاهتمام بالدوال فقط وأن تصنيف المدلولات، ليس من مهام

* الرواقية: مذهب زينون و كلياتنت و كريسيب و غيرهم من الفلاسفة اليونان و الرومان و سموا بالرواقيين لأن زينون صاحب هذا المذهب كان يعلم تلاميذه في رواق و الرواقي يرى السعادة في الفضيلة و أن النار أصل الوجود و المادة تتجزأ إلى غير نهاية. (انظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (د.ط.)، ج1، 1980، ص 623)

⁹⁸ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ص 72

⁹⁹ المصدر نفسه، ص 81

أما بالنسبة للنوع الثاني من المدلولات، فإنه من الصعوبة تصنيفها وذلك راجع إلى تعددها وتوسعها وتداخلها أحيانا مع بعضها البعض.¹⁰⁰

وخلاصة القول فيما يتعلق بالحديث عن المدلول، أن بارت، مؤكداً على ما ذهب إليه سوسير، اعتبر هو الآخر أن المدلول هو تمثيل ذهني لموضوع أو شيء ما، وبالتالي فهو من طبيعة تجريدية، فعلى عكس الدال الذي هو صورة مادية فإن المدلول هو صورة مجردة.

إن الحديث عن الدال والمدلول يطرح تساؤلاً مشروعاً، يتمثل في طبيعة العلاقة التي تجمع بينهما، ونجد أن بارت نفسه يطرح هذا التساؤل ويحاول أن يجيب عليه، ويظهر هذا التساؤل البارتي في قوله: "لقد تبين لنا أن كل ما يمكن قوله عن الدال، هو كونه وسيطاً مادياً للمدلول، لكن ما هي طبيعة هذه الوساطة؟ فعلاقة الدال بالمدلول قد أفرزت عدداً من المناقشات، وخلافات واضحة خاصة بين سوسير وهجمسلف و"كلود ليفي ستروس" Claude Levi-Strauss"، لاسيما فيما يتعلق بإشكالية الاعتبارية.¹⁰¹

فسوسير يرى أن العلاقة الرابطة بين الدال والمدلول اعتبارية، والاعتبارية في مفهومها الأدنى هي غياب منطق عقلي يرر الإحالة من الدال إلى المدلول، وتشير الاعتبارية في مفهومها الأقصى إلى الطابع الثقافي الذي يحكم الظواهر المكونة للتجربة الإنسانية في كليتها، فلا وجود لعناصر داخل الدال تجعلك تنتقل آلياً إلى المدلول، فالرابط بين هذين الكيانين يخضع للتواضع والعرف والتعاقد.¹⁰²

أما بنفنيست فهو يرى أن الاعتبارية هي علاقة الدال بالشيء، كعلاقة صوت ثور بالحيوان ثور. في حين أن المدلول عند سوسير ليس هو الشيء، إنما هو التمثيل النفسي للشيء. أما كلود ليفي ستروس، فيرى أن العلامة اللسانية تكون اعتبارية عند بداية ظهورها، لكنها لا تبقى كذلك مع مرور الزمن.¹⁰³

ومن وجهة النظر البارتية، فإن الاعتبارية تطرح على السيميولوجيا مجموعة من المشاكل، ذلك أنه من الممكن، من جهة، إيجاد أنساق معللة (أي مناسبة للطبيعة إلى حد كبير) كالإيقونات وحتى الرموز، فيجب عندها القيام بوضع الطريقة التي تكون فيها المشابهة، موافقة للمقطع الذي يبدو ضرورياً للدلالة.

وعندها يتساءل بارت كيف يمكن أن تقام السلاسل الاستبدالية، حينما تكون الدوال متشابهة. ويتعلق الأمر هنا بالصورة، ومن جهة ثانية، من المحتمل جداً أن يكشف الجرد السيميولوجي، عن وجود أنساق خالصة تحتوي

¹⁰⁰ المصدر نفسه، ص 73، 74

¹⁰¹ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ص 81، 82

¹⁰² سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 77، 78

¹⁰³ رولان بارت: المصدر السابق، ص 81

إما على تعليقات جد مرتخية، وإما على تعليقات تتخللها اعتباطية ثانوية، كما لو كانت العلامة تعيش صراعاً بين الاعتباطية والتعليل، فبارت ينفي عن العلامة صفة الاعتباطية الخالصة، في علاقة الدال فيها بالمدلول كما ينفي عنها صفة التعليل الخالص.¹⁰⁴

فإذا كانت المسألة التي حيرت بارت هي الإعتباطية أو عدمها ، في سياق الحديث عن العلاقة بين الدال والمدلول ، فإن أهم ما ميز فلسفة التفكيك "Déconstruction" على مستوى الممارسة النظرية ، هو تشكيكه في العلاقة الثنائية أو المستقرة بين الدال والمدلول ، فهي العلاقة التي حاول "دريدا" " Jacques Dérída " زعزعتها بردها إلى فضاء الاختلاف وسلبيته الجذرية ، وذلك بقدر ما يشكل مفهوم النفي عنده نوعاً من المغايرة التامة ، لا علاقة لها البتة بالمرحلة السلبية للمفهوم في صعوده نحو التركيب ، كما هو الحال عند هيغل ، التي لا تقع كما يقول دريدا على مستوى المدلولات نفسها ، وإنما على مستوى بناء الصيغ والتراكيب اللغوية والفكرية أو التصورية¹⁰⁵ .

¹⁰⁴ مبارك حنون: دروس في السيميائيات، ص 40

* فلسفة التفكيك "Déconstruction": تيار يجمع بين نتائج الألسنية ، رغم نقده للسانيات البنيوية، وتقنيات التأويل كما أرساها بشكل خاص هيدغر والفلسفة التأويلية عموماً، ويعد الفيلسوف جاك دريدا ممثلاً لهذا الإتجاه. (أنظر: الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، ص 205)

¹⁰⁵ محمد علي الكردي: دراسات في الفكر الفلسفي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 1978، ص 157

المبحث الثاني: الأنظمة الشائبة المحددة للعلامة.

المطلب الأول: اللسان/الكلام

أولاً: اللسان

"إن اللسان إذا أمكن القول لغة بلا كلام: إنه مؤسسة إجتماعية ونظام من القيم في الوقت ذاته، وباعتباره مؤسسة اجتماعية، فهو ليس فعلاً قط، ولا يخضع لأي نية مسبقة إنه القسم المجتمعي من اللغة، وليس في مقدور الفرد وحده أن يخلقه أو يغيره، فهو أساساً عقد اجتماعي على كل من يرغب في التواصل أن يخضع له كلية"¹⁰⁶.

إذا فاللسان هو نتاج اجتماعي وتواضعات ملحة لازمة يتبناها أفراد المجتمع، فهو واقع اجتماعي أو كل تعاقدية مكتسبة، يستمد فاعليته وقوته من ذاته. يتكون من المسموع والملفوظ والمتصور، ومن هنا فهو منفصل عن الذات المتكلمة، إذ يوجد بالقوة عند أفراد المجتمع الذين يستعملونه عند ممارسة الكلام "Parole".

فاللسان ليس وظيفة للفرد الناطق إنما هو نتاج يكتسبه، فهو الجزء الاجتماعي الذي لا يقوى الفرد على صنعه أو تغييره¹⁰⁷، فاللسان ليس نتاج قرار فردي أو حتى قرار جماعي، كما هو الشأن مع مؤسسات المجتمع الأخرى، فهو نتيجة سيورة اجتماعية يصعب تحديد بداياتها كما لا يمكن تصور نهايتها. إنه يوجد خارج الذات المتكلمة، وخارج إرادتها في الرفض والقبول.¹⁰⁸

وهذا ما أكد بارت عليه في قوله: "ليس في مقدور الفرد وحده أن يخلقه أو يغيره، أضف إلى ذلك أن هذا النظام الاجتماعي مستقل، مثل أي لعبة لها قوانين خاصة لأنه لا يمكن استعمالها إلا بعد تعلمه".¹⁰⁹

فاللسان نتيجة تعاقد اجتماعي والتعاقد لا يمكن مناقشته عقلياً، فإنه يستدعي خضوع الذات المتكلمة خضوعاً كلياً، فالتحديد البارتي القاضي بإقصاء الذات المتكلمة من فعل اللسان والقذف بها إلى عالم الكلام، معناه أن موقع العلامة داخل اللسان لا خارجه، فاللسان يمكن النظر إليه باعتباره نسقا من العلامات الموجودة خارج إرادة الذات المتكلمة، وهو نتاج لما يسجله الفرد سلبياً.

¹⁰⁶ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ص 34

¹⁰⁷ لخضر العرابي: المدارس النقدية المعاصرة، ص 99

¹⁰⁸ سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها، ص 70

¹⁰⁹ رولان بارت، المصدر السابق، ص 34

وعلى هذا الأساس، فإن اللسان ليس فعلاً ولكنه ذلك المخزون من الكلمات والقواعد السابقة في الوجود، على الفرد أي أن اللسان تستعمله الذوات بشكل لا شعوري رغم طابعه القسري. وهذه الذوات تخضع له دون أن تدري أنها تخضع لنسق علائقي مفروض.

ويعتبر كل من رولان بارت وسوسير أن اللسان هو المضمون الرئيسي للكون ولأنماط وجوده، فلا يمكن معرفة أي شيء دون الاستعانة بعلامات اللسان، ذلك أن العالم بكل موجوداته يحضر في الذهن على شكل مضمون لساني، فأشياؤه وتجاربته توزع وتصنف من خلال المفاهيم وطرق التقطيع التي يوفرها اللسان. فنحن لا نستطيع أن ندرك هذا العالم أو نتعرف على أي شيء فيه إلا عبر الكلمات، وكل ما يسمح به نظام اللسان. فاللسان أداة للتعين وأداة للتصنيف.

فموقع اللسان هذا هو الذي يجعله بوابة رئيسية، نحو فهم مناطق جديدة من الإنساني والاجتماعي، وتحديد أنماط التدليل والتواصل داخلها، ولقد كانت هذه الأنساق في حاجة إلى شكلية خاصة تمنحها وجوداً مستقلاً، وتمكنها من وجود أشكال شتى من الدلالات الخفية والصريحة، إلا أن هذه الشكلية ما كان لها أن تتم قبل معرفة القوانين التي تحكم اشتغال اللسان، فهذه القوانين هي ذاتها التي يجب أن تطبق على الأنساق الأخرى.

وهذا بالضبط ما قام به بارت، فقد طبق مقولة اللسان على أنساق دلالية أخرى غير لغوية، كاللباس والطعام والأثاث... إلخ، مؤكداً قلبه للمعادلة، وجعل اللسانيات علماً أشمل من السيميولوجيا ولا تشكل هذه سوى جزءاً منها¹¹⁰، ويظهر ذلك من خلال قوله: "إن السيميولوجيا هي أحد فروع اللسانيات"¹¹¹.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المفهوم الذي قدمه بارت للسان، يجعله يرفض على غرار سوسير الفكرة البسيطة الساذجة، القائلة بأن اللسان مدونة أي أنه يتكون من مجموعة من الكلمات التي تتناسب وواقع الأشياء في العالم الخارجي، وكان من الطبيعي أن يرفض أن تكون هذه الكلمات مجرد ظل للأشياء.

فاللسان لا يعكس الواقع ولا ينسخه إنه يقدم مفصلة مزدوجة له، إنه التقطيع الصوتي بالإضافة إلى كون طبيعته الفيزيولوجية المادية، تشكل تمثيلاً رمزياً تحضر الأشياء داخله على شكل رموز صوتية، لتوضع تمثيلي جماعي للكون، وفي الآن نفسه فإن المفهوم الذي تحضر عبره الأشياء إلى اللغة، ليس مادة بل تصوراً نفسياً تم الحصول عليه عبر سيرونة ترميزية بالغة التعقيد.

وفي الحالتين معاً فإن ما يأتي إلى اللسان ليحتمي به، ليس أشياء قابلة للمعانة والضبط، بل صوراً شتى تكشف عن عمق تجربة الإنسان مع الأشياء، فالقول بأن اللسان مدونة معناه أن العلاقة بين الكلمات والعالم

¹¹⁰ سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها، ص 68، 69، 70، 71

¹¹¹ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ص 29

الخارجي علاقة في غاية البساطة ،والحال أن الأمر على خلاف ذلك فاللسان من طبيعة أخرى.¹¹²

ويرى بارت أن هجمسلف يميّز في اللسان ذاته بين ثلاثة أصعدة:

1/ الخطّاطة: وهي اللسان كشكل خالص، وقد تردد هجمسلف في إطلاق لفظ نظام أو هيكل على هذا الصعيد، فهو اللسان بالمعنى السوسيري للكلمة ،كالراء الفرنسية المحددة ،من الناحية الصوتية، بمكانها في سلسلة من التعارضات.

2/ المعيار: هو اللسان كشكل مادي، تحدّد مسبقا في تطبيق اجتماعي معيّن ،ولكنه لا يزال بعد مستقلا عن تفاصيل هذا التمثّل، كالراء المنطوقة كيفما كان نطقها وليست الراء المكتوبة.

3/ الاستعمال: هو اللسان كمجموعة من العادات الخاصة بمجتمع ما، كالراء في بعض المناطق الفرنسية .وحسب بارت فإن هذا التصنيف الهجمسلافي للسان فيه خلط بين مفهومي اللسان والكلام ،ومهما كانت جدوى هذا التصنيف، فهو لا يخلو من إثارة بعض المشاكل.¹¹³

ويعود بارت ليؤكد أن اللسان في بعده الفلسفي ،هو إنجاز لكل لغة فهو الشيء الذي ترتسم فيه السلطة منذ الأزل، فاللغة سلطة تشريعية واللسان قانونها ،واللسان هو تصنيف وكل تصنيف ينطوي على نوع من القهر، وهذا ما ترجمه مقولته: "إن اللسان إنجاز كل لغة ،ليس بالرجعي ولا التقدمي، إنه بكل بساطة فاشي: ذلك أن الفاشية "Fascisme" ليست هي الحيلولة دون الكلام، وإنما هي الإرغام عليه"¹¹⁴. وهذا ما يثبت مرة أخرى أن اللسان مؤسسة وسنق من القيم ،لا حول للفرد أمامه ولا قوّة، فجوهر اللسان يوجد خارج طابعه، فهو شكل وليس مادة.¹¹⁵

ثانيا: الكلام

يقول بارت في معرض حديثه عن الكلام: "نجد الكلام في مقابل اللسان، المؤسسة والنظام، وهو أساسا فعل فردي للاختيار والتحقق، وهو مكون أولا من التركيبات التي تستطيع الذات المتكلمة بفضلها استعمال شفرة اللسان، قصد التعبير عن فكرها الخاص".¹¹⁶ فالكلام هو الفعل الفردي الذي تستعمل الذات من خلاله اللسان، من

¹¹² سعيد بنكراد: المرجع السابق ، ص 68، 69

¹¹³ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ص 37، 38

* الفاشية Fascisme: شكل من أشكال الحكومات التي يرأسها دكتاتور، وغالبا ما تتم عن سيطرة الحكومة سيطرة تامة على النشاطات السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية. وكلمة فاشية، صفة أيضا لكل نظام حكم، أو مفهوم سياسي، يشبه حكم بنيتو موسوليني، وأدولف هتلر وسياساتهم. فقد قامت حكومتان فاشيتان في كل من إيطاليا، بقيادة موسوليني من سنة 1922م إلى سنة 1943م، وفي ألمانيا بقيادة هتلر من سنة 1933م إلى سنة 1945م. (انظر: الموسوعة العربية العالمية، النسخة الإلكترونية).

¹¹⁴ رولان بارت: درس السيميولوجيا، ترجمة ع. بنعبد العالي ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ، ط3، 2008، ص 12، 13 (انظر: الموسوعة العربية العالمية، النسخة الإلكترونية)

¹¹⁵ سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها، ص 71

¹¹⁶ رولان بارت، المصدر السابق، ص 35

أجل التّواصل مع الآخرين¹¹⁷، فالكلام يشكل التحلي التطبيقي لأنظمة وقواعد اللسان، فهو ما يتلفظ به الفرد وينتمي إلى المجالين الفردي والاجتماعي، وهو عمل فردي للإرادة والعقل.¹¹⁸

ويضيف بارت قائلاً بأنّه من البديهي أنّ المظهر التألفي للكلام رئيسي، لأنّه يترتب عنه كون الكلام مكوناً من تكرار العلامات المتماثلة، ولا تصير كل علامة عنصراً في اللسان، إلا لكون العلامات تكرر أساساً من خطاب لآخر، أو في الخطاب الواحد، رغم أنّه مؤلف بكيفية متنوعة بتنوع الكلم، ولأنّ الكلام مركّب فهو نظير الفعل الفردي، وليس نظيراً للإبداع المحض. فالكلام حصيلة جماعية من البصمات الفردية، فهو ليس عملاً إبداعياً خالصاً، بل إن ميزته النقصان على مستوى كل فرد على حده ولا يكون كاملاً.¹¹⁹

أي أنّ الكلام على نقيض اللغة يعود إلى القدرة على تحويل النسق إلى إجراء، وتحويل الثابت إلى متغير، وتحويل العلامة المفردة إلى خطاب. ففعل الكلام يتم من خلال دخول ذات الخطاب، باعتبارها ما يسرب الإجراء وما يحدث الفعل، وما ينظم ويرتب ويخلق السياقات والمقامات. إنه تحول من المطلق الجماعي العام والمجرد، إلى الفردي الخاص والمحسوس، ولأنّه أداء فردي، فهو يشير إلى قدرة الفرد على تحويل اللسان من نسق مجرد إلى كيان مرئي. والفرديّة في الكلام تتجلى من خلال التأليف، الذي عبره تستطيع الذات المتكلمة استعمال سنن اللسان، من خلال الآليات النفسية والفيزيولوجية التي تسمح بإخراج هذه التأليفات.

والربط بين الكلام واللسان يعني أنّ ميزة الفرديّة في الكلام، لا تعني أنّ الذات المتكلمة حرة في استعمالها لعناصر اللسان وفق أهوائها الخاصة، إنّما على العكس من ذلك محاصرة بقوتين: ما يقدمه اللسان من قواعد وضوابط وإرغامات تحد من حركة التأليف وحرية، وهي ثانياً محاصرة بالإكراهات ذات الطابع الاجتماعي والديني والأخلاقي.

والتي على الرغم من وجودها خارج اللسان، فإنّها تمارس ضغوطاً على الذات المتكلمة، وتفرض عليها انتقاءً وتركيباً للوحدات، وفق السياقات والمقامات المتنوعة.¹²⁰ وهذا ما يدل عليه قول بارت: "إن الكلام تأليف متنوع للعلامات المتواترة، إلا أنّه يوجد على مستوى اللسان ذاته"¹²¹، فهو تحقيق عيني للسان، وهو مظهر لغوي محدد، يتنوع بتنوع الأفراد، يرتبط باللسان ويتحقق كنتيجة لاستعمال اللسان.¹²²

من المعروف أنّ ثنائية اللسان والكلام تكوّن إحدى الثنائيات الأكثر أهميّة، في نظرية رولان بارت السيميولوجية. فقد فرق بارت بين اللسان من حيث هو مجموع الأنظمة والقواعد، التي تمتلكها جماعة بشرية في

¹¹⁷ أمبرتو إيكو: العلامة تحليل المفهوم و تاريخه، ص 116

¹¹⁸ لخضر العرابي: المدارس النقدية المعاصرة، ص 100

¹¹⁹ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ص 35

¹²⁰ سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها، ص 71

¹²¹ رولان بارت: المصدر السابق، ص 35

¹²² الزواوي بغوره: المنهج البنوي، ص 36

تواصلها وتخطبها، وبين الكلام الذي يشكل الجانب التطبيقي لهذه الأنظمة والقواعد.¹²³

ويركز بارت على العلاقة الضرورية بين اللسان والكلام قائلاً بأن اللسان والكلام من البديهي ألا يستمد أي واحد منهما تعريفه الكامل، إلا من السيورة الجدلية التي توحد بينهما معا، فلا لسان بدون كلام، ولا كلام خارج اللسان. ويتبع بارت هذه المقولة مباشرة بما قاله "بروندال" "Viggo Brondal"، في علاقة اللسان بالكلام بأن: "اللسان كيان تجريدي محض، ومعيّار أعلى من الأفراد ومجموعة من النماذج الأساسية التي يحققها الكلام، بصفة تتنوع بشكل لا نهائي".¹²⁴

أي أن اللسان والكلام يرتبطان بعلاقة مفهومية متبادلة، وقد أكد سوسير أيضاً على هذه العلاقة الجدلية قائلاً: "إن اللسان ضروري حتى يصبح الكلام مفهوماً وواضحاً ومؤثراً كل التأثير، غير أنه لازم لتأسيسه، فاللسان في ذات الوقت هو نتاج الكلام، ووسيلة له ولكن هذا لا يمنع من أنهما شيئان متمايزان كلياً الواحد عن الآخر".¹²⁵

فالعلاقة بين اللسان والكلام علاقة جدلية وضرورية، فالكلام لا يتحقق إلا باللسان، أي باستثمار قواعده التجريدية. واللسان لا أهميّة له إن لم يستخدمه أفراد يعرفونه، إذ يغدو اللسان بنية عامة في حين يكون الكلام بنية خاصة.

وكأننا هنا أمام التصور ذاته الذي يحمله بول ريكور عن العلاقة القائمة بين اللسان والكلام، فهو وإن كان يسمي اللسان بالشفرة والكلام بالرسالة، فهو يرى على غرار بارت أن الشفرة أي اللسان في اصطلاح بارت لا يوجد وجوداً فعلياً، بل إن وجوده افتراضي، وبالتالي فالرسالة (الكلام) هي التي تضفي الوجود الفعلي على الشفرة (اللسان) بكاملها، فأى رسالة لها وجود زمني في تسلسلها الخطي المتتابع، أي أنها تستغرق زمناً وهذا البعد الزمني يضع الشفرة خارج إطار الزمن.¹²⁶

وتأسيساً على هذا المفهوم، انطلق بارت في تحليله للظواهر الاجتماعية والثقافية مؤكداً على أهميّة هذه الثنائية، اللسان/الكلام، لكنه مدّها لتشمل أنظمة دلالية عديدة، وحافظ على المصطلحين لقناعتهم بعدم وجود مصطلحين أكثر ملاءمة منهما، للتحليل السيميولوجي في مجالات غير لغوية.

حيث قام بارت بتطبيق هذه الثنائية على مظاهر عديدة، كالأزياء والأطعمة والأثاث. فعلى سبيل المثال نجد من حيث الطعام، أن اللسان يتكون من قواعد الاقصاء (ما هو خارج الأطعمة)، والتعارضات (مالح/حلو) وقواعد

¹²³ وائل بركات: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، مجلة جامعة دمشق، العدد 2، 2002، دمشق، سوريا، ص 61

¹²⁴ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ص 36

¹²⁵ Saussure Ferdinand de : Cours de linguistique générale, p 68

¹²⁶ بول ريكور: نظرية التأويل، ص 12

الجمع والتأليف بين المواد الداخلة في صنع الأطعمة، أمّا الكلام الغذائي فيتمثل في اختيار أنواع من الأطعمة دون أخرى تتميز بطريقة صنعها أو طريقة تحضيرها فلائحة الأطعمة التي تقدم في المطاعم، تمثل لنا نموذجاً واضحاً للعلاقة بين اللسان والكلام، لأن كل لائحة مصممة بناء على تركيبة (وطنية، إقليمية واجتماعية).¹²⁷

بناء على ما سبق ذكره يمكن القول أنّ: اللسان هو مؤسسة اجتماعية، ونتاج تعاقد اجتماعي، فاللسان يفرض وجوده بقوة على الفرد أو الذات المتكلمة، فهو يشكل في حد ذاته منظومة من العلامات المعروضة التي تتجاوز إرادة الأفراد. أمّا الكلام كطرف في ثنائية "اللسان/الكلام" فإنه يمثل الممارسة الفردية الفعلية للسان كنسق من العلامات، بغرض التواصل والاتصال مع الآخرين.

¹²⁷ وائل بركات: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، مجلة جامعة دمشق، ص 61

المطلب الثاني: المركب/النظام

إن منطلق حديث بارت عن محور النظام "Système" والمركب "Syntagme" قوله: "إن العلاقات التي توحد بين الكلمات يمكن أن تنمو على صعيدين، يولد كل منهما قيمه الخاصة، ويتلائم هذان الصعيدين مع شكلين من أشكال النشاط الذهني: أولهما صعيد المركبات... أمّا الصعيد الثاني هو صعيد النظام".¹²⁸

فالتمييز بين اللسان والكلام هو المدخل الرئيسي لثنائية أخرى، محددة للموضوع اللساني ويتعلق الأمر بالفصل بين محورين يشيران إلى نشاطين ذهنيين مختلفين: المحور الأول هو المركبات أو المركب أو كما يطلق عليه سوسير محور العلاقات التركيبية، وهو ما اصطلح عليه فيما بعد بمحور الاستبدال (محور الاختيار). والمحور الثاني هو محور النظام أو الذي أطلق عليه سوسير اسم: محور العلاقات الترابطية.¹²⁹

أولاً: المركب

"هو تأليف للعلاقات يركز على مدى، وهذا المدى في اللغة المتمفصلة امتداد سطري ذو بعد واحد، فهو لا ينعكس، وهو يمثل السلسلة الكلامية فلا يمكن النطق بعنصرين دفعة واحدة. ففي عبارة "شر الخصال القسوة على الضعفاء" تستمد كل لفظة قيمتها، من تعارضها مع سابقتها ولاحقتها، فالألفاظ في السلسلة الكلامية تتحدد بالفعل حضورياً. أما النشاط التحليلي الذي ينطبق على المركب، هو التقطيع... والمركب أقرب إلى الكلام".¹³⁰

فالترباط بين الوحدات يشكل العلاقة التركيبية، فالمركب هو تأليف لمجموعة من العلامات داخل سلسلة كلامية واحدة، و المركب يشير إلى علاقات تتم في الحضور، و إلى التتابع الخطي للوحدات اللسانية، مثال ذلك الجملة: "ذهبت إلى المدرسة"، فالعلاقة الموجودة بين مجمل العناصر المكونة للجملة، هي علاقات تجاورية تجعل من المسار خطياً يقود من أول كلمة إلى آخر كلمة، داخل السلسلة المكتوبة أو المنطوقة. فكل كلمة داخل هذه السلسلة تستمد قيمتها من الكلمة السابقة لها، ومن الكلمة اللاحقة لها¹³¹، وتشكل هذه الوحدات سلسلة كلامية تشير إلى علاقات واقعية، وهذا ما يسمح بتقطيعها إلى وحدات منفصلة.

¹²⁸ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ص 91

¹²⁹ سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 73

¹³⁰ رولان بارت: المصدر السابق، ص 131

¹³¹ سعيد بنكراد: المرجع السابق، ص 73، 74

فهناك علاقة بين وحدات الكلمة الواحدة والجملة الواحدة، وتضفي كل وحدة معنى إضافيا على الكل. وتكون في حالة تقابلية مع بقية الوحدات اللغوية، ففي هذه الجملة "صار الطقس باردا" هناك علاقة تركيبية من ثلاث وحدات وهي: صار + الطقس + باردا. أمّا على مستوى المفردات، فتتمثل هذه العلاقة في إدماج بعض الصوامت في أنساق تركيبية، حسب القوانين الفونولوجية المتعارف عليها في تكوين مفردات اللغة، كهذه المجموعة من الصوامت: ل-س+ن+ي+ت التي تعني مجتمعة لسانيات. وهذا هو المعنى الذي أشار إليه سوسير في قوله بأنّ الكلمات تقوم داخل الخطاب، بنسج سلسلة من العلاقات المنبثقة من الطابع الخطي للسان، الذي يستبعد إمكانية النطق بعنصرين في آن واحد.¹³²

ثانيا: النظام

"هو تداعي الألفاظ وتجميعها، أي تجميع الوحدات التي تشترك في وجه من الأوجه في الذاكرة، لتؤلف بذلك فئات تسودها علاقات متنوعة. فكلمة "تدريس" يمكن أن تجتمع، من حيث المعنى، مع تعليم أو تلقين ومن حيث الصوت، مع درس ودرس ودارس، أو مع تسليح وتسريح. وتشكل كل فئة أو مجموعة سلسلة استذكرارية، أو "خزنية الذاكرة" وعلى عكس ما يحدث على الصعيد المركبي، فإن الألفاظ تتحد في كل سلسلة غيايبا. والنشاط التحليلي الذي ينطبق على التداعي اللفظي هو التصنيف."¹³³

فالنظام إذا هو تأليف بين مجموعة من العلامات أو الوحدات داخل سلسلة، وتكون هذه الوحدات مرتبطة فيما بينها بعلاقات تتم في الغياب، فكل وحدة تشكل نقطة مركزية تلتف حولها مجموعة من الوحدات، القابلة للتحقق مع أدنى تنشيط للذاكرة أو الرغبة في تغيير السجل الدلالي، و المبدأ الذي يحكمها هو التصنيف.¹³⁴

ويطلق مصطلح النظام على العلاقات الاستبدالية بين الوحدات اللغوية، التي يمكن أن تحل محل بعضها بعضا في سياق واحد، وبعبارة أخرى، فإنها تعكس علاقات موجودة بين علامة توجد في جملة وعلامة أخرى غير موجودة في الجملة أصلا، بل موجودة في أذهاننا طبعاً. وقد أطلق سوسير لأول مرة في تاريخ اللسانيات عبارة "الترابطية" على هذه العلاقة.

وتتضح لنا العلاقات الترابطية من خلال المثال التالي، فيمكن أن تعوّض كلمة "أصبح" بـ"صار" وكان واضحاً، وكلمة مناخ بالأمن والبحر، وكلمة صحوا برطبا ومنعدما وهكذا دواليك. أما على مستوى المفردات، فيكون تحديد كل فونيم "Phonème". بمقابلته بالفونيمات الأخرى، والتي يمكن أن تحل محله في سياقات مختلفة لتكوين الكلمات. وذلك كاستبدال الحرف الاستهلاكي ببعض الحروف، والإبقاء على الحرف الثاني والثالث، كما في هذه

¹³² أحمد مومن: اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، 2002، ص 130، 131

¹³³ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ص 111

¹³⁴ سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها، ص 74

المفردات" نام، قام، رام، هام و دام" أو استبدال الحرف الثاني من الكلمة بحرف آخر، مع الإبقاء على الحرف الاستهلاكي والختامي كما في هذه الكلمات: عجن، عفن و عان ... إلخ

وهناك علاقات ترابطية أخرى، حيث تترابط الكلمات في الذاكرة مشكلة مجموعات، تميزها علاقات مختلفة فكلمة مثل: تعليم تشير من الناحية الدلالية إلى: علم، معلم، تعلم، تعاليم و معلومات. ويمكن أن تشير من زاوية التشابه الصوتي إلى تسليم، تقزيم و تحريم، كما يمكن أن ينبثق الترابط عن تشابه المدلولات مثل: تعليم، تربية، اكتساب و تثقيف.¹³⁵

فالنظام والمركب ثنائية ذات أهمية بالغة، ويرى بارت أن الصعدين التركيبي والنظامي تربط بينهما علاقات وطيدة، عبّر عنها سوسير بواسطة مقارنة. حيث شبه كل وحدة لسانية بعمود من أعمدة بناء يوناني قديم، حيث أن العمود يرتبط بعلاقة تماس بالعارضة. فهذا يمثل العلاقة التركيبية، أما إذا كان هذا العمود دوريا، فهو يجعلنا نقارنه بأنواع معمارية أخرى. وهذا يمثل النظام أو بتعبير سوسير، علاقة التجميع فالصعيدان يرتبطان ارتباطا وثيقا، إلى حد أن المركب لا يستطيع أن يتقدم إلا باستدعاءات متتالية من طرف وحدات جديدة خارج الصعيد التجميعي... إلخ، فلهذه الثنائية دور كبير في تفسير الكثير من القضايا اللغوية والسيمولوجية.

فالنظام و المركب يعتبران طرفين أساسيين بالنسبة لبارت، فقد تتبع تطورهما في اللسانيات الحديثة. فهو يرى أن الروابط التركيبية تسمى عند هجمسلف "علاقات"، وتسمى "تجاورا" عند جاكبسون، وتسمى بـ "الصّلات" أو "التصادر" عند "مارتيني" André Martinet. أما العلاقات النظامية، فهي "ترابطات" عند هجمسلف، و"تجانسات" عند جاكبسون، و"تعارضات" عند مارتيني.¹³⁶

وما يكن قوله إجمالا أن: المحورين معا (المركب/النظام) مرتبطان بالنظام الذي يتم عبره الإمساك بالإجراء التدللي، فالإمساك بالمعنى وتحديد حجمه وعمقه يحتاج إلى ضبط خطّي لوحداته، وعناصر تجليه. كما يحتاج من جهة ثانية لمبدأ التصنيف، لربط الأول بالأخير ويقابل بين العنصر المتحقق بالضمني والموحى به. فضبط ميكانيزمات هذين المحورين، يعد مدخلا نحو نقل معطيات التلليل اللساني إلى حقول من طبيعة أخرى.

فعالم الدلالة غير اللساني، محكوم هو الآخر بهذين النشاطين الذهنيين. وفي جميع الحالات، فإن الدلالة لا تكثرث للمادة الحاملة لها¹³⁷. ولهذا يرى بارت ضرورة حضور هذين المستويين المحوريين للنظام اللغوي، ضمن الأنظمة الدلالية الأخرى غير اللغوية وهذا يعني أن البحث عن الدلالة أو المعنى في أشياء العالم، يمر عبر مستوى اللغة: فنجد أن بارت يطبق المركب والنظام كمحورين على أربعة مظاهر ثقافية هي: اللباس، الأثاث، الطعام،

¹³⁵ أحمد مومن: اللسانيات النشأة و التطور، ص 131، 132

¹³⁶ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ص 93

¹³⁷ سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها، ص 74، 75

الركب	النظام	
وصف عناصر مختلفة في نفس اللباس: تنورة، قميص، معطف ...	فئة من الأثواب والقطع أو التفاصيل التي لا يمكن ارتداؤها في نفس الموضع من الجسم في الوقت ذاته، والتي يؤدي التنويع فيها إلى تغيير الملابس: طاقية/قلنسوة/قبعة.	اللباس
تسلسل حقيقي للأطباق المختارة خلال الوجبة: إنه لائحة الطعام (في المطعم).	مجموعة أطعمة مختلفة تختار منها طبقا حسب مقتضيات أو معنى ما: كتنويعات مفتتح (مقبلات) الوجبة أو الشواء أو التحلية.	الطعام
تنضيد قطع الأثاث المختلف في مكان واحد (سرير، خزانة، طاولة ... إلخ).	مجموعات التنويعات "الأسلوبية" لنفس القطعة (كالسرير مثلا).	الأثاث
تسلسل التفاصيل على صعيد المبنى ككل.	التنويعات التي تصيب نفس العنصر في المبنى الواحد، الأشكال المختلفة للسطوح أو الشرفات أو المداخل ... إلخ	المعمار

يعكس جدول بارت إلى حد بعيد مدى تحكم القوانين البنوية الصارمة في السيميولوجيا، فسيمائية رولان بارت محاولة لنقل القوانين البنوية إلى مجال الحياة الاجتماعية، إذ بالإمكان النظر إلى أسطورة أو مباراة مصارعة أو نظام قرابة قبلية، أو قائمة بألوان الطعام في مطعم، أو لوحة زيتية باعتبارها أنظمة دلالية، وليست سيميولوجيا بارت وحدها التي تستند إلى البنوية وخاصة في بحثها عن القوانين التي تنظم الدلالة.

فالتحليل البنوي يتجاهل إلى حد بعيد ما تقوله العلامات فعليا، ويركز بدلا من ذلك على علاقتها الداخلية مع بعضها البعض، أي أن السيميولوجيا تتنكر أيضا للسياق التاريخي الذي أنتج العلامات نفسها، ويقوم التشابه بين الحقلين على أرضية مشتركة، تجمعهما إلى درجة أن الحدود الفاصلة بينهما تصبح غير واضحة تماما، أو أنها لا تبرز إلا في زوايا ضيقة.

¹³⁸ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ص 96:97

ولعلّ أهم ما يميّز السيميولوجيا عن البنيوية، أنّها تتعامل مع أنظمة دلالية ثقافية أقرها مجتمع ما، وتوافق عليها بينما قد تخرج البنيوية إلى حدود دراسة أنظمة إعلامية أخرى، فتدرس العلامة سواء أكانت جزءاً من نظام أقرته الثقافة كنظام، أو لم تقره.¹³⁹

فبارت يفترض ضمن مجال التحري عن آليات اشتغال الأنساق السيميائية، ضرورة إخضاع مظهراتها للتقطيع التركيبي الذي يستطيع أن يمدنا بالوحدات المؤلفة لمحور الاستبدال، فاللباس بوصفه نسقاً سيميائياً، لا يتمظهر إلا في صورة أزياء أو بدلات تتجاوز ضمنها جملة من القطع الملبسية المختلفة: قميص، معطف، سروال (علاقة تركيبية).

حيث يرتبط كل اختيار من الاختيارات بمجموع القطع الملبسية التي تتناسب معه، في موضع اللباس وفي الوظيفة مثلاً: /قبعة/ قلنسوة/ طاقية... إلخ (علاقة استبدالية) وبذلك تتزامن تحولات التركيب مع تحولات المعنى الملبسي.

وينطبق الأمر نفسه على الوجبات الغذائية، فباختيارات الفرد بين المقبلات/التحلية... إلخ (علاقة استبدالية) تتحول سلسلة الأطباق المختارة (علاقة تركيبية) إلى وجبة كاملة، مثلما ينطبق الحال مع فن التأثيث، فالمؤثث لا يعمل إلا على تركيب جملة من الاختيارات الأثاثية مثل سرير+خزانة+كرسي (علاقة تركيبية) حيث يفترض الأثاث الواحد أو كل اختيار جملة من التغيرات التي تسمح بتحويل أسلوب التأثيث (علاقة استبدالية). وهو حال عديد الأنساق السيميائية المعماريّة وغيرها.¹⁴⁰

وبناء على ما تقدم ذكره فيما يتعلق بالمحور التركيبي، يمكن القول كخلاصة أنّ هذا المحور يكتسي أهميّة بالنسبة لكل الأنساق الدلالية. فهو يكشف عن مختلف العناصر الجزئية المشكلة للنسق الدلالي ككل، وعن كيفية ارتباطها كوحدات أساسية مع بعضها البعض.

كما هو الحال بالنسبة للغة كنسق دلالي، ذلك أنّ تركيب الوحدات داخل الأنساق الدلالية له علاقة كبيرة بإنتاج المعنى والدلالة، أما النظام كزوج مشكل لثنائية: المركب/النظام، يكشف عن العلاقات المختلفة التي تجمع العلامات أو الوحدات المشكلة للنسق الواحد، حيث أنّ هذه العلاقات بإمكانها أن تخلف تصنيفات كثيرة داخل كل منظومة دلالية.

¹³⁹ وائل بركات: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، مجلة جامعة دمشق، ص 64، 65

¹⁴⁰ ينظر الموقع: <http://www.ulum.nl/b174.htm>

المطلب الثالث: التقرير/الإيجاء

يعتقد بارت أن كل نظام دلالي يحتوي على صعيدين: صعيد الدّوال وصعيد المدلولات، أو مستوى العبارة ومستوى المضمون، وأنّ الدّلالة تنشأ عن العلاقة الرابطة ما بين المستويين.

ولم يتوقف بارت عند هذا الحد بل أضاف قائلاً: "وسنفرض الآن نظاماً لـ(ع.ق.م) يصير بدوره مجرد عنصر في نظام ثاني، ويصبح بهذه الكيفية توسعا وامتدادا له. وهكذا نجد أنفسنا أمام نظامين يتداخل ويتشابك أحدهما مع الآخر، ولكنهما منفصلان عن بعضهما البعض. إلا أنّ انفصال النظامين يمكن أن يتم بطريقتين مختلفتين تمام الاختلاف، حسب نقطة اندماج الأول في الثاني، مؤديا إلى مجموعتين متعارضتين ففي الحالة الأولى يصبح النظام الأول صعيدا تعبيريا و، دالا للنظام الثاني فيشكل النظام الأول إذا صعيد التقرير "Dénotation"، ويشكل النظام الثاني صعيد الإيجاء "Connotation".¹⁴¹

فالعلاقة بين الدّوال والمدلولات، إضافة إلى سيرورة الدّلالة فهي تشكل مستوى آخر، أو تتولّد عنها ثنائية أخرى. أي أنّ الأنساق الدّلالية يمكن أن تدرس وفق تمفصلين دلاليين: التّمفصل الأول يشكل نظام التقرير، أما التّمفصل الثاني، والذي يتخذ من النظام الأول أساسا له، فهو النظام الموحى أو الإيجاء.¹⁴²

أوّلا: التقرير
هو مستوى المعاني المتلقاة المقبولة من معاني المعجم¹⁴³، وهو عند بارت أول المعاني والحصول عليه يتم عن طريق الاستنباط. فالمعنى التقريري لا يوجد إلا باعتباره حدا نهائيا، ويمكن أن يطلق التقرير على المضاف الدلالي لمجموع العناصر الدّالة، التي تسمح بالتعرف بأبسط الطّرق على الموضوع المعين. وهذه العناصر لا يمكن استخراجها إلا بالحذف المتتابع لكل الإضافات التأويلية.¹⁴⁴

وقد أخذ بارت مفهوم التقرير والإيجاء عن اللساني هجمسلف، وإذا كان التّعبير يحيل عند هجمسلف على مضمون خاص به، فهذا معناه أنّ اللسانيين والبنويين يستخدمون مفهوم التقرير بمعنى مختلف عن المعنى الذي يعطيه له فلاسفة اللغة. فتقرير لفظ ما في فلسفة اللغة، يعين عادة مجموع الموضوعات التي يحيل عليها هذا اللفظ، أي المعاني التي تشير إلى اللفظ مباشرة.

¹⁴¹ رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ص 135

¹⁴² ينظر الموقع: <http://www.doroob.com/?p=33856>

¹⁴³ دليلة مرسلي وآخرون: مدخل إلى السيميولوجيا، ترجمة عبد الحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1995، ص 19

¹⁴⁴ ينظر الموقع: <http://saidbengrad.com/al/n12/7.htm>

فتقرير جملة أو ملفوظ ما هو إلا حالة من حالات الأشياء، التي تتطابق مع هذا الملفوظ. وبهذا المعنى يمكن اعتبار التقرير مرجعية، أي أن تقرير تعبير ما هو مرجعه¹⁴⁵. ويبدو أن مفهوم التقرير لن يتضح إلا عند ربطه بمفهوم الإيحاء، ذلك لأنه كما قال بارت: "نجد أنفسنا أمام نظامين يتداخل ويتشابك أحدهما مع الآخر".¹⁴⁶

ثانياً: الإيحاء

"إن النظام الموحى يتكون مستواه التعبيري ذاته من نظام الدلالة التقريرية، فالتفصيل الثاني، والذي هو الإيحاء، يتحد مع الأول أي النظام التقريري بمجموعه (دال + مدلول)، ليشكل دال لمدلول آخر لتتولد عنهما معادلة أخرى غير مباشرة وهي الدلالة الإيحائية"¹⁴⁷، فالإيحاء يحيل على المعاني الإضافية التي تكون ضمنية في أغلب الأحيان¹⁴⁸، أو هو كل ما توحى به عبارة أو تثيره أو تفرضه بطريقة واضحة أو غامضة بالنسبة لكل ناطق باللغة بمفرده، فهو يرتبط بالفرد، لكنه وليد حاضنة ثقافية واجتماعية.¹⁴⁹

فبارت أعطى للإيحاء تعريفاً شكلياً أو تعريفاً مؤسساً على الأجزاء المشكلة له: "يحتوي الإيحاء باعتباره هو نفسه نظاماً على دوال ومدلولات، والعملية التي توحد بين الطرفين هي الدلالة، وأول ما يجب القيام به هو جرد هذه العناصر الثلاثة: إذ تتكون دوال الإيحاء التي تسمى موحيات من دوال، ومدلولات النظام التقريري مجتمعين".¹⁵⁰

وإذا كان بارت قد استوحى مفهوم الإيحاء من هجمسلف، فإن هذا الأخير بدوره يعطي لمفهوم الإيحاء تعريفاً شكلياً. إذ يعتبر أن مستوى التعبير والمضمون، اللذين يشكلان السيميائيات التقريرية، يتحولان إلى مستوى للتعبير يحيل على مضمون جديد، هو الإيحاء والذي يتحول بدوره إلى أثر دلالي. فالإيحاء يتأسس بناء على نظام التقرير، فهو نظام للمعاني الثانوية التي تنطلق بناء على النظام الأول، الذي تقدمه له اللغة البشرية.

وبناء على ثنائية التقرير والإيحاء، ميز هجمسلف بين نوعين من السيميائيات: السيميائيات التقريرية والسيميائيات الإيحائية، وهذه الخطاطة تعبر عن هذا التمييز:¹⁵¹

السيميائيات التقريرية:		تعبير	مضمون
السيميائيات	تعبير	مضمون	
		تعبير	مضمون

الإيحائية:

¹⁴⁵ أمبرتو إيكو: العلامة تحليل المفهوم و تاريخه، ص 138

¹⁴⁶ رولان بارت: المصدر السابق، ص 135

¹⁴⁷ المصدر السابق، ص 135

¹⁴⁸ دليلة مورسلي و آخرون: مدخل إلى السيميولوجيا، ص 19

¹⁴⁹ ينظر الموقع: <http://www.annabaa.org/nbhome/nba79/029.htm>

¹⁵⁰ رولان بارت: المصدر السابق، ص 137

¹⁵¹ أمبرتو إيكو: العلامة تحليل المفهوم و تاريخه، ص 140

من خلال ما سبق ذكره، يمكن القول بأنَّ الثنائية المشكَّلة من الدلالة التقريرية، والدلالة الإيحائية التضمينية التي اقتبسها رولان بارت من هجمسلف، ذهب بها بعيدا في دراسة النص الأدبي في علاقته السيميولوجية مع القارئ. ويوضَّح بارت هذه الثنائية معتبرا العلامة الدَّالة لها وجه الدَّال، أو العبارة (ع) ووجه المدلول أو المضمون (م)، وبين الوجهين علاقة رابطة (ق) هي الدلالة التي تربط بينهما أي (ع-ق-م). وقد تصبح هذه الدلالة مجرد دال (ع)، في نظام تعبري ثنائي يشكِّل امتدادا وتوسعا للأول، وهذا ما يمكن توضيحه وفقا للخطَّاطة التالية:

II	ع	ق	م
I	ع	ق	م

ويطلق هجمسلف على ما يسمِّيه بارت بالإحاء الدلالة الإيحائية، فالتقرير والإحاء يشكلان نظامين متشابهين، لكنهما يتمتَّعان بانفصال نسبي يتأرجح قربا وبعدا وفق طبيعة العلاقة القائمة، وتطورها في المجتمعات المنتجة للدلالة. فالنظام التَّعبري المباشر والإيحائي التضميني يتجسدان في الخطاب الأدبي، الذي ينتج الدلالة الإيحائية، هذه الأخيرة التي تجسد النظام السيميولوجي بامتياز.

ولتوضيح خطَّاطة رولان بارت، يمكن تقديم المثال التالي من البلاغة العربيَّة: "كثيرُ الرماد" فمن الوجهة السِّيميائية، يعد هذا التركيب رسالة تامة تتمفصل في علاقتها بالقارئ على نظامين سيميائيين: أما النظام الأول، فيتكون وفق هيجمسلف أو بارت من صعيدين: صعيد العبارة (ع) وصعيد المحتوى (م)، ويتمثل صعيد التَّعبير في هذا التركيب من جملة المادة الصوتية، والعلاقات التَّركيبية للجملة. أمَّا صعيد المحتوى، فيشير إلى المعنى الحرفي لكلمتي "كثير" و"رماد".

فهذا النظام السِّيميائي الأول، يسعى إلى أن يكون تسجيلا لظاهرة ماديَّة، وهي كون هذا الرجل أو ذاك يمارس حرق الحطب الأمر الذي يترتب عليه "كثرة الرماد". وبالتالي يضطلع النظام الأول بحقيقة تقريرية، أما النظام السِّيميائي الثاني فيتمثل في تحول النظام الأول بأكمله إلى دال ثان، فالرسالة الأولى المكونة من اجتماع دال ومدلولات، تغدو دالا لرسالة ثانية. وعليه فالمثال المشار إليه (كثرة الرماد)، سرعان ما يتحول إلى دال جديد، ويقودنا إلى مدلول جديد وهو الكناية عن الكرم. وعلى هذا الأساس يمكن تقديم الخطَّاطة التالية:

الكناية	د2 ↓ مد2	د1 ← مد1
		التقرير

ويمكن تفسير رموز الخطاطة بالقول: إن الدال (د1) يحيلنا على المدلول (مد1)، وفق النظام السيميائي الأول. لكن سرعان ما يتحول النظام السيميائي الأول (د1 - مد1) إلى (د2)، أي إلى النظام السيميائي الثاني، الذي لا يتوقف عن إنتاج أنظمة سيميائية أخرى. وهذا التفريع السيميائي يجد مبرره في اللغة الأدبية.¹⁵² وتمثل الخطاطة التالية، حول نوع من أنواع السجائر الفرنسية، "Royal Menthol" "روايال مونثول" النموذج البارقي المطور عن نموذج هجمسلف:

علامة	إشارة	رمز
أخضر	نعناع	برودة (نضارة، طراوة)
دال التعيين (د1)	مدلول التعيين (مد2)	مدلول التضمين (مد2) ¹⁵³
دال التضمين (د2)		

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن بارت قد عدل المفاهيم الهجمسلافية (التعبير والمضمون)، واعتمد مصطلحات خاصة به (علامة، إشارة، رمز)، ومنحها دلالات ناتجة عن تحليله العميق والدقيق لمفهوم الدلالة، وإن كانت ترجع إلى الثنائية السوسيرية (دال ومدلول).¹⁵⁴

واستنادا إلى فكرة الدلالة التقريرية والدلالة الإيحائية، وباعتبار الأسطورة شكلا رمزيا أو نمطا من أنماط الدلالة الرمزية، فإن بول ريكور يرى ما يراه بارت مؤكدا في ذات السياق على أن الدلالة الرمزية مشكلة بحيث لا نرى منها إلا الدلالة الثانوية عن طريق الدلالة الأولية، حيث تكون هذه الدلالة الثانوية الوسيلة الوحيدة للدنو من فائض المعنى، والدلالة الأولية هي التي تعطي الدلالة الثانوية بصفتها معنى المعنى.¹⁵⁵

وخلاصة القول أن التقرير كمستوى للقراءة، يمثّل بالنسبة لكل أنظمة العلامات باعتبارها حاملة للدلالة والمعنى، المعاني الأولى للعلامات مهما كان نوعها، الخالية من كل الإضافات التأويلية، أما الإيحاء فيشكل بالنسبة لكل الأنساق الدلالية المستوى الثاني للقراءة. حيث نجد ضمن هذا المستوى، المؤسس في الأصل على المستوى التقريري الأول، المعاني الإضافية أو المعاني التأويلية المختلفة.

¹⁵² وائل بركات: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، مجلة جامعة دمشق، ص 66

¹⁵³ برنار توسان: ماهي السيميولوجيا، ترجمة محمد نظيف، ص 46

¹⁵⁴ وائل بركات: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، مجلة جامعة دمشق، ص 67

¹⁵⁵ بول ريكور: نظرية التأويل: ص 97، 98

النَّائِج:

- 1- مصطلح العلامة من وجهة نظر بارتية يتداخل مع مصطلحات أخرى كالمؤشر، الرمز، الأيقون... إلخ، لكنّه في نهاية الأمر لم يخرج في تعريفه للعلامة عن حدود التصور السوسيري لها، باعتبارها وحدة ثنائية التركيب (دال/مدلول).
- 2- إلى جانب تأثره الواضح بمفهوم العلامة لدى سوسير، فإنّ بارت قد استلهم من الفكر الهجسلافي أيضاً فيم يتعلق بمفهوم العلامة، و عناصرها المكوّنة لها، و يظهر هذا جلياً في إدراجه للمصطلحات الهجسلافية، كصعيد العبارة و صعيد المحتوى و مادّة المحتوى، و شكل المحتوى.
- 1- العلامة عند بارت تتفرّع إلى نوعين و هما: العلامات اللّغوية و العلامات السيميولوجية، الأولى تشكل النسق اللغوي، أما الثانية فهي تؤسس للأنساق السيميائية الثقافية المختلفة.
- 2- العلامة السيميولوجية تؤسس لنوع خاص من العلامات، و هي التي تدخل تحت مسمّى العلامات الوظائف.
- 3- على الرّغم من توافقه إلى حد بعيد مع سوسير، في تصوّره لأهمّ العناصر السيميائية، إلّا أنّه اختلف معه فيما يتعلّق بطبيعة الدّال، حيث أضفى عليه الطّابع المادّي، على خلاف سوسير الذي أضفى عليه الصبغة النفسية.
- 4- على خلاف طبيعة الدّال المادّية، تماشياً مع الرّؤية البارتية، و اتفاقاً مع وجهة النظر السوسيرية، فقد اعتبر بارت المدلول من طبيعة مجردة.
- 5- وفقاً لوجهة النظر البارتية، فإن طبيعة العلاقة الرابطة بين الدال و المدلول تتأرجح بين الاعتبارية و التّعليل.
- 6- إن النظرية السيميولوجية عند بارت وثيقة الصلة بوحدات ثنائية المبني و المتمثلة في ثنائية:

(النظام/المركب)، (اللسان/الكلام) التي استوحاها من سوسير، (التقرير/الإيجاء) المستلهمة من هجيمسلاف.

7- رغم اختلاف اللسان كمؤسسة اجتماعية حاملة لنسق علاماتي عن الكلام إلا أن هذا الاختلاف هو المؤسس للتكامل بينهما ذلك أن اللسان لا يعرف التحقيق الواقعي خارج إطار فعل الكلام الذي يمثل الحضور العيني و المادي للسان كمنظومة قيم، فالكلام يخرج باللسان من دائرة الوجود بالقوة إلى حالة الوجود بالفعل.

8- إن ثنائية (النظام/المركب) تمثل مجالا مفتوحا تتمظهر من خلاله العلاقات المختلفة التي تجمع بين العلامات.

9- العلامات تتموضع على مستويين للقراءة: المستوى التقريري حيث تأخذ العلامة في إطاره معانيها الأولية اما المستوى الثاني او الإيجائي فتكتسي العلامة بناءا عليه مختلف معانيها التأويلية.

الفصل الثالث

الأسطورة كنسق سيميائي لدى مروان بامرت

المبحث الأول: الأسطورة بالمفهوم البارتي: تعريفها علاقتها باللغة و قراءتها.

المطلب الأول: تعريف الأسطورة عند بارتي

المطلب الثاني: البنية الدلالية للأسطورة.

المطلب الثالث: الأسطورة و اللغة.

المطلب الرابع: قراءة رموز الأسطورة.

المبحث الثاني: أصناف الأسطورة عند بارت.

المطلب الأول: الأسطورة ككلام غير ميسس.

المطلب الثاني: أسطورة اليمين.

المطلب الثالث: أسطورة اليسار.

مُتَهَيِّدٌ

إنَّ رولان بارت لم يحصر نظريته السِّيميائية، بكلِّ ما تتضمنه من مفاهيم، بما فيها العلامة، في الحدود الضيقة لمجال اللغة، رغم ما يمنحه لهذه الأخيرة من أهميَّة بالغة في الحقل الدلالي و السيمويولوجي، على وجه العموم، بل أطلقها في فضاء الابداع الانساني و الثقافي بمختلف تجلياته، لتستوعب عديد المجالات و تحتويها فالعمران ، السيارات، المأكولات ، الأثاث ، المودا ، الصورة، و الاشهار كل هاته المظاهر الثقافية و كثير غيرها، تشتغل لدى بارت بوصفها دوالاً لعلامات حاملة للمعنى، و تنضح بالمدلولات الدينية و السياسيَّة و الإيديولوجيَّة.

فضلاً عما سبق ذكره، فإنَّ هاته المظاهر يمكن لها أن تتحول إلى شكل أسطوري، أي بإمكانها أن تصبح أسطورة بالمفهوم البارتي المعاصر، والتي حملها معنى جديداً مغايراً للمعنى الذي عهدناه عن الأساطير القديمة، ذلك أن مختلف مظاهر الحياة قد تنتقل من مجرد كونها كيانات ممثلة بشئى الدلالات، لتصبح مواضيع أسطوريَّة بكل تميّز.

و بما أنَّ الأسطورة، من وجهة نظر بارت، تعتبر منظومة سيميائية أو نسقا دلالياً، فقد كانت الأنموذج الأول المختار الذي تناولته بالدراسة من خلال هذا البحث في مجمله، و هي مدار دراسي في هذا الفصل المتضمّن لمبحثين: تنطرت في أوّلهما للتعريف البارتي للأسطورة، و أتبعته التعريف بتوضيح للبنية السِّيميائية للأسطورة و علاقتها باللغة، و ختمت المبحث بالحديث عن قراءة الأسطورة و على اعتبار أن بارت لم يفصل الأسطورة عن الجانب السياسي و الإيديولوجي، حيث يظهر ذلك جلياً في تعريفه للأسطورة، على وجه العموم، و في تصنيفه للأسطورة إلى صنفين على وجه الدقّة و الخصوص، فقد خصّصت المبحث الثاني لعرض أنواع الأسطورة البارتيّة المتمثلة في أسطورة اليمين و أسطورة اليسار.

المبحث الأول: الأسطورة بالمفهوم البارتي: تعريفها علاقتها باللغة و قراءتها.

المطلب الأول: تعريف الأسطورة عند بارت.

في الجزء الثاني من كتاب أساطير "Mythologies" لبارت، وقبل أن يقدم هذا الأخير تعريفا للأسطورة، يستفتح كلامه بطرحه للتساؤل التالي: ما هي الأسطورة المعاصرة، أو بعبارة أخرى ما معنى أسطورة اليوم؟

ويتبع سؤاله مباشرة بقوله: "سأقدم وعلى الفور إجابة سهلة جدا تتفق مع الأصل الاشتقاقي للكلمة: الأسطورة هي كلام، ولكن بطبيعة الحال الكلام المقصود هنا ليس أي ضرب من الكلام، بل يجب أن تتحقق شروط لغوية خاصة من أجل تشكيل الأسطورة. وما يمكن أن يطرح بقوة منذ البداية هو اعتبار الأسطورة نظاما سيميولوجيا، فهي رسالة في حد ذاتها.

والأسطورة بهذا المعنى لن تكون موضوعا ولا مفهوما، ولا حتى مجرد فكرة بل هي نسق دال، أو بالأحرى هي شكل. وما يجب فعله منذ البداية، يفرض وضع الحدود التاريخية له وشروط اشتغاله. فالأسطورة لا تعرف بموضوع الرسالة التي تحملها، بل بالطريقة التي تشتغل بها فهناك حدود شكلية للأسطورة".¹⁵⁶

فالأسطورة باعتبارها كلاماً من وجهة النظر البارتية، لا يمكن أن تكون موضوعاً أو مفهوماً أو فكرة. إنها صيغة دلالية أو شكل، نسق من أنساق التواصل، رسالة لا تتحدد عبر موضوعها، إنما عبر الطريقة التي تبث بها،¹⁵⁷ فالأسطورة حسب رولان بارت موجهة من طرف مظاهر مختلفة، والتي تشكل مجتمعة معايير التعريف المقدم لها.

فبارت قدّمها في البداية على أنّها كلام، دون أن يفهم هذا المصطلح في حرفيته، على أن يؤخذ بمعنى النظام السيميولوجي. فالأسطورة لا تعرف بأنّها ما يحمله الكلام من محتوى ومضمون، بل يجب أن تفهم على أنّها وسيلة لنقل الفكرة، أو هي الطريقة التي ينشأ بناء عليها موضوع الرسالة.

فبارت مبدئياً لا يهتم كثيراً بما يتم نقله من طرق الأسطورة، بقدر ما يهتم بالطريقة التي تشتغل بها.¹⁵⁸ أي

¹⁵⁶ Roland Barthes: Mythologies, p 193

¹⁵⁷ ينظر الموقع: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=79251>

¹⁵⁸ Nathalie Cimino: Théorie de la mythologie, Métiers des arts et de la culture, 2007, Université de Paris, p 8

أنها ذلك الكلام المعروف بمقصده لا بحرفيته ، ومن ثمة فهي تثير للوهلة الأولى الانتباه إلى الطريقة التي تشغل بها بوصفها علامة ، أي إلى صورة التضاد الحاصل بين التصور والشكل الأسطوريين.¹⁵⁹

بناء على ما سبق ذكره ، يتضح أن هناك تقاربا كبيرا بين التصور الباري وكذا تصور ليفي ستروس للأسطورة ، ويظهر ذلك جليا من خلال قوله أن الأسطورة هي نمط من أنماط الخطاب وتدرج في سلسلة من أنظمة الخطابات ، وتعلق الأسطورة بنظام اللغة ، وتشكل جزءا لا يتجزأ منه ، وإذا كانت الأسطورة تنطوي على المعنى ، فلا يمكن أن يتعلق هذا المعنى بعناصر معزولة تدخل في تكوينها ، بل بطريقة تنسيق هذه العناصر ، فالأسطورة بهذا المعنى تنبع من اللغة ، وتشدد على المعنى الكامن بدوره في اللغة¹⁶⁰ .

وإذا كان بارت يؤكد على الجانب البنيوي أو الشكلي للأسطورة ، فهذا ما يصر عليه ليفي ستروس أيضا : " وليس ما يسمى بالمعنى هنا هو ما تعنيه الأسطورة على الإطلاق . بمعنى محتواها أو قصدها الفلسفي أو الوجودي ، بل هو بالأحرى طريقة ترتيب الميثيمات وعرضها ، أي بوجيز العبارة ببنية الأسطورة " ¹⁶¹ .

وبعد تساؤله عن الأسطورة المعاصرة ، يضيف بارت تساؤلا آخر: هل يمكن لكل شيء أن يكون أسطورة ، مجيبا: " نعم ، أنا اعتقد هذا ، فكل شيء يمكن أن يكون أسطورة . لأن كل أشياء العالم يمكن أن تكون موحية إلى أبعد حد ، فكل موضوع من هذا العالم يمكن أن ينتقل من حالة وجود مغلق إلى حالة شفوية متكلمة مفتوحة ، على المجتمع لأنه لا يوجد أي قانون طبيعي أو غير طبيعي ، بإمكانه أن يمنع الأشياء من أن تكون متكلمة ... " ¹⁶² .

ذلك نظرا لكون الأسطورة تتجلى في صورة دوال ، سواء كانت مكتوبة أو مرئية ، فإنه يمكن لأي شيء أن يصبح أسطورة . وبذلك لا تخص الأسطورة بدايات تكوين المجتمعات البشرية ، وإنما تمارس حضورها بصورة يومية في الحياة الإنسانية .¹⁶³

وفي تقدير كاسيرر فإن الأشكال الرمزية ، بما فيها الأسطورة ، هي التي تنتج الواقع وتمثل فهما مغايرا له ، وليست انعكاسا له ، أي أن الأشكال الرمزية تتميز بطابعها التكويني وليس التكراري ، فهي تؤكد على أن الإنسان يمتلك طاقة رمزية ، تعبر عن نشاط إنساني أصيل ، وليست انعكاسا أو مرآة للواقع .

ويؤكد كاسيرر في ذات السياق ، على أننا لا نستطيع فهم الممارسات المختلفة للإنسان في أي ثقافة معينة دون التوسط الذي تقوم به الأشكال الرمزية ، فهي بمثابة الأدوات التي يعرف بها الإنسان العالم ، فتصبح الأسطورة عندها ، كشكل رمزي ، وسيلة أساسية من وسائل المعرفة كما أنها أي الأسطورة تصبح عنصرا أساسيا لا غنى عنه

¹⁵⁹ ينظر الموقع: <http://www.ulm.nl/b174.htm>

¹⁶⁰ الزواوي بغوره: المنهج البنيوي، ص 197، 198

¹⁶¹ بول ريكور: نظرية التأويل ، ص 133

¹⁶² Roland Barthes: Mythologies, p 194

¹⁶³ وائل بركات، السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، مجلة جامعة دمشق، ص 68

في تشكيل الثقافة ، بوصفها مؤسسة إنسانية خاصة ، وبهذا المعنى فإن الثقافة لن تخضع لمنطق كلي أو شامل ، ولكنها تخضع لبنية رمزية ومهمة أيه فلسفة أو نظرية في الثقافة ، هي الكشف عن البنيات الأساسية ، للأشكال الرمزية في ثقافة ما¹⁶⁴.

وتأسيسا على هذا، لا يمكن الحديث عن واقع في الدرجة الصفر أو "واقع خام". فالواقع ليس مجرد حقل وقائع ومجال ماهيات مجتة، بل هو حقل دلالات بامتياز. ذلك لأنّ ظواهر الواقع ومظاهره محملة دوما بقيم مضافة، وبتمثيلات واستيهامات ورموز. معنى هذا أن الواقع الخام هو إنكار للكثافة التأويلية، وهو قول بحضور المعنى ونفي لخبث العلامات.

فالواقع ليس أبدا كما يبدو، فخلف أشيائه تنتصب الدلالات التي لا تنكشف إلا بالتأويل والتعرية، وتحليل الرسالة وفك شفرة الخطاب والعلامات. وهذا السلوك المعرفي النقدي يستند في أصل مقومات اشتغاله إلى استدراج آليات نقد النقد، وتحليل الخطاب والاستقراء السيميولوجي الذي يحلل الدلالات، التي تولدها العلامات في سيرورتها المنتجة للمعنى.¹⁶⁵

وقول بارت: "إن بعض الأشياء تصبح فريسة للخطاب الأسطوري لبعض الوقت، ثم تختفي ويأخذ البعض الآخر من الأشياء مكانها، لبلوغ حالة الأسطورة"¹⁶⁶. دليل على أن عالمنا الرأهن يصنع أساطيره أيضًا، ويبدو أن الإنسان في حاجة دوما لأساطير، تعينه في العيش والتكيف والتواصل.¹⁶⁷ ولعل هذا الاعتقاد يجد تبريره في ما قاله فراس السواح في كتابه "الأسطورة والمعنى": "فالإنسان الحديث الذي غالبا ما يفخر بعلمانيته وعقلانيته، هو سليل ذلك الإنسان المتدين القديم صانع الأساطير، فهو إذ يدير ظهره لأساطيره التي فقدت لديه كل مقدرة على الإيحاء، إنما يعمل على استبدالها بأساطير مزيفة وطقوس عابثة، قد ترضي ذلك التزوع الأسطوري لديه، هذا ما يجعل الجماهير على الدوام عرضة للوقوع في براثن أساطير حديثة"¹⁶⁸.

أي أن اليومي المنبثق عن العالم يعجّ بخطابات شتى، تحمل الأحداث لكنّها تستهلك بشكل بريء، لا يرى فيها المتلقي ذلك النسق السيميائي، بل يعتبر أن الدلالة نسق من الواقع، تحوّل المعنى إلى شكل، وأن الصيغة الصفّر للدلالة تتحوّل بدورها إلى فعل من الأوامر، فتعاقب الأسطورة للمعنى هو إرادتها للاستحواذ عليه، فالأسطورة تطال كل شيء وهكذا يصبح اليوميّ حاملا لصراع طويل ومديد مع الأسطوريّ، لا ينفصل ولا ينقطع بل يستمر بأشكال متنوعة.¹⁶⁹

¹⁶⁴ الزواوي بغوره: الفلسفة واللغة، ص78، 79

¹⁶⁵ ينظر الموقع: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=82719>

¹⁶⁶ رولان بارت: المصدر السابق، ص 194

¹⁶⁷ ينظر الموقع: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=52836>

¹⁶⁸ فراس السواح: الأسطورة والمعنى، ص32

¹⁶⁹ ينظر الموقع: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=79251>

وفي هذا السياق يضيف بارت: "فيمكن تصوّر أساطير قديمة جداً، لكن لا توجد أساطير أبدية، لأنّ تاريخ البشرية هو الذي يحوّل الواقع إلى حالة كلامية، فتاريخ الإنسانية وحده فقط من يضبط حياة وموت اللّغة الأسطورية، فالأسطورة لا يمكن أن يكون لها إلا أساس تاريخي، لأنّها كلام اختاره التّاريخ، فلا يمكن أن تتطور بناء على طبيعة الأشياء".¹⁷⁰

أي أنّ التاريخ البشريّ هو الذي ينقل الواقعيّ إلى حالة المحكيّ بالكلام، فالكلام هو الذي ينظم وحده حياة اللّغة الأسطورية وموتها. ولا يمكن للميتولوجيا سواء كانت بعيدة أم لا، أن تمتلك أساساً تاريخياً ذلك أنّ الأسطورة كلام ينتقيه التّاريخ، ولا يمكن أن ينبثق من طبيعة الأشياء.¹⁷¹

وقد وجد بارت في الأسطورة، ضمن أولى محاولاته، مجالاً رحباً للتقصّي عن عوالم الدّلالة، وذلك في خطوة نحو سيميائيات عامة، تشمل تلك الأنساق التي تمثّل أساطير هذا الزمن كالسينما والإشهار والتصوير... إلخ فهي مسائل تكشف عن نسق اجتماعي وكوني، إذ تبدو للوهلة الأولى أنّها أكثر تحرراً وعقلانية في ظاهرها. بيد أنّها تخضع لاختيارات واستعمالات أسطورية، مشروطة بتمثيلات لاواعية، فهي تلك التّمظهرات التي لا ندرکها لذاتها بل فقط للصور أو العلامات التي تثيرها.¹⁷²

وهذا ما يترجمه قول بارت: "كلام من هذا النوع هو رسالة، هذه الرسالة لا تقتصر فقط على الكلام الشفهي. فيمكن أن تتكون من الكتابة والتمثيل، كما أنّها لا تقتصر فقط على الخطاب المكتوب. فهي تشمل أيضاً التصوير الفوتوغرافي، السينما، الروبورتاج، الرياضة، الإشهار، فكل هذه الأنواع يمكن أن تكون دعماً للكلام الأسطوري. فالأسطورة لا يمكن أن تعرّف بموضوعها ولا بمادتها، لأنّ أيّ مادة يمكن أن تهب المعنى بطريقة اعتباطية".¹⁷³

فأنواع الخطاب المرئي والمكتوب، التي ذكرها بارت، تنطوي على حصتها من اللاّعقلانيّة، وتحوّل إلى نوع من الميتولوجيا التي يحيا بها النّاس، لأنّها تصبح جزءاً من واقعهم. وخاصّة حين تجد فسحةً ومتسعاً للتجذّر، بفعل غياب الحسّ النقديّ، وتعذر القدرة على تعرية الخطاب من بلاغته المزيّفة، ومنطقه الهش الملتبس بلا عقلانية فحواه.

ومعنى هذا أنّ الواقع ينتج أساطيره، أي خطاباته وتمثلاته المشبعة بإيديولوجيا تراهن على تكريس القائم وتبرير السّائد، ونمذجة السلوكات وسلعة القيم. كما هو الشأن في الخطاب الإشهاري كأمّودج للأساطير المعاصرة، على أنّ الخطاب المقصود به هنا ليس ذلك المتعلق بالأنساق التواصلية الاعتباطية، التي أرسّتها الممارسة التداولية في بعدها اللغويّ التقريريّ، بل الأنساق الملحقة أو الثانوية التي تمرر عبر قناة اللّغة قيماً ضمنيةً أو مباشرةً.¹⁷⁴

¹⁷⁰ Roland Barthes: Mythologies, p 194

¹⁷¹ ينظر الموقع: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=79251>

¹⁷² ينظر الموقع: <http://www.ulum.nl/b174.htm>

¹⁷³ رولان بارت: المصدر السابق، ص 194

¹⁷⁴ ينظر الموقع: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=82719>

فالإشهار من منظور بارت يعلن في نظره الحضور الكامل للأسطورة في قلب كل ممارسات الحياة اليومية لاستناده على الصورة¹⁷⁵. "فالصورة أكثر قطعية من الكتابة فهي تفرض المعنى دفعة واحدة دون تحليلها أو تجزئتها، لكن هذا لا يعدو أن يكون فارقا تأسيسيا فالصورة تصبح نوعا من الكتابة حالما تكون حاملة لمغزى ما... فالصورة ستكون نوعا من الخطاب شأنها في ذلك شأن المقال الصحفي".¹⁷⁶

فالإشهار كنظام للتواصل، برسائله وإيجاءاته وأساطيره، يضع رهن إشارة المستعمل له شبكة من القيم أي العلامات، والتي هي بنفس المقدار أفكار مبلورة في أشكال. فإشهار لسيارة مثلا، يكون فيه شكل جانبها وطلاؤها وغلاف مقاعها دوالاً، تدعم ضمناً مدلولات من طبيعة أخرى، كالرفاهية والوضعية الاجتماعية والسلطة والقوة إلخ... فالأسطورة تقدّم على شكل كلام مخادع، يخفي الرسالة الإيديولوجية. فما يعطينا إيّاه الإشهار بشكل خاص ليس هو الحقيقة، إنّما هو ظلال الحقيقة.¹⁷⁷

ذلك أن ما تنقله الأسطورة من وقائع كما يرى فراس السواح، لا يشبه الوقائع أو المعلومات الدقيقة، إنه إيجاء لا إملاء، إشارة وتضمين لا تعليم وشرح وتلقين، وتعتمد الأسطورة في تقنياتها هذه على استخدام الظلال السحرية للكلمات، فالكلمات في أي لغة ذات وجهين، وجه دلالي: يرتبط بالمعاني المباشرة للمسميات، ووجه آخر سحري متلون بظلال متدرجة بين الخفاء والوضوح، قادرة على الإيجاء بمعان غير مباشرة.¹⁷⁸

وهذا ما جعل بارت يقر بأن الميثولوجيا كعلم، تدرس الأفكار على هيئة أشكال، تمثل جزءاً من السيميولوجيا لكونها علماً شكلياً يدرس أشكالاً، وجزءاً من الإيديولوجيا* "Idéologie" على اعتبارها علماً تاريخياً.¹⁷⁹

فالأسطورة عند بارت، هي كل موضوع خطاب يتحوّل عبر مخزونه الإيجائي، الذي يدرج هذه الخطابات ضمن رهانات الدلالة إلى أسطورة، أي إلى شكل من الخطاب الذي يطمح إلى توليد دلالاته وحقيقته الخاصتين وترويجهما، على أنّهما صلب الحقيقة وعين الواقع.

وهذا ما جعله يؤكد على أنّ الأسطورة، بالمعنى السيميولوجي لا تعدو كونها قولاً، ولكنّه ليس قولاً كباقي الأقوال، بل هو نسق للتواصل ورسالة مرتبطة بمجتمع معين، وبلحظة تاريخية معينة من تاريخ هذا المجتمع¹⁸⁰، وغير بعيد عن هذا المعنى، هو ما أكّد عليه ليفي ستروس عندما اعتبر هو الآخر أنّ الأسطورة هي كلام فضلا عن كونها

¹⁷⁵ ينظر الموقع: <http://www.saidbengrad.com/al/27/27-4.pdf>

¹⁷⁶ Roland Barthes: Mythologies, p 195

¹⁷⁷ ينظر الموقع: السابق

¹⁷⁸ فراس السواح: الأسطورة والمعنى، ص 22

* الإيديولوجيا Idéologie : فكر نظري يعتقد أنه يتطور تطوراً تجريدياً في غمار معطياته الخاصة به، لكنه في الواقع تعبير عن وقائع اجتماعية ولا سيما عن وقائع اقتصادية، كما أنه فكر لا يأخذ في حسابه أن الوقائع هي التي تحدد فكره. (انظر: أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ص 611)

¹⁷⁹ رولان بارت: المصدر السابق، ص 197

¹⁸⁰ ينظر الموقع: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=82719>

وخلاصة القول بناء على ما سبق ذكره ،أنَّ كل المواضيع والأشياء في هذا العالم بإمكانها أن تتحوَّل إلى مواضيع أسطوريَّة ،على اعتبار أنَّ الأسطورة هي كل موضوع متكلَّم عنه ،يتمظهر عبر شكل حامل لمختلف الدلالات والمعاني الإيحائية والإيديولوجية.

المطلب الثاني: البنية الدلالية للأسطورة.

يعتقد بارت أن الأسطورة في النهاية ليست إلا جزءاً من علم العلامات، الذي سلّم به سوسير منذ أزيد من أربعين عاماً تحت مسمى السيميولوجيا، والتي لم تخرج إلى حيّز الوجود، إلاّ كقسم من البحوث المعاصرة التي تهتم بمشكلة المعنى والدلالة، فالسيميولوجيا هي علم الأشكال لأنّها تدرس العلامات بصرف النظر عن مضمونها.

فالأسطورة هي نظام سيميولوجي، وكل نظام من هذا النوع يفرض علاقة بين مصطلحين: دال ومدلول. لكن، كما يرى بارت، علينا أن نتعامل مع كل نظام سيميائي ليس على أساس مصطلحين، بل على أساس ثلاثة مصطلحات.

وما يجب أن نوليه اهتماماً، هو كيفية ارتباط الدال بالمدلول لتشكيل الوحدة الكلية أي العلامة. فالأسطورة تنتمي إلى السيميولوجيا باعتبارها علماً شكلياً، و الميتولوجيا موضوعها الأفكار في صيغة أشكال.¹⁸²

فالدال والمدلول والعلامة، هذه المصطلحات الثلاثة هي شكلية خالصة، والتي يمكن أن تعطى لها محتويات ومضامين مختلفة، لما لها من أهمية كبرى في دراسة الأسطورة كمخطط سيميولوجي. ويرى بارت أن ثمة تناولاً مختلفاً لهذا الشكل الصّرف لحدود الدال والمدلول والعلامة، تناولاً يختلف باختلاف المرجعيّات العلميّة.

فالدال عند سوسير هو صورة سمعية نفسية، والمدلول هو مفهوم، أما العلامة فهي العلاقة بين الدال والمدلول وتتمثل في الكلمة مثلاً. ولدى "سيجموند فرويد" Sigmund Freud "الدال هو المعنى الظاهر للسلوك، والمدلول معناه الباطن أو معناه الخاص، وأمّا العلامة فهي الحلم في كليته أو العصاب. وبالنسبة لـ "جون بول سارتر" Jean Paul Sartre "الدال هو الأدب، باعتباره خطاباً والمدلول هو الأزمة الأصلية للذات، وأمّا العلامة فهي ذلك العمل الإبداعي بدلالة خطابه الأدبي والفني.¹⁸³

وفي السياق نفسه، يضيف بارت قائلاً: "في الأسطورة نجد المخطط ثلاثي الأبعاد كما وصفته وتحدثت عنه: الدال، المدلول والعلامة، فالأسطورة هي منظومة خاصّة وتتأسس بناء على نسق سيميولوجي يوجد قبلها. فالأسطورة هي نظام سيميولوجي ثاني، والعلامة التي هي المجموع الكلي الرابط بين الصورة والمفهوم في النظام

¹⁸² Roland Barthes: Mythologies, p 195,196,197

¹⁸³ ينظر الموقع: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=79251>

السيميائي الأول، تصبح مجرد دال بسيط في النظام الثاني".¹⁸⁴

فبارت يعالج الأساطير كما في النظام اللغوي العام، وفق منظور ثلاثي يقوم على الدال والمدلول والعلامة الناشئة عن اجتماعهما. و تغدو العلامات الثقافية بدورها بنية نظام أولي تفضي إلى بنية نظام ثانية، وهذه البنية الثانية هي الأسطورة¹⁸⁵ والخطاطة التالية تبرز ذلك:¹⁸⁶

	1-الدّال	2-المدلول
لغة	3-علامة	
	I. الدّال	II. المدلول
أسطورة	III. العلامة	

ويشرح بارت النظام الأسطوري بمجموعة أمثلة، منها باقة الورد التي يطلق عليها اسم علامة ناتجة عن اتحاد الدال والمدلول، ومختلفة عن باقة الورد كدال أي بوصفها منتجا زراعيا نباتيا، فهو يميز بين باقة الورد كدال وباقة الورد كعلامة مشبعة بالدلالة.¹⁸⁷

والمثال الثاني الذي ساقه بارت لإيضاح البنية الأسطورية المعاصرة، هو صورة غلاف مجلة "باري ماتش" "Paris Match" الفرنسية، التي تُظهر جندياً فرنسياً زنجياً، يرتدي الزي العسكري ويؤدي التحية العسكرية للعلم الفرنسي.

في المستوى الأول، تعبر الصورة عن دال ينقل مدلولاً مباشراً: "هو أن فرنسا امبراطورية عظيمة، وبأن أبناءها وبدون أي تمييز على أساس الألوان يخدمونها بإخلاص، ولا يوجد أفضل من حماسة هذا الجندي، للرد على الذين ينتقدون الاستعمار المزعوم".¹⁸⁸

¹⁸⁴ رولان بارت: المصدر السابق، ص 199

¹⁸⁵ وائل بركات: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، مجلة جامعة دمشق، ص 68

¹⁸⁶ Roland Barthes: Mythologies, p 200

¹⁸⁷ وائل بركات: المرجع السابق، ص 69

¹⁸⁸ رولان بارت: المصدر السابق، ص 201، 202

وفي المستوى الثاني، أي الأسطوري، يتحول الدال والمدلول إلى دال ثان يطلق عليه اسم الشكل، والمدلول الناتج في هذا المستوى يسميه المفهوم، ويسمى العلاقة القائمة بينهما بالدلالة، وهي تقوم مقام العلامة في المنظومة اللغوية، وهذا ما يمكن ترجمته وفق الخطاطة التالية:

النظام اللغوي	1 - دال	2 - مدلول
النظام الأسطوري	1 - شكل	2 - مفهوم
	3 - معنى	4 - دلالة

في هذا النظام الأسطوري، يستطيع المرء أن يميز بين الدلالة الأولى، والدلالة الأسطورية. فإذا كانت الأولى تثبت ولاء جميع أبناء الوطن وإخلاصهم له، ودفاعهم عنه على اختلاف ألوانهم ومعتقداتهم، فإن الثانية تظهر الهيمنة الفرنسية والجانب الاستعماري لهذه الرمزية العسكرية الفرنسية.¹⁸⁹

ففي الأسطورة نظامان سيميولوجيان يتداخل الواحد منهما مع الآخر، فالنسق الأول هو المسمى باللغة - الموضوع، والذي تبني الأسطورة عليه نظامها الخاص، أو الأسطورة ذاتها والمسمى بالميتالغة "Méta-langage" أو اللغة الثانية، سواء تعلق الأمر باللغة نفسها أو بالتصوير، الرسم، المصنقات، الطقوس، وما إلى ذلك، حالما يتم السيطرة عليها من طرف الأسطورة تتحول إلى وظيفة دلالية محضة. فالأسطورة لا ترى فيها سوى مجرد علامة شاملة، أو المصطلح الأخير لنظام سيميولوجي أول ستصبح مصطلحا أولياً أو جزئياً، في نظام أكبر يبني على النظام الأول.¹⁹⁰

فالمضمون الظاهر يماثل الكلام، في حين أن المضمون الكامن يمثل البنية التي تشكل الأساس الذي يقوم عليه الخطاب، ويمكن طرح افتراض مفاده أن هذه البنية الكامنة معادلة للإيديولوجيا، تشكل نوعاً من البنية الخفية في كل خطاب، وهي تنقل وتستقبل مغلفة في شكل خارجي، يلقه الإيهام وقد ميز بارت على هذا المستوى الثاني الخفي بوصفه الميتالغة، في مقابل اللغة الإعتيادية أو اللغة-الموضوع. وتبني غريماش شيئاً مماثلاً، تحت مصطلح المستوى العلمي التطبيقي للغة الأساسية، والمستوى الأسطوري للغة الثانوية أو الميتالغة بتعبير بارت.¹⁹¹

ومن وحي فكرة اللغة والميتالغة، تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن "هيدغر" "Martin Heidgger"

¹⁸⁹ وائل بركات: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، مجلة جامعة دمشق، ص 69

¹⁹⁰ Roland Barthes: Mythologies, p 200

¹⁹¹ ينظر الموقع: <http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=86500>

أولى هو الآخر لهذه الثنائية اهتماما في معرض حديثه عن الفهم والتأويل ويظهر ذلك من خلال قوله بأن المنعرج يستلزم أن يتحول موضوع الفهم من اللغة إلى الميتالغة، ومن علاقة التواصل الخطية، إلى فضاء عمقي يخرج بالدلالة، من ثنائية الدال والمدلول، إلى البحث في مدلول الدال ومدلول المدلول، وعند ذلك يتولد تاريخ جدلية للتأويل، بحيث ينتزل الميتالغوي ضمن إستراتيجية فكر فلسفي جديد¹⁹².

غير أن الحديث عن الأسطورة لا يكتمل إلا برؤية شاملة لمظاهر الحياة العامة، التي سطرها بارت ليؤكد صحة نظريته، فهو ينتقي أمثلة من المصارعة والسينما والدعاية والطعام، والخمر وسباق الدرجات وغيرها من نماذج الحياة اليومية.

ولا ضير من الوقوف عند نموذج يتعلق بالمصارعة حيث يقتبس بارت من "بودلير" Charles "Baudelaire" جملة تنطبق على موضوعه يقول فيها: الحقيقة التفخيمية للحركة في ظروف الحياة الكبرى، محولا بذلك تأكيد مسألة الانحراف في الأسطورة. ولربط بين مشهدية المصارعة والأسطورة، يستند بارت إلى مفهوم الانحراف حيث يعتبر التفخيم أحد أنواع الانحراف عن الحقيقة والواقع.¹⁹³ "إن الميزة التي تمتاز بها المصارعة، هي كونها مشهدة فيه مبالغة، فنحن نلمس في مشاهد المصارعة تفخيما له علاقة بالمرح القديم، كما أن حفلة المصارعة تقام في الهواء الطلق".¹⁹⁴

فما يجعل المصارعة أسطورة مستمرة، هو أنها تنجح للمبالغة وتقيم علاقة تناصية بالمرح القديم، من خلال حلبة المصارعة التي تساوي منصة المسرح، وإشتراكهما بحضور الجمهور. هذه الوظيفة التفخيمية هي وظيفة المسرح القديم نفسها، الذي تتعاضد فيه القوة مع اللغة والملحقات (الأقنعة، والأحذية المسرحية).

من أجل تقديم تفسير، تتضح المبالغة فيه لضرورة معينة. وبذلك تتحوّل المصارعة إلى مشهدية أسطورية، وبالتالي إلى علامة سيميولوجية، تبدأ ببث إنحرافاتها الدلالية، وهي بوصفها علامة تتوزع على محورين: دال وهو أجساد المصارعين، ومدلول هو المبالغات الجسدية للمصارعين، يشكل جسد المصارع المفتاح الأول للصراع، فهو بوصفه دالاً يبيّن مدلوله في سياق أسطورة المصارعة، ومن خلال الجسد والحركات يكون المشاهدون (المؤولون) المدلول.

ومن حيث فكرة الجسد كلغة، وفي سياق هذا التحليل، يمكن العودة إلى ميرلو بونتي من خلال وصفه لخبرة الجسد بكونها تعبيراً وحواراً، فالجسد من خلال حركته في العالم يؤسس المعاني الأولية التي يدركها الذهن، كما يشكل الجسد نقطة مركزية في عملية الإدراك، من خلال وظائف الرؤية والحركة، ومن خلال حضوره مع

¹⁹² دليل محمد بوزيان وآخرون: اللغة والمعنى، ص 218

¹⁹³ وائل بركات: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، مجلة جامعة دمشق، ص 69

¹⁹⁴ Roland Barthes: Mythologies, p 15

ولأن لديه كذلك القدرة على التعبير، كما هو الحال مع حركات أجساد المصارعين، فالمعنى المتضمن كما يقول ميرلو بونتي في الكلمة يمكن أن يكون ذاته المعنى المتضمن في إمعاء الجسد وحركته¹⁹⁶، فالجسد يمسرح دائماً تعبيراته عبر صور متعددة، حيث يصبح التواصل اللاشفوي أكثر فصاحة ونزاهة ودقة وكذلك أكثر تلقائية وأقل خضوعاً للسيطرة من التواصل الشفوي¹⁹⁷.

وقراءة مقال بارت (عالم المصارعة) يوضح بصورة جلية توظيفه أمرين: توظيف مفهوم الإنحراف والمبالغة في تحويل المصارعة إلى أسطورة، وتوظيف فكرة العلامة السيميولوجية في مشهد المصارعة بوصفها أسطورة، ولذلك درس بارت شكلها لا مضمونها أو درسها بوصفها منظومة اتصال¹⁹⁸.

وباشتغاله بدراسة الأنساق الدلالية على اختلاف موادها عامة، وتحليله للصورة والإشهار على وجه التحديد، استطاع بارت أن يعمل على تبيان السلطة المتحركة في الصورة لأن لها بعدين متلازمين:

البعد التقريري (النظام الأول) والإيحائي (النظام الثاني)، فقراءة الصورة لا تتطلب الوقوف عند جرد دوالها التقريرية، بل تستوجب البحث عن مدلولاتها الإيحائية للوصول إلى النسق الإيديولوجي، الذي يتحكم في هذا النوع من العلامات. واستطاع بارت أن يفصح تلك الثقافة والإيديولوجيا، التي تختبئ وراء ما يقدم لأفراد المجتمع¹⁹⁹.

فالخطاب الإشهاري من منظوره يتميز بالإزدواجية، التي يكون فيها التقرير الأول بكليته على المستوى الأول، بمثابة الدال بالنسبة للخطاب الثاني الذي يحيل على المدلول. والذي هو جودة البضاعة، والذي يحفز المستهلك على الشراء.

وعليه فالأسطورة هي نسق خاص، يبنى انطلاقاً من سلسلة سيميائية موجودة قبله: إنها نسق سيميائي من الدرجة الثانية، يحتوي الأول ويتجاوزه. فالعلاقة بين الدال والمدلول في النسق الأول هو ما يشكل المعنى التقريري، وهذا المعنى الأول لا يتجاوز حدود ما يسميه بورس بالمؤول المباشر، الذي يعطي نقطة انطلاق الدلالة، ولكي يتم تجاوز هذا المستوى علينا أن نتقل إلى نسق سيميائي ثانٍ يسمى بالإيحاء²⁰⁰.

بما أن الأسطورة نظام سيميائي، وحداته الأساسية هي الدال و المدلول، فما هي خصائصهما في الحقل الأسطوري؟

¹⁹⁵ الحسين الزاوي وآخرون: الطريق إلى الفلسفة، ص 59، 60

¹⁹⁶ المرجع نفسه، ص 134

¹⁹⁷ دليل محمد بوزيان: اللغة والمعنى، ص 199

¹⁹⁸ وائل بركات: المرجع السابق، ص 70

¹⁹⁹ ينظر الموقع: <http://www.saidbengrad.com/al/n16/pdf/8-16.pdf>

²⁰⁰ ينظر الموقع: <http://www.salahws.com/index.php?ps=SchoolR&tid=102>

1-الدال الأسطوري:

إن الدال الأسطوري حسب بارت يتمظهر بشكل غامض، فهو يمثل معنى وشكلا في الوقت نفسه، وهو ممتلئ من جهة وفارغ من جهة أخرى، باعتباره معنى. فالدال يتطلب قراءة ويمتلك حقيقة حسية، على عكس الدال اللغوي الذي هو من طبيعة نفسية خالصة، فهو يمتلك وفرة وغنى. أما المعنى الأسطوري فباعتباره مجموعة من العلامات اللغوية، فإن لهذا المعنى قيمة خاصة، فهو جزء من التاريخ، فالمعنى عندما يكون كاملا فإنه يفرض وجود: معرفة، ماض و ذاكرة، وعندما يصبح المعنى شكلا يترك وراءه تغيراته، يصبح فارغاً أو أكثر فقراً، فلا تبقى إلا الرسالة.

فالمعنى الأسطوري يحتوي على نظام من القيم التاريخية الجغرافية، والأخلاقية والأدبية ... إلخ، لكن الشكل الأسطوري قد يبعد كل هذا الثراء، فيفقر المعنى ويفرغه وهذا ما يستدعي الدلالة لتقوم بملئه، ويرى بارت أن النقطة الجوهرية في كل هذا أن الشكل لا يلغي المعنى بل يفقره ويبعده، أي يجعله تحت تصرفه. وهنا يُعتقد بأن المعنى سيموت، لكنه موت مع الحفاظ على الحياة، حيث يفقد المعنى قيمته لكنه يحافظ على حياته، حيث أن الشكل الأسطوري يتغذى منه، وبهذا سيكون المعنى بالنسبة للشكل كمخزون مؤقت للتاريخ.

ويرى بارت أنه إذا كان المعنى يظهر ويتخفى بنوع من التناوب السريع، فإن الشكل يجب أن يتجذر باستمرار في المعنى ويتغذى طبيعياً منه، فهو يتخفى فيه فلعبة الاستخفاء بين المعنى والشكل هي التي تعرف الأسطورة.

فشكل الأسطورة ليس عبارة عن رمز، فالزنجي الذي يحبي العلم ليس رمزا للإمبراطورية الفرنسية، لكن لديه حضور كبير. فيها فهو يظهر كصورة معيشة، بريئة وعفوية، لا جدال فيها لكن في الوقت نفسه فإن هذا الحضور مخضع، مبعد، محول إلى شيء شفاف، ينحسر بعض الشيء ليصبح شريكا للمفهوم، المتمثل في الإمبريالية الفرنسية والذي يأتي مجهزا.²⁰¹

وعليه، فالدال الأسطوري له جانبان: المعنى والشكل؛ فالمعنى هو دائما هنا ليمثل الشكل، والشكل بدوره يعطي للمعنى الامتداد، ولا يوجد أي تناقض ما بين المعنى والشكل. وعلى هذا الأساس فلو كنت على متن سيارة، كما يقول بارت، وأنت تنظر إلى مشهد من خلال النافذة، لا يسعك إلا أن تركز إما على المشهد أو زجاج النافذة، فمرة يترأى لك زجاج النافذة ومسافة المنظر الطبيعي، ومرة وعلى العكس يشد انتباهك شفافية الزجاج وعمق المشهد. لكن نتيجة لهذا التناوب المستمر، فالزجاج هو في آن واحد حاضر ومفرغ، والمنظر في الوقت نفسه غير واقعي وممتلئ، وهو الشيء نفسه بالنسبة للدال الأسطوري: الشكل فيه مفرغ لكنه حاضر، والمعنى فيه غائب

Roland Barthes: Mythologies, p 202²⁰¹

رغم أنه ممتلئ.

2- المدلول الأسطوري

أما بالنسبة للمدلول وفق وجهة النظر البارتية، فهو التاريخ الذي يتزف، هو المفهوم. إنه بالنسبة إلى الشكل محدد، تاريخي وقصدي في الوقت نفسه، فهو الذي يدفع بالأسطورة إلى الكلام. فالإمبريالية مثلا في أسطورة الزنجي المحيي، هي الدافع المشكّل لهذه الأسطورة.

فالمفهوم يعيد إنشاء سلسلة من الدوافع والمقاصد خلافا للشكل، وهو ليس بأي شكل من الأشكال مجردا، فهو ممتلئ بالمواقف، هو تاريخ حديد مزروع في الأسطورة، ففي مثال الزنجي المحيي كشكل، فالمعنى فيه منعزل، مفقر، لكن كمفهوم للإمبريالية الفرنسية، فهو مرتبط بكل العالم وبالتاريخ العام لفرنسا.

ويرى بارت أن المفهوم ذو طابع مفتوح؛ فهو ليس جوهرًا مجردا، فالطابع الأساسي للمفهوم الأسطوري هو كونه خاصًا، وهنا يعطي لنا بارت مثالا بالفرويدية* "Freudsime"، فالمدلول الخاص بهذا النظام السيميولوجي هو المصطلح الثاني للنظام، هو المعنى الكامن وراء الفعل الناقص أو الإضطرابات.

كما أن كل مدلول يمكن أن يكون له عدة دوال، وهذا هو الحاصل فعلا بالنسبة للمدلول اللغوي، ومدلول التحليل النفسي. وهذا هو الحال بالنسبة للمفهوم الأسطوري، حيث يوجد تحت تصرفه كتلة غير محدودة من الدوال، فيمكن أن نجد ألف صورة تعبر عن الإمبريالية الفرنسية، وهذا يعني بكل وضوح أن المفهوم أكثر فقرا من الدال، كما أن تكرار المفهوم من خلال أشكال مختلفة أمر قيم عند الميتولوجي، فهو يسمح له بفك رموز الأسطورة.²⁰²

ويعتقد بارت أنه لا توجد نسبة ثابتة بين حجم المدلول وحجم الدال، وإن كان هناك تناسب بينهما في اللغة ففي الأسطورة يحدث العكس، حيث أن المفهوم يمكن أن يمتد باتساع كبير جدا على الدال، فعلى سبيل المثال قد نجعل من كتاب كامل دالا ذا مفهوم واحد، على العكس من ذلك، فكلمة أو حركة يمكن أن تكون دالا لمفهوم مضخم (ممتلئ).

ويضيف بارت في ذات السياق، قوله بأن المفاهيم الأسطورية ليس لها ثبات، فيمكن أن تخرج إلى حيز الوجود وتتغير وتتفكك وتختفي تماما، لأنها على وجه التحديد تاريخية فالتاريخ يستطيع قمعها بسهولة.

* الفرويدية Freudisme: نسبة إلى فرويد و هي مرتبطة بمصطلح التحليل النفسي و هو اصطلاح حديث أطلقه فرويد على إحدى طرق البحث و العلاج في علم النفس المرضي و قد انتشر هذا الاصطلاح في علم النفس الحديث حتى أصبح يطلق على جميع التقنيات المستعملة في دراسة الأفعال النفسية شعورية كانت أو لا شعورية.(انظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، ص257)

²⁰² Roland Barthes: Mythologies, p 203,204

كما أنَّ المفهوم يظهر بشكل شامل فهو سديمي، ليس له امتداد بل له عمق، والعلاقة التي توحد المفهوم بالمعنى هي أساسا علاقة تشويه. كما هو الحال في التحليل النفسي لدى فرويد، فالمعنى غير الظاهر للسلوك يشوه معناه الظاهر (الواضح)، أما في نظام سيميائي بسيط كاللغة فالمدلول ليس بإمكانه أن يشوه أي شيء على الإطلاق، لأنَّ الدال فارغ واعتباطي ولا يبدي أي مقاومة.

وتتحدد دلالة الأسطورة ضمن إطار هذا التضاف التشويهي، بين "المفهوم" و"المعنى" فإذا كان المدلول في النسق اللساني لا يستطيع تشويه أي شيء، وذلك نظرا لضعف مقاومة الدال المفرغ والاعتباطي في الوقت نفسه، فإنَّ الدال الأسطوري يتجلى ضمن مظهرين: مظهر معبأ هو المعنى ومظهر مفرغ هو الشكل، على أن يعمل المفهوم على تشويه الوجه المعبأ (أي المعنى) عبر تحويله من سياق إلى سياق آخر، من دون فسخ أو إبطال لوجوده، وبين شكل فارغ حاضر ومعنى غائب معبأ يتحدد الدال الأسطوري.

وخلافا للعلامة اللسانية فإنَّ العلامة الأسطورية تحقق بعدها الدلالي، ضمن العلاقة التماثلية المعللة للمعنى والشكل، فالشكل يجد تعليله في فراغه فلا أسطورة من دون شكل معلل، ويجد المعنى تعليله في تعبئته، لذلك تراهن الأسطورة بشكل عام على تلك الصور العامة التي تفتقر للشحن الدلالي، لتقحمها في غياهب الموروث الأنتروبولوجي.²⁰³

وتأخذ المصارعة الحرة بالنسبة لبارت وضع علامة أسطورية، إذ يسعى ضمنها "التصور" إلى تشويه معنى المصارعة الحرة عبر نقله من سياقه الأصلي (المصارعة الإغريقية) إلى سياق الفرجة والعرض، حيث يأخذ السياق الأول وضع غائب لكنه في الوقت نفسه معبأ بالظروف المشهدية، التي تفرضها المصارعة الحرة (العراك، الصراخ، القوة، صخب، الجمهور... إلخ)، بينما يتحدد شكل الدال الأسطوري ضمن الغياب والحضور، إذ يحاول المتصارعون نقل صورة ألم المتصارعين الإغريق، عبر ذلك الألم المصطنع الذي يبدونه، وهو ما يعطي لدال الأسطورة شكلا مفرغا لكنه حضوري، بين هذا وذاك تبرز العلاقة التماثلية المعللة ويحصل التشويه والتشكيل لدلالة الصراع المفتوح بين الخير والشر.²⁰⁴

وعليه فالدال والمدلول الأسطوريان هما واضحا تماما، على عكس ما هو حاصل في الأنظمة السيميائية الأخرى، فالواحد منهما لا يختفي خلف الآخر، فهما يظهران على حد سواء دفعة واحدة. فليس الواحد منهما هنا والآخر هناك، ذلك أنَّ الأسطورة لا تخفي شيئا فوظيفتها التشويه والتحريف، وليس صنع التخفي.²⁰⁵

وتجدر الإشارة في هذا السياق، إلى أن ريكور يعتقد أن عملية تقسيم الأسطورة إلى الوحدات المكونة لها، لا

²⁰³ رولان بارت: المصدر السابق، ص 204، 205

²⁰⁴ ينظر الموقع: <http://www.ulum.nl/b174.htm>

²⁰⁵ Roland Barthes: Mythologies, p205

تمثل إلا تفسيراً أولياً ولا تعتبر بمثابة التأويل الأخير للأسطورة، وهذا يعود لكون الأساطير هي نصوص لغوية ذات مغزى وإحالة، أي أنها تفصح عن طريق بنائها الداخلي الذي هو مدار التحليل البنيوي، وعن طريقة وجود مؤلفيها في العالم، وهذا الجانب الأخير هو ما أهمله التحليل البنيوي، كما هو الحال مع بارت وليفى ستروس²⁰⁶.

وخلاصة القول بناء على ما سبق ذكره، أن الأسطورة باعتبارها شكلاً فهي تنتمي إلى علم العلامات، باعتباره علماً يهتم بدراسة الأشكال، فهي لا تخرج في الأخير عن كونها نسقاً سيميولوجياً يتأسس بناء على نظام سيميولوجي أول، يوجد قبلها وإذا كان النظام الأول يمثل المستوى التقريرى فإن النظام الثانى (أي الأسطوري) يشكل المستوى الإيحائى أو الإيديولوجى. أما بالنسبة لوحداث العلامة الأسطورية، أي دالها ومدلولها، فإن الدال الأسطوري هو معنى وشكل في حد ذاته، ممتلئ من جهة، ومفرغ من جهة أخرى، أما المدلول الأسطوري فهو المفهوم الممتلئ بالدلالات والمقاصد.

²⁰⁶ بول ريكور: نظرية التأويل، ص 16

المطلب الثالث: الأسطورة واللغة

يعتقد بارت أن الأسطورة هي سرقة للغة ، بمعنى أنها تحول المعنى إلى شكل من الأشكال ، فهذا التحويل يعتبر من أبرز سمات الأسطورة ، فكل اللغات الأساسية هي فريسة للأسطورة ، حيث يكون المعنى دائماً مهدداً بالأسر ، من قبل الشكل .

ويتساءل بارت إن كان هناك أي معنى يمكن أن يقاوم هذا الأسر ، الذي يهدده من طرف الشكل ؟ معتبراً بأنه في الحقيقة لا شيء يمكن أن يكون في مأمن من الأسطورة ، فالأسطورة بإمكانها أن تصنع نسقها أو نظامها الثاني من خلال أي معنى كان ، حتى وإن لم يكن يوجد أي معنى .

لكن تختلف اللغات في درجة مقاومتها للأسطورة ، فاللغة التي هي في أغلب الأحيان الأكثر سرقة من قبل الأسطورة ، تتيح مقاومةً ضعيفةً فهي تتضمن في حد ذاتها بعض الأشكال الأسطورية ، وفي هذا يعتقد بارت بأنه حتى المعاني المتخفية ، والتي لا تمثل أبداً الدرجة الصفر بإمكان الأسطورة أن تستحوذ وتحيمن عليها ، وتقدم لها على سبيل المثال الدلالة التهكمية الساخرة للسريالية "Surréalisme".

فالدرجة الصفر للمعنى ، هي فقط التي تستطيع أن تقاوم الأسطورة ، فاللغة إذا تنتسب إلى الأسطورة بأي طريقة كانت ، ذلك لأنها من النادر جداً أن تفرض معنى كاملاً منذ البداية ، وغير قابلة للتشويه ، وهذا يأتي من طابعها التجريدي ، فعلى سبيل المثال كلمة "شجرة" لها مفهوم واسع وغامض ، وتبقى هناك دائماً هالة افتراضية تحوم حول معناها الحقيقي ، حيث تطفو معانٍ أخرى ممكنة ، فالمعنى يمكن أن يكون على الدوام مؤولاً .

وبناء على هذا فبارت يعتقد بأن اللغة تفرض على الأسطورة معنًى مفرغاً ، يمكن للأسطورة بسهولة أن تتسلل وتمتد وتتضخم عبره ، وهذه العملية تشبه السطو أو الاستعمار والاحتلال ، وإذا كان المعنى الذي تمنحه اللغة جد ممتلئ بحيث تستطيع الأسطورة أن تغمره ، فإنها في هذه الحالة ستقبله كلياً . أما بالنسبة للغة الرياضة فهي لغة لا تقبل التشويه ، لأنها تأخذ كل الاحتياطات الممكنة ضد التأويل ، فلا يمكن لأي دلالة متطفلة أن تسلل إليها ²⁰⁷ .

* السريالية Surréalisme: (ما فوق الواقعية) كلمة ابتكرها غيوم أبولينير ، أعاد استعمالها أندريه بولون و معه مدرسة كاملة في الأدب و الفن الحديثين تتميز بالنفور من التراكم العقلي و التسلسلات المنطقية و بالاستثمار النسقي لما هو غير عقلاني و أيضاً للحلم و الحالات المرضية و ذلك بالرجوع غالباً إلى التحليل النفسي. (انظر : أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ص 1394)

²⁰⁷ Roland Barthes: Mythologies, p 217, 218

وهذا هو السبب على وجه الدقة ، كما يرى بارت، الذي يجعل الأسطورة تأخذ اللغة الرياضية جملةً أو على هيئة كتلة واحدة، ويقدم لنا بارت مثالا لمعادلة رياضية هي: $(2=mc^2)$ فهذه المعادلة هي دال رياضي بحت، يحمل معنى غير قابل للتغيير، فما تسرقه الأسطورة هنا هو الصمود والنقاء، ذلك لأنَّ الأسطورة بإمكانها أن تصل إلى أي شيء، وأن تشوه كل شيء، بل حتَّى كل ما يرفض الخضوع لها.

وكَلِّما كان صمود الموضوع كبيراً في مقاومته لهيمنة الأسطورة، كَلِّما كان استسلامه وخضوعه لها في النهاية أكبر، فالذي يصمد بكل قوة سينهار في النهاية تماماً، ويعطي لنا بارت صورة زمنية لصراع الأسطورة واللغة الرياضية، متمثلاً في قوله بأن اللغة الرياضية هي لغة تامة، وتستمد كمالها ذاته من تقبلها للموت. وعلى العكس من ذلك فالأسطورة لغة لا تريد أن تموت، فهي تنتزع من المعاني ما تغذي به بقاءها على قيد الحياة، ونجاحها الماكر... فهي تحوّل هذه المعاني إلى جثث متكلمة.

ومن وجهة نظر بارتية، فإنَّ هناك لغة أخرى، والتي تحاول أن تقاوم الأسطورة قدر الإمكان وهي اللغة الشعرية، فإذا كانت الأسطورة تهدف إلى تكوين دلالة فائقة، وتوسيع النظام الأول، فإنَّ الشعر على العكس من ذلك يحاول أن يجد دلالة تحتية، تمثل حالة السيميولوجيا الأولى للغة، أي أنَّه يحاول تحويل العلامة إلى معنى فغايتها في نهاية المطاف، ليست الوصول إلى معاني الكلمات بل الوصول معاني الأشياء ذاتها.

وهذا هو السبب الذي يجعل اللغة تضطرب مما يزيد في تجريدية المفهوم، واعتباطية العلامة. ويمتد هذا إلى حدود العلاقة التي تربط الدال بالمدلول، فالبنية هنا تطفو على المفهوم وتستثمره وتستغله إلى أقصى حد، فالشعر يحتل الوضعية العكسية للأسطورة، فالأسطورة هي نظام سيميائي يطمح لتجاوز ذلك ليصبح نظاماً واقعياً.

أما الشعر حسب بارت، هو نظام سيميولوجي يطمح إلى أن يتقلّص كي يصبح مجرد نظام أساسي، لكن هنا مرة أخرى كما هو الحال بالنسبة للغة الرياضية، فالمقاومة التي يديها الشعر للأسطورة هي التي تجعله فريسة مثالية لها، فعدم ترتيب العلامات في الشعر هو وجه من الوجوه الشعرية الأساسية، التي تستولي عليها الأسطورة و تحوّلها إلى دال فارغ يستخدم للدلالة على الشعر.

فالشعر بقدر ما يرفض الأسطورة بشدة ويقاومها، فهو في النهاية يستسلم وينقاد لها كلياً أو بتعبير بارت: "يستسلم لها مقيد اليدين والرجلين". فهذه هي حالة الشعر الحديث على عكس الأدب الكلاسيكي، الذي قبل الأسطورة طواعية، حيث شكّل هذا الأدب نظاماً أسطورياً داله الخطاب نفسه كشكل أو كتابة، ومدلوله هو مفهوم الأدب وثمة الدلالة و هي الخطاب الأدبي. وقد أوضح بارت هذا في كتابه: "الكتابة في الدرجة الصفر" "Degrès Zéro de l'écriture"، والذي ما هو إلا ميتولوجيا للغة الأدبية.

يظهر إذاً أنَّه حسب معتقد بارت، من الصعب جداً إخضاع أو هزيمة الأسطورة من الداخل، لأنَّ هذه

الحركة ذاتها التي تقوم بها من أجل الهروب منها، ستصبح هي الأخرى بدورها فريسة للأسطورة، فالأسطورة بإمكانها دائما وكما لاذ أخير أن تدل على المقاومة الممارسة ضدها.²⁰⁸

والحق يقال أن أفضل سلاح ضد الأسطورة، ربّما يكون بإعادة تشكيلها بأسطورتها هي الأخرى، وذلك بإنتاج أسطورة مصطنعة، وهذه الأسطورة المعاد تشكيلها ستصبح ميثولوجيا حقيقية.

وهنا يطرح بارت تساؤلا مشروعا، على اعتبار أن الأسطورة تسرق شيئا من اللغة، فلماذا لا تسرق أسطورة؟ ويجب بارت بأن كل ما يلزم من أجل هذا هو أن تستخدم الاسطورة نفسها، كنقطة انطلاق لنسق سيميولوجي ثالث. و الأدب يقدم أمثلة بارزة لبعض هذه الأساطير المصطنعة كـ "بوفارو بيكوشو" لـ "فلوبير" "Gustave Flaubert"، حيث أن تحليل الرواية يكشف عن وجود نظام سيميولوجي ثانٍ يتأسس بناء عليه نسق سيميولوجي ثالث.²⁰⁹

ما يمكن استنتاجه بناء على ما سبق ذكره، أن الاسطورة تقوم بعملية سرقة لكل اللغات، أي أنّها بهذا المعنى تعمل على تحويل المعاني إلى مجرد أشكال، وبعبارة أخرى فهي تقوم بتشويه الأشياء والمواضيع، مهما كانت اللغة الحاملة للمعنى أو المعبر بها عن تلك المواضيع.

²⁰⁸ Roland Barthes: Mythologies, p 219, 220

²⁰⁹ المصدر السابق، ص 222، 223

المطلب الرابع: قراءة رموز الأسطورة

يرى بارت أن تلقي الأسطورة يعني بالضرورة القيام بعملية قراءة للدال، والذي يصفه بارت بأنه، دال مخادع، وعلى اعتبار أن الدال الأسطوري هو معنى وشكل في الوقت نفسه فإن فك رموزه يكشف عن ثلاثة أنواع من القراءة بحسب الجانب الذي يتم التركيز عليه، إما المعنى، أو الشكل أو كلاهما معا.

1/ إذا كانت القراءة تركز على الدال الفارغ، فهذا سيسمح للمفهوم بملئ شكل الأسطورة دون غموض أو لبس، وسنجد أنفسنا أمام نظام بسيط، حيث تصبح الدلالة حرفية من جديد، فالزنجي، على سبيل المثال، الذي يؤدي التحية العسكرية، سيصبح في هذه الحالة مثالا للإمبريالية الفرنسية، فهو رمز لذلك، فالتركيز في هذا الإطار ينطبق على منتج الأسطورة كالصحفي الذي ينطلق من المفهوم لبحث له عن شكل.

2/ إذا كان التركيز موجهًا نحو دال ممتلئ، والذي نميز فيه بوضوح المعنى عن الشكل وبالتالي التشويه الذي يلحقه أحدهما بالآخر، فإننا، في الحالة هذه، نفكك دلالة الأسطورة وسيتم تلقي الدال على أنه شيء زائف ومخادع، هذا النوع من التركيز هو الخاص بالميتولوجي، وهو يقوم بفك الأسطورة فهو سيدرك أو يتعرف على التوشيه، فالزنجي في هذه الحالة على سبيل المثال يصبح ذريعة للإمبريالية.

3/ وأخيرًا إذا كان التركيز على الدال الأسطوري، على النحو الذي ينقسم فيه كليًا عن المعنى والشكل، سيتم تلقي دلالة غامضة، وفي هذه الحالة، بإمكان أي واحد منا أن يصبح قارئًا للأسطورة، وعندها فالزنجي لن يبقى مجرد رمز أو مثال أو ذريعة، فهو سيشكل، والحالة هذه، الحضور ذاته للإمبريالية الفرنسية.

النوعان الأولان من التلقي والقراءة، كما يرى بارت، هما من طبيعة ثابتة وتحليلية، فهما يحطمان الأسطورة إما عن طريق الكشف عن غاياتها ومقاصدها، أو عن طريق إزالة القناع عنها وتعريضها، فالقراءة الأولى تهكمية ساخرة أما الثانية فهي مبددة لغموض الأسطورة، أما القراءة الثالثة فهي ديناميكية، تُستهلك فيها الأسطورة وفق الغايات النهائية ذاتها لبنيتها، فالقارئ هنا يعيش الأسطورة، بوصفها قصة حقيقية وغير واقعية في آن واحد.

وبصرف النظر عن هاته الأصناف الثلاثة للقراءة، يتحدث بارت على نوعين آخرين من القراءة وذلك من

خلال تساؤله عن كيفية تلقي الأسطورة في عالمنا المعاصر: فإذا تلقيناها على نحو بريء فأبي فائدة ستحصل عليها منها، وإذا قرأناها بطريقة تأملية، شأننا في ذلك شأن الميتولوجي فما هي الذريعة التي نقدمها؟²¹⁰

فقارئ الأسطورة فيما يتعلق دائماً بتحية الزنجي، إذا لم يكن يرى فيها الإمبريالية الفرنسية فهذا يعني أنه لا يعطي لها وزناً أو قيمة، وإذا كان يرى في هذه التحية تجلياً للإمبريالية، فإن الأسطورة، في هذه الحالة، تصبح مجرد قضية سياسية تفصح عن نفسها، بكل صراحة، ويرى بارت، في هذه الحالة، بأنه إما أن يكون قصد الأسطورة غامضاً جداً، لكي يكون فعالاً وإما أن يكون واضحاً تماماً فيصبح معتقداً.

يعتقد بارت أن قراءة تحية الزنجي كرمز بسيط للإمبريالية، يوجب التخلي عن واقعية الصورة، فهي تسيء إلى نفسها في أعيننا عندما تصبح أداة، وعلى العكس من ذلك فإذا تمت قراءة تحية الزنجي كتبرير للاستعمار، فإنه يتم بالتأكيد وبشكل أكبر تحطيم الأسطورة، على أساس بدهية دافعها، ولكن بالنسبة لقارئ الأسطورة فإن التحية مختلفة تماماً، فكل شيء يحدث كما لو أن الصورة تثير طبيعياً المفهوم، أو كما أن الدال يشكل أساساً للمدلول، أي أن الأسطورة توجد في لحظة انتقال الإمبريالية الفرنسية إلى حالة طبيعية.

والأسطورة حسب بارت تكون مهددة بالتخفي، في حال ما إذا تركت للنوع الأول والثاني من التركيز، وستخرج من هذا المأزق بحل وسط، وهو كونها ستعتمد إلى عملية تمويه للمفهوم القصدي، والأسطورة في هذه الحالة لن تجد في اللغة إلا خيانة، لأن اللغة لا يمكنها أن تقوم بطمس المفهوم، إلا إذا أخفته أو أزالته عنه القناع أو قامت بتشكيله، فوضع نظام سيميائي ثاني سيمكن الأسطورة الخروج من هذا المأزق، وفي هذه الحالة ستقوم الأسطورة بتطبيع المفهوم، إما بدافع كشف النقاب عنه أو إزالته.

ويخلص بارت من كل هذا إلى أن مبدأ الأسطورة، يكمن في تحويلها التاريخ إلى أسطورة، والأسطورة عندها لا تخفي شيئاً ولا تبدي شيئاً، بل تقوم بعملية تشويه، وأن ما يتيح في الواقع للقارئ بأن يستهلك الأسطورة براءة، هو أن لا يعتبرها نظاماً سيميولوجياً، بل نظاماً استقرائياً، لا يوجد فيه سوى تكافؤ، حيث لا يرى عندها إلا نوعاً من عملية إجرائية، سببية بين الدال والمدلول، ذلك أن كل نظام سيميولوجي هو نظام من القيم، فمستهلك الأسطورة يعتبر الدلالة كنظام من الوقائع والحوادث، فالأسطورة تقرأ على أنها نظام واقعي في حين أنها مجرد نظام سيميولوجي.²¹¹

وإذا كان بارت قد انتهى إلى أن الأسطورة تعمل على تحويل التاريخ فهي في النهاية يجب أن تقرأ كمجرد نظام سيميائي لا كنظام واقعي فإن هذا الطرح قد يجد ما يبرره في قول فراس السواح: "من خلال الأسطورة عمل الإنسان على تحويل وموضعة تجربته الانفعالية مع الكون والنفس الداخلية والإنسان، وفي ترميزه الأسطوري

²¹⁰ المصدر السابق، ص 213، 214

²¹¹ المصدر السابق، ص 214، 215، 216

لهذه التجربة لا يلجأ إلى التحليل أو التعليل الخطي المنظم، بل إلى إنتاج بنية أدبية تحاول من خلال تمثيلاتها وصورها الحركية، إعادة إنتاج العالم على مستوى الرمز، وذلك في وحدات أدبية رمزية تعمل على اختزاله وتقديمه مجدداً إلى الوعي²¹².

وخلاصة القول هنا أن: قراءة أو تلقي الأسطورة كنظام رمزي سيميولوجي، يعني بالدرجة الأولى القيام بقراءة للدال الأسطوري، وعلى اعتبار أن هذا الأخير مشكل من جانبين هما: المعنى والشكل، فإن ما يمكن قراءته سيكون حسب الجانب الذي يتم التركيز عليه، فتختلف الدلالات المقروءة حسب الجهة التي يتم التركيز عليها أثناء التلقي.

²¹² فراس السواح: الأسطورة والمعنى، ص 20

المبحث الثاني: أصناف الأسطورة عند بارت

المطلب الأول: الأسطورة ككلام غير ميسس

في الجزء الأخير من كتاب الأساطير يظهر بارت البعد الإيديولوجي و التاريخي للأسطورة²¹³، و يظهر ذلك أولاً من خلال حديثه عن علاقة الأسطورة بالسياسة، ذلك أن هاته العلاقة هي بمثابة التمهيد لحديثه عن صنف الأسطورة ففي هذا السياق يعتبر بارت أن الأسطورة كلام غير ميسس، حيث يعتقد بأن هذه العبارة هي ما يجب أن يضيفه لاستكمال التعريف السيميولوجي للأسطورة، في المجتمع البرجوازي، وقبل شرحه لمعنى العبارة مهّد لها بحديث مسبق له علاقة مباشرة بمعناها، وهو أن السيميولوجيا قد علمتنا أن مهمة الأسطورة تكمن في إنشاء غاية تاريخية في الطبيعة، و إحداث تغييرات، وأن هذه العملية هي ما تقوم به الإيديولوجيا البرجوازية أيضاً .

فإذا كان المجتمع البرجوازي، هو بكل موضوعية حقلاً للدلالات الأسطورية بامتياز، فذلك يعود إلى كون الأسطورة، شكلياً، هي الأداة الأنسب لقلب الإيديولوجيا، فكل ما يقدمه العالم للأسطورة هو واقع تاريخي معين، وما تقدمه الأسطورة في المقابل هو صورة طبيعية عن هذا الواقع، ليخرج العالم من الأسطورة كلوحة متناغمة من الجواهر.

وهنا يعود بارت لشرح معنى العبارة التي استهلّ بها كلامه، أي كون الأسطورة كلاماً غير ميسس بقوله: لكن من الطبيعي أن نفهم السياسة بمعناها العميق، أي على أنها مجموعة من العلاقات الإنسانية في بنيتها الواقعية والاجتماعية، القدرة على صنع العالم، وبالتالي عدم التيسيس في أسطورة المجتمع البرجوازي المقصود به أن الأسطورة هنا تقوم بتحويل الواقع و إفراغه من التاريخ، وملئه بما يبدو وكأنه طبيعي، حيث تجرد الأشياء من معناها الإنساني، فوظيفة الأسطورة تكمن في إفراغ الواقع.

ويعتقد بارت أنه فيما يتعلق بكلمة -غير ميسس-، لا بدّ من إعطاء قيمة أساسية وحيوية لكلمة -غير- فهي تمثل في هذه الحالة حركة إجرائية، كما أنها تجسّد الهروب والتخلي المستمر، فعلى اعتبار أن الأسطورة في المجتمع البرجوازي كلام غير ميسس، فهذا يعني أن وظيفة الأسطورة لا تتمثل في نفي الأشياء، بل العكس مهمتها تكمن في

²¹³ Nathalie Cimino: Théorie de Mythologie, p 11

التحدث عنها ،وتجعلها برئية وتمنحها الوضوح.²¹⁴

وهذا ما فعلته البرجوازية* "Bourgeoisie"، التي تحاول من خلال الأسطورة، أن تمرر عبر المجتمع والتاريخ معاييرها ومبادئها، وكأنها قوانين بديهية لنظام طبيعي.²¹⁵ فالأسطورة في هذه الحالة تلغي تعقيد الأعمال البشرية، وتمنحها بساطة وتلغي كل ما هو جدي، وبهذا يصبح كل شيء واضحاً، فالأسطورة تنظم عالماً دون تناقضات لأنه بدون عمق، عالماً قائماً على الوضوح وتؤسس وضوحاً منشراحاً حيث تبدو فيه الأشياء حاملةً للمعنى، أو ذات دلالة من تلقاء نفسها.

لكن بارت نفسه يتساءل: هل الأسطورة دائماً كلام غير مؤسس؟ أو بعبارة أخرى هل الواقع ميسر دائماً؟ هل يكفي الحديث عن شيء بطريقة طبيعية حتى يصبح أسطورياً؟ ورداً على هذه الأسئلة يقدم إجابة "ماركس" "Karl Marx"، الذي يرى بأنه حتى أكثر المواضيع الطبيعية تحتوي بالضرورة على أثر سياسي.

وحسب بارت توجد أساطير قويّة وأساطير ضعيفة، فالأولى يكون فيها الكم السياسي مباشراً وواضحاً، وعدم التسييس يكون فيها صعباً، أما النوع الثاني فيكون فيه كيف السياسي للموضوع متلاشياً، كالألوان حيث لا شيء بإمكانه أن ينعشها بقوة.

ومن وجهة نظره دائماً فإن الناس يقومون بعدم التسييس بحسب حاجتهم، فعلاقة الناس بالأسطورة قائمة على أساس الاستعمال وليس على أساس الحقيقة وهذا ما يجعل بعض المواضيع الأسطورية قائمة أو في حالة كمون لوقت ما من الزمن لكونها ليست إلا مجرد مخططات أسطورية مبهمة.²¹⁶

و مجمل القول أن ما يعنيه بارت بقوله بأن الأسطورة كلام غير ميسر هو أن المواضيع الأسطورية للفكر البرجوازي، تطرح وكأنها مواضيع طبيعية تخلو من أي شحنات سياسية، رغم أن الواقع يثبت عكس ذلك.

²¹⁴ Roland Barthes: Mythologies, p 229,230

* البرجوازية Bourgeoisie: طبقة نشأت في عصر النهضة الأوروبية، صارت في القرن التاسع عشر مالكة لوسائل الإنتاج يتميز أفرادها عن غيرهم بثقافتهم و ممارستهم لإحدى المهن الحرة أما في اصطلاح الماركسيين فن البرجوازيين هم الذين يمثلون النظام الرأسمالي. و تقابلهم طبقة العمال. (انظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، ص205)

²¹⁵ Nathalie Cimino: Théorie de Mythologie, p 11

²¹⁶ Roland Barthes: Mythologies, p 230,231

المطلب الثاني: أسطورة اليمين

من وجهة نظر بارتية فالأسطورة المعاصرة هي إحصائياً يمينية²¹⁷، والأسطورة اليمينية^{*} Mythe à "droite" هي الأسطورة البرجوازية، وتمتاز هذه الأساطير كونها مغدّاة جيّداً، موسعة، منتشرة، ثرثارة، تبذع نفسها باستمرار فهي تسيطر على كل شيء على: القانون، الأخلاق، الجمال، الديبلوماسية، الأداب، التسلية، ويكون انتشارها وامتدادها بالمقدار ذاته لامتداد البرجوازية.

وإذا كانت البرجوازية تهدف إلى الحفاظ على الوجود، فهي تتطلب الأسطورة إلى أقصى حد، وإذا كانت أساطير اليسار^{**} "Mythe à gauche" تعبّر عن كلام المظلوم، والذي ليس له إلا كلام واحد هو المتعلق بتحرره، فإن الأسطورة اليمينية هي تلك المعبرة عن الظالم، فهذا الأخير هو كل شيء وكلامه فيه وفرة وثرأء، متعدّد الأشكال يحتوي على كل الدرجات المحتملة للعزّة فهو يمتلك الحق الحصري للميتالعة، فإذا كان المظلوم يضع العالم وليس لديه سوى لغة حيوية وسياسية، فإن الظالم يختزن العالم وكلامه كامل حركي، مسرحي، تمثيلي.²¹⁸

وهذا ما يجعل أساطير اليسار تهدف إلى التّغيير، أما أساطير اليمين فهي تهدف إلى التّخليد في هذا العالم. فبارت يعتقد بأنّ الفكر الأسطوري مرتبط بالظالم لأنّه فكر يهدف إلى تخليد الأشياء، في حين يهدف المظلوم صانع العالم إلى تغييره وتحويله.²¹⁹

وهذه الخاصية أشار إليها فراس السواح من خلال قوله: "وتستتبع لاتاريخية الحدث الأسطوري، أن رسالته غير زمنية وغير مرتبطة بفترة ما، إنّها رسالة سرمدية خالدة، لا تنطلق من وراء تقلبات الزمن الإنساني، وهذا ما

²¹⁷ Nathalie Cimino: Théorie de Mythologie, p 12

* اليمين Droite: في التقليد الفرنسي، مجموعة النواّب و السيناتورات و الذين تقع مقاعدهم على يمين رئيس الجمعية العامة و الذين تطلق عليهم تسمية المحافظين وهم مناصرو التأسيسات القديمة العهد و المتعلقون بالمبادئ و القيم التقليدية و الذين لا يعترفون بأي مصدر للحقيقة غير التقاليد. (انظر: Hachette, dictionnaire français, p 524)

** اليسار Gauche: في التقليد الفرنسي، مجموعة الأعضاء و النواب الذين يجلسون على يسار رئيس الجمعية العامة و يمثلون الأحزاب الراحبة في إحداث تغييرات سياسية و اجتماعية لصالح الطبقات الاجتماعية الأكثر تواضعاً، و تطلق هاته التسمية على المواطنين و الأحزاب التي تسعى أو ترغب في إحداث مثل تلك التغييرات. (انظر: Hachette, dictionnaire français, p 720)

²¹⁸ Roland Barthes: Mythologies, p 236, 237

²¹⁹ Nathalie Cimino: Théorie de mythologies, p 12, 13

يجعل من الحدث الأسطوري حدثًا ماثلاً أبداً ويتخذ صفة الحضور الدائم " 220 .

ويضيف بارت متسائلاً: ولكن هل توجد على سبيل المثال أساطير برجوازية وأساطير للبرجوازية الصغيرة؟ "Petite Bourgeoisie"، ورداً على ذات السؤال يقول بارت بأنه لا توجد اختلافات جوهرية بين الصنفين، لأنه مهما كانت طبيعة المجتمع الذي يستهلك الأسطورة، فإن الأسطورة دائماً تتطلب استقراراً لطبيعتها، ولكن يمكن أن تكون هناك أساطير برجوازية أكثر نضجاً، أو امتداداً في بعض الأماكن الاجتماعية، كما أنه توجد بعض الأساطير التي لا تكون مروّضةً بعد شكل جيد، وهي أساطير البرجوازية الصغيرة.²²¹

فأسطورة الطفولة الشاعرة "Enfance Poète" على سبيل المثال، أسطورة متقدمة فهي ليست مروّضة بشكل جيد، فهي حسب بارت لا تحتوي بعد على ما يكفي من أجل جعل الطفل الشاعر "Enfant Poète" أحد عناصر نشأة الكون، وعندها لا بد من التخلي عن موزارت "Wolfgang Mozart" وقبول قواعد جديدة بسيكويدياغوجية وفرويدية، فهي إذا لا تزال أسطورة غير ناضجة.

وبذلك يمكن أن يكون لكل أسطورة تاريخها وجغرافيتها، فكل من التاريخ والجغرافيا هو عبارة عن علامة للآخر، فالأسطورة تكون أكثر نضجاً بقدر انتشارها، كما هو حال الأسطورة البرجوازية.

ويعتقد بارت أنه من الصعب وضع قائمة للأشكال الجدلية للأسطورة البرجوازية، مع إمكانية تحديد أشكالها البلاغية، على أن المقصود بمصطلح البلاغة هنا مجموعة من الألوان الثابتة، المنظمة، الملحّة، والتي فيها تنتظم الأشكال المختلفة للدال الأسطوري، ولهذا فإنها لا تؤثر على ليونة الدال، إلا أنها متصورة للتكيف مع التمثيل الخارجي للعالم.

فالأشكال البلاغية للأساطير البرجوازية، تظهر بعض أهم ميزات الأسطورة اليمينية ومنها أن: الأسطورة تجرد الموضوع الذي تتحدث عنه من كل تاريخ، ففيها يتبخّر التاريخ كما أنّها، أي الأساطير البرجوازية، تظهر البرجوازي الصغير، على أنه إنسان عاجز على تخيل وتصور الآخر، وإن قابله وجها لوجه فهو يتجاهله ويتظاهر بالعمى، ويتنكر له فهو يحاول أن يجعل من الآخر نسخة مطابقة له، ففي محيط البرجوازي كل "آخر" يتحول إلى صورة طبق الأصل للذات، فالآخر يمكن اختزاله إمّا لأنه ذو بشرة سوداء، أو لأسباب أخرى.²²²

وما يمكن استنتاجه بناء على ما سبق ذكره عن الأسطورة اليمينية، أن الأسطورة اليمينية هي ذاتها الأسطورة البرجوازية، ذلك أن المجتمع البرجوازي هو حقل للأساطير بامتياز، فالأسطورة بكل ما تحمله من معاني وخصائص، تتجسّد بشكل جلي في الأسطورة اليمينية، فهي الأسطورة المعبرة عن فكر الظالم، الذي يسعى من خلالها إلى تخليد

²²⁰ فراس السواح: الأسطورة والمعنى، ص 13
²²¹ Roland Barthes: Mythologies, 237
²²² المصدر نفسه، ص 238

المطلب الثاني: أسطورة اليسار

تشكّل أساطير اليسار وفقا لوجهة نظر بارت عندما لا يكون اليسار هو الثورة، وتبرز أسطورة اليسار بدقة في الوقت الذي تتحول فيه الثورة إلى اليسار، أي تقبل أن ترتدي القناع وتخفي اسمها وتنتج ميتالغة بريئة.

فستالين " Joseph Stalin "، كان مثالا للأسطورة اليسارية، وقد عرفت الاشتراكية الأسطورة الستالينية، فستالين باعتباره موضوعا متحدًا عنه قدّم بطريقة خالصة، فهو كلام أسطوري يتشكل من معنى، دال، مدلول والدلالة، أما المعنى فهو ستالين الحقيقي التاريخي، وداله هو الاحتجاج الاعتيادي لستالين، أما المدلول هو الغاية الأرثوذكسية والوحدة التي اعتمدها الأحزاب الشيوعية* في حالات معينة، وأخيرا الدلالة فهي ستالين المقدّس، حيث القرارات التاريخية مؤسّسة طبيعيا، تحت اسم العبقرية.

ويؤكد بارت على وجود أسطورة اليسار لكنها لا تحمل المواصفات ذاتها للأسطورة البرجوازية، فالأسطورة البرجوازية ليست جوهرية، فالمواضيع التي تسيطر عليها نادرة ولا تعبر إلا على عدد قليل من المفاهيم السياسية، إلا إذا لجأت في حد ذاتها إلى مصدر آخر هو الأساطير البرجوازية.

فالأسطورة اليسارية لا يمكنها بلوغ الحقل الواسع للعلاقات الإنسانية والذي يمثل المساحة الأكثر اتساعا للإيديولوجيا "غير الدلالية" فيتعذر على الأسطورة اليسارية الوصول إلى الحياة اليومية فلا يوجد في المجتمع البرجوازي أساطير يسارية متعلقة بالزواج، المطبخ، البيت، المسرح، العدالة، الأخلاق ... إلخ وبالتالي فهي أسطورة عرضية استخدامها لا يندرج ضمن استراتيجية .

كما هو الحال بالنسبة للأسطورة البرجوازية فهي مجرد خطة وفي أسوء الأحوال هي مجرد انحراف، فهي بذلك أسطورة تنتسب إلى تسهيل وليس إلى ضرورة، وأخيرا وقبل كل شيء فهي أسطورة فقيرة في أساسها لا تعرف التكاثر ناتجة عن نظام ونظرة محدودة زمانيا تخلق نفسها بصعوبة كما تنقصها سلطة عليا تدعمها وتسندها فمهما

* الشيوعية Communisme: مصطلح ذو مدلولات متعددة، فقد يكون شكلا لحكومة، أو نظاما اقتصاديا، أو حركة ثورية، أو طريقة حياة، أو هدفا أو مثالا أعلى. وهي مجموعة أفكار عن كيف ولماذا تحركت أحداث التاريخ وفي أي اتجاه جرت. وقد طور هذه الأفكار بشكل رئيسي فلاديمير لينين الذي كان قائدا ثوريا روسيا في مطلع القرن العشرين الميلادي وذلك بالاعتماد على كتابات كارل ماركس. (انظر: الموسوعة العربية العالمية، النسخة الإلكترونية)

فعلت فهي تبقى دائما قاسية وشفوية كما يبقى فيها أثر كونها مجرد كلمة نظام فهي صراحة تبقى جافة.²²³

وتأكيداً على كل هذه المواصفات يتساءل بارت ويجيب هل هناك أي شيء هو أكثر ضعفاً من الأسطورة الستالينية؟ هي أسطورة تفتقر لأي شكل من أشكال الإبداع ويرى بارت أن هاته العيوب المحيطة بالأسطورة اليسارية مصدرها إن جاز التعبير هو طبيعة اليسار بغض النظر عن المصطلح ذاته فاليسار يعرف دائماً بالحديث عن المظلوم، البروليتاري أو المستعمر وبعبارة أخرى فكلام المظلوم يتميز بأنه مباشرة مفقر، يتسم بالرتابة ففقر كلام المظلوم هو المقياس ذاته للغته فليس لديه سواه كما أنه المقياس المتعلق بكل أعماله.

فكلام المظلوم لا يمكنه بلوغ حالة الميتالغة، فهي بالنسبة له تعد بذخاً فكلام المظلوم هو كلام حقيقي وهذا يقتضي من وجهة نظر بارت، العودة إلى التمييز ما بين اللغة-الموضوع والميتالغة أي بين الكلام غير المسيس والكلام السياسي .

ويقدم لنا بارت مثلاً ليشرح لنا به ما يريد توضيحه: "إذا كنت خطاباً وأردت تسمية الشجرة التي أقطعها فأنا سوف أحدث الشجرة ولا أحدث عنها فلغتي ستكون إجرائية، فلا يوجد بيني وبين الشجرة شيء سوى عملي، فالشجرة ليست صورة بالنسبة لي إنما ببساطة الحركة التي يحملها عملي ولكن إذا لم أكن خطاباً فلا يمكنني أبداً أن أحدث الشجرة بل إنني أحدث عنها فلغتي لن تكون وسيلة للشجرة المؤثرة فيها بل إن الشجرة هي التي ستصبح وسيلة للغتي".²²⁴

فبارت يقارب في هذا المثال خطاب خطاب حول الشجرة و، خطاب رجل آخر غير خطاب، فيوضح بأن الخطابين لا يمثلان الشيء نفسه، فبالنسبة للخطاب، فخطابه تصريحي والشجرة بالنسبة له ليست صورة إنما هي حقيقة واقعة، في حين أن الآخر لن يكون خطابه لغة لشجرة حقيقية بل خطابه مجرد ميتالغة.

فمن خلال هذا التمييز يريد بارت أن يبين أن هناك فجوة، بين ما يعيشه الإنسان وما يعتقد أنه بصدده عيشه، فالخطاب يعيش الشجرة التي يتحدث عنها في حين أن الآخرين يعتقدون أنهم يتحدثون عن شجرة حقيقية، رغم أنهم يتحدثون عن تمثيل للشجرة.²²⁵

فكلام الخطاب هو لغة حقيقية، أما كلام الآخرين عن الشجرة هو لغة ثانية أو ميتالغة، يمكننا من خلالها التأثير ليس على الأشياء إنما على تسمياتها، فاللغة الثانية ليست أسطورية خالصة لكنها الموضوع الذي تستقر فيه الأسطورة، فلغة الإنسان المنتج هي لغة غير أسطورية فهو يتحدث من أجل تحويل الواقع، وليس من أجل حفظه على شكل صورة، وعندما يربط الإنسان لغته بصنع الأشياء، عندها تصبح الميتالغة لغة-موضوع-"langage"

Roland Barthes: Mythologies, p 233,234 ²²³

المصدر السابق، ص 233 ²²⁴

Nathalie Cimino: Théorie de mythologies, p 13,14 ²²⁵

"objet"، فتستحيل الأسطورة، وهذا هو السبب في كون اللغة الثورية الخالصة غير قابلة لكي تصبح لغة أسطورية.

فكلام المظلوم إذا هو كلام حقيقي، ككلام الخطّاب أو المنتج، فهو كلام شبه عاجز عن الكذب، ذلك أنّ الكذب ثراء يتطلب ممتلكات وحقائق وأشكال للاستبدال، وهذا ما يجعل من أساطير اليسار أساطيراً، مفقرةً، نادرةً، ضعيفةً، وعابرةً، فالمظلوم عاجز عن التخلص من المعنى الحقيقي للأشياء²²⁶، فأساطير اليسار لا تملك طاقة إيجابية مع العلم أن النص الأسطوري يحافظ على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن، وتتناقله الأجيال، طالما حافظ على طاقته الإيجابية²²⁷. فالأسطورة اليسارية تبقى أسطورة اصطناعية أعيد تشكيلها، وهذا هو سبب عدم براعتها.²²⁸

وخلاصة القول أنّ اليسار لا يمتلك أساطير بالمعنى الحقيقي للكلمة، ذلك أنّ الأساطير اليسارية تعبر عن كلام المظلوم، الذي لا يعرف الخداع والتزييف، وهذا ما يجعلها أساطيراً جافة، مفقرة ونادرة.

²²⁶ Roland Barthes: Mythologies ,P 235

²²⁷ فراس السواح: الأسطورة والمعنى، ص 12

²²⁸ Roland Barthes: Mythologies ,P 236

النتائج:

- 1- إن الأسطورة بالمفهوم البارتى، تعد بمثابة تجاوز للأسطورة في المعنى و الاستعمال التقليدي، الذي يربطها بعالم الخرافة و اللاعقلانية.
- 2- إذا كانت المجتمعات القديمة قد صنعت أساطيرها بناء على اعتقادات متباينة، فإن المجتمعات المعاصرة تصنع أساطيرها بامتياز و تستهلكها عن وعي أو دون ذلك.
- 3- الأساطير المعاصرة هي رسائل مغلفة و مقولبة ضمن أشكال، و ما يجعلها مؤسطرة هو الطريقة التي تشتغل بها أو الكيفية التي تصل بها إلينا، لتمرر عبرها مختلف المعاني و المقاصد و الدلالات.
- 4- باعتبارها أشكالاً، فإن الأساطير تنتمي إلى علم العلامات من جهة، و بما أنها محملة بالدلالات الإيحائية التأويلية أو بالأحرى الإيديولوجية، فهي تنتسب إلى علم التاريخ من جهة أخرى، كما يعتقد بارت.
- 5- وفقاً للمعنى الذي أضفاه بارت على الأسطورة، فإن كل شيء أو موضوع بإمكانه الخروج من دائرته الطبيعية، ليصبح موضوعاً أسطورياً.
- 6- إن الأساطير لا تقف عند حدود كونها رسائل حاملة، و محملة بمختلف الدلالات و المعاني المتباينة، بل تتجاوز ذلك لتشكل نسقاً سيميائياً متكاملًا.
- 7- على المستوى الواقع الاجتماعي و السياسي الإيديولوجي، فالأسطورة إما أن تعبر عن الفكر البرجوازي الرأسمالي اليميني، بتعبير بارت، و إما أن تكون مرآة عاكسة للفكر اليساري.
- 8- الأساطير المعاصرة أغلبها أساطير يمينية، تعبر عن الفكر البرجوازي و هي تفرض وجودها بقوة في العالم.
- 9- الأساطير اليسارية قليلة الانتشار، لا تعرف التطور و تقترب مباشرة بواقع الإنسان المظلوم المرتبط بعالم

10- إن من خصائص الأسطورة صناعة التشويه، فهي تحوّل المعاني التي تحملها مختلف اللغات إلى أشكال، و هذا ما يصطلح عليه بارت بـ "السّرقة الأسطوريّة للغة" فاللغة عادية كانت ، رياضية أو شعرية، كلّها مهدّدة بالتشويه من طرف الأسطورة.

11- إن كل عملية قراءة أو فك لرموز الأسطورة، تحيل القارئ مباشرة على الدّال الأسطوري الحامل للشكل و المعنى، و تكون الدّلالات المتلقاة والمعاني المقروءة بحسب الجانب الذي يتم التركيز عليه أثناء التلقي.

الفصل الرابع

نسق المودا كبنية دلالية لدى مرفوان بارت

المبحث الأول: بنيات لباس المودا و أنظمة لباس الكتابة.

المطلب الأول: البنيات اللباسية.

المطلب الثاني: لباس الكتابة.

المطلب الثالث: أنظمة لباس الكتابة.

المبحث الثاني: التحليل البلاغي للباس المودا.

المطلب الأول: تعريف الع_____لامة اللباسية.

المطلب الثاني: النظ_____ام البلاغي.

المطلب الثالث: التحليل البلاغي لدال المودا: شعرية المودا.

المطلب الرابع: التحليل البلاغي لمدلول المودا: إيدولوجيا المودا.

المطلب الخامس: التحليل البلاغي لعلامة المودا: أسباب المودا.

مُهَيِّدٌ

من خلال ما تمّ عرضه في الفصل السّابق، تتّضح الأطر العامة للأسطورة باعتبارها بنية دلالية أو معلماً علامتياً، بناءً على النظرية البارتية، سواء من ناحية تركيبها أو كيفية اشتغالها كعلامة، أو من ناحية تلقيها و قراءة مدلولاتها، فكانت بهذا النموذج الأول للعلامة الثقافية المستوحاة من الواقع الاجتماعي، وعمقه الدلالي المعروض من خلال هذه الدراسة.

هذا ما يعني بالضرورة أنّ هذا الفصل، و الذي يمثّل القسم الأخير لهذا البحث سيتضمن الحديث عن النموذج الثاني للعلامة، أي النسق الدلالي الثّاني المتمثل في نظام المودا، أو نسق نظام لباس المودا كشكل ثقافي و حقل دلالي، و الذي تتمظهر من خلاله و تتجلى العديد من المقاصد و الدلالات، فقد خصصت بارت الموضوع بمؤلّف كامل تحت مسمّى: "نسق المودا" "Système de la mode" على غرار كتاب "الأساطير"، حيث أبدى بارت من خلاله اهتماماً بما تكتبه صحف المودا عن اللباس الذي اعتبره بنية سيميائية.

قد تناولت موضوع هذا الفصل من خلال مبحثين: أما الأول فتطرق في أنواع ألبسة المودا كما حدّدها بارت، و التي استوحاها أساساً من صحف مهتمة بعالم الأزياء، و المتمثلة في لباس الصّورة و لباس الكتابة و اللباس الواقعي. و بما أنّ بارت قد اختار لباس الكتابة، ليكون محوراً لدراسة وتحليل اللباس كنسق دلالي، فقد ضمنت هذا المبحث الحديث عن هذا الصّنف من اللباس على وجه التحديد، و أتبعته بعرض للأنظمة الدلالية التي يخضع لها، و الذي من بينها النظام البلاغي، حيث حلّل بارت بناءً عليه اللباس أو العلامة اللباسية، فالتّحليل البلاغي لعلامة المودا و عناصرها يمثّل الموضوع العام للمبحث الثاني لهذا الفصل، و الذي ضمّنته أيضاً مطلباً يتعلّق بمفهوم العلامة اللباسية.

المبحث الأول: بنيات لباس المودا و أنظمة لباس الكتابة.

المطلب الأول: البنيات اللباسية

يرى بارت أنه ومن خلال صحف المودا ، بالإمكان التمييز بين نوعين من اللباس: لباس الصورة ولباس الكتابة، الأول هو الذي يظهر مرسومًا ومصورًا والثاني هو اللباس ذاته محولًا إلى لغة ، فهذان اللباسان يعودان أساسًا إلى نفس الحقيقة ، رغم أنهما لا يمتلكان البنية نفسها فهما لا ينجزان من المادة ذاتها ، كما أنه لا يوجد بين موادّهما العلاقات ذاتها ، فمواد اللباس الأول هي أشكال وخطوط وألوان والعلاقة فيما بينها واسعة وممتدة ، أما مواد الصنف الثاني فهي الكلمات والعلاقة بينهما إن لم تكن منطقية فهي على الأقل لغوية .

وفي هذا السياق يتساءل بارت عما إذا كان هذا يعني أن كلا من هاتين البنيتين يرتبط كليًا مع النظام العام ، الذي ينحدر منه ، لباس الصورة مع الفوتوغرافيا ، ولباس الكتابة مع اللغة ؟ وإجابة على السؤال يقول بارت بأنه في صحف المودا ، يكون التعامل مع بنيتين أصليتين متفرعتين عن أنظمة أكثر عمومًا هما : اللغة والصورة .

ويضيف بارت بأن لباس الصورة ولباس الكتابة يمكن أن يجدا لهما (وحدة) ، على مستوى اللباس الواقعي ، الذي يجسدهما فالفستان الموصوف على سبيل المثال ، والفستان المصور يتمثلان من خلال الفستان الواقعي ، الذي يعود إليه اللباس الأول والثاني ، وهنا يعتقد بارت بأنه حتى وإن كانت هناك علاقة ما بين اللباسين الأوليين ، واللباس الواقعي ، فإنه من غير الممكن أن يكون بينهما تماثل مطلق ، لأنه وكما توجد فروقات بين لباس الصورة ولباس الكتابة على مستوى المواد والعلاقات ، وبالتالي الاختلاف على صعيد البنية ، كذلك هو الحال بالنسبة لهذين الصنفين مقارنة باللباس الواقعي ، فهو يختلف عنهما في موادّه والعلاقات التي تربط بينهما .

فاللباس الواقعي يشكل إذا بنية ثالثة، وحسب بارت دائما، فإنه حتّى وإن كان الأنموذج الذي يوجه المعلومة المرسلّة من طرف اللباس الصورة، ولباس الكتابة، يتجلى من خلال البنية الثالثة (اللباس الواقعي)، فإن وحدات لباس الصورة تقع على مستوى الأشكال، ووحدات لباس الكتابة تتموضع على مستوى الكلمات، أما بالنسبة لوحداث اللباس الواقعي لا يمكن أن تتواجد على مستوى اللغة، لأنّ اللغة ليست نسخة عن الواقع، فبنية اللباس الواقعي لن تكون إلا تكنولوجية ووحداتها هي الآثار المختلفة لأفعال الإنتاج.²²⁹

يرى بارت أنّ البنيات الثلاث للمودا: أي البنية التكنولوجية، والبنية الأيقونية و البنية الشفوية، ليس لها نفس نظام الامتداد والانتشار، حيث تبدو البنية التكنولوجية مثل اللغة الأم والتي تكون فيها الألبسة المرتدّة و المستوحاة منها، ليست إلا كلاما أما البنيتان الأخرتان (الأيقونية والشفوية) هما أيضاً عبارة عن لغات مشتقة، أو منقولة عن اللغة الأم، وهي في هذه الحالة تشكل وسائط للانتشار، بين اللغة الأم وكلامها أي الألبسة المرتدّة.

ويعتقد بارت هنا أنّ انتشار المودا في مجتمعاتنا، يعتمد بشكل كبير على عملية تحويل -على الأقل حسب ما هو مستلهم من الصحافة-، من البنية التكنولوجية إلى البنيات الأيقونية والشفوية. وبعبارة أخرى فباعتبارها بنيات فإن هذا الانتقال غير متواصل: فاللباس الواقعي لا يمكنه أن يكون محولا إلى تمثل، إلا بواسطة بعض الإجراءات، التي نطلق عليها اسم المحولات لأنّها تهدف إلى تغيير موضع بنية داخل بنية أخرى، وذلك بالمرور إن جاز التعبير من سنن إلى سنن أخرى.

وعلى اعتبار وجود ثلاث بنيات يعتقد بارت، أنّه لا بدّ أن نتعامل مع ثلاثة أنواع من المحولات: من الواقع إلى الصورة، من الواقع إلى اللغة، من الصورة إلى اللغة، بالنسبة للتحويل الأول: من اللباس التكنولوجي إلى اللباس الأيقوني: فإن المحول الرئيسي هنا هو رب العمل للخياطة، فهو من خلال الرسم التخطيطي، تحليليا يعيد تصنيع اللباس الذي يضيف إليه الأساليب الغرافية والفوتغرافية، التي تهدف إلى إظهار الجوهر التقني لمظهر ما كتكبير أحد التفاصيل على سبيل المثال.

وبالنسبة للتحويل الثاني من اللباس التكنولوجي إلى اللباس المكتوب، فإن المحول القاعدي هنا يكمن في تسمية الوصفة أو برنامج الخياطة، وهو بصفة عامة نص متمفصل جدا عن أدب المودا، هدفه مضاعفة ليس ما هو موجود أساسا، ولكن ما هو في طور الإنجاز، فوصفة الخياطة لا تحتوي كتعليق المواد على أسماء وصفات، ولكن بالخصوص على أفعال ومقاييس، وباعتبارها محولا فهي تشكل لغة مؤقتة تقع في وسط الطريق، ما بين وجود وصنع اللباس.

ويبقى التحويل الثالث والذي يسمح بالانتقال من البنية الأيقونية إلى البنية المتكلمة، أي من تمثيل اللباس إلى

وصفه، وذلك باستعمال المحولات الإيهامية وهي ليست، في هذه الحالة، رسومات لرب العمل، ولا نصوصا لوصفة الخياطة، ولكن ببساطة هي عبارة عن تكرار للغة.²³⁰

وحسب بارت فإن إدراك النسقية السيمائية للمودا الملبسية، يقتضي الوعي بخصوصية تمظهراتها، فبين مظهرها المكتوب (الوصف اللغوي للباس) ومظهرها التقني (اللباس الواقعي) أو الأيقوني (اللباس المصور)، تتولّى المحولات وصل هذه المظاهر المتباينة، وتقديم صورة كلية لهذا النسق عبر التحول من مظهر لآخر، إذ تأخذ هذه المحولات تارة شكل تصميم نموذجي يسمح بتحويل اللباس الواقعي إلى لباس مرسوم، وأخرى شكل برنامج تعليمي يسمح بنقل اللباس الواقعي إلى لباس مكتوب، أو شكل "عائدات" تحيل متعلم الخياطة مثلاً إلى الانتقال من اللباس المكتوب إلى اللباس المصور.²³¹

وخلاصة القول أنّ دراسة النسق الدلالي اللبّاسي، يكشف عن وجود ثلاث بنيات، وهي البنية الشفوية أو لباس الكتابة، البنية الأيقونية أو لباس الصورة والبنية التقنية أي اللباس الواقعي وكل بنية تربط بين وحداتها، علاقة تختلف عن العلاقة التي تربط وحدات البنيات الأخرى، ووجود ثلاث بنيات يفرض وجود ثلاث عمليات تحويلية.

²³⁰ المصدر السابق، ص 15، 16

²³¹ ينظر الموقع: <http://www.ulum.nl/b174.htm>

المطلب الثاني: لباس الكتابة

يعتقد بارت أن دراسة لباس المودا تقتضي دراسة موسعة للبنيات الثلاث، السالفة الذكر لكنه اختار دراسة البنية الشفوية. ويظهر ذلك من خلال قوله: لهذه الأسباب فإننا اخترنا اكتشاف البنية الشفوية .

وأسباب بارت في ذلك تتمثل في كون لباس الكتابة وحده هو ما ليس لديه أي وظيفة تطبيقية ولا جمالية فهو مؤسس كلياً في سبيل الدلالة، فإذا كانت الصحيفة تصف لباساً فذلك فقط لأجل إرسال معلومة محتواها هو "المودا".

ويضيف بارت بأنّ حضور اللباس الموصوف يكمن كلياً في معناه، وفيه يكون لنا النصيب الأوفر، لإيجاد التوافق السيمنطقي "Sémantique" في أسمى معانيه، ذلك أنّ اللباس المكتوب ليس معرقلاً من طرف أي وظيفة متطفلة، ولا يحتوي على أي زمانية غامضة، بالإضافة إلى هذه الأسباب، فإن هناك وظائف خاصّة باللغة في اللباس الموصوف مقارنة بالصورة، والمتمثلة حسب بارت في ثلاث وظائف وهي:

1/ تثبيت (استقرار) مستويات الإدراك الحسي:

من وجهة النظر البارتية، فإن الوظيفة الأولى للكلام تتمثل في تثبيت الإدراك الحسي، عند مستوى معين من المعقولة أو الوضوح، ذلك لأنّ الصورة تحتوي دائماً على مستويات مختلفة من الإدراك الحسي، فقارئ الصورة له حرية اختيارية للمستوى الذي يتوقف عنده، حتّى ولو كان غير مدرك لهذه الحرية، فالاختيار هنا غير محدود فكل نظرة ملقاة على الصورة، هي عبارة عن قرار أو حكم.

وهذا يعني أنّ المعنى المعطى لصورة ما ليس أبداً أكيداً، ومن جهة أخرى فإن ما نقرأه عن فستان موصوف كتب عن نسجه وحزامه وحليّه، الذي زين به فالكلام هنا يحتوي على وظيفة سلطوية، فهي التي تختار المستوى

الإدراكي أو مستوى القراءة الذي نتوقف عنده، فالصورة تفرض إمكانيات غير محدودة للتلقي، في حين أن الكلام يثبت حالة وقراءة واحدة وأكيدة.

2/ الوظيفة المعرفية:

إن الوظيفة الثانية للكلام حسب بارت هي وظيفة معرفية، فالكلام يسمح بإيصال معلومات لا توصلها الفوتوغرافيا بشكل جيد، أو قد لا توصلها أبداً: فهناك صنف من التفاصيل في اللباس على سبيل المثال، لا يمكن أن تراها العين، فاللغة في هذه الحالة تضيف إلى الصورة معرفة بالجوانب المتخفية من لباس الصورة.²³²

فالنص المتعلق بالمواد في هذه الحالة يمثل نوعاً من الكلام السلطوي، الذي يوجد خلف المظهر الغامض وغير المكتمل للأشياء المرئية، فاللغة تشكل إذا تقنية لانفتاح ما هو غير مرئي فلغة اللباس الموصوف، تساعد في السيطرة على اللباس أكثر من الفوتوغرافيا، كما أنها تزود اللباس بنظام من التناقضات الوظيفية، التي لا يستطيع اللباس الواقعي أو المصور إظهارها بطريقة كافية أو واضحة.

3/ وظيفة التضخيم:

إن للكلام كما يرى بارت وظيفة التضخيم أيضاً، فالصورة الفوتوغرافية تعرض لباساً ككل واحد، دون وجود أي تمييز في جانب من جوانبه، لكن في التعليق على اللباس نجد التركيز على بعض العناصر، والحديث عنها بشكل قد يكون مبالغاً فيه، من أجل إبراز قيمة اللباس كوصف حزام، أو وردة موجودة عليه... إلخ، فحدود لباس الكتابة في الواقع ليست أبداً هي حدود مادته، ولكن هي حدود القيمة التي يعطيها الكلام لجانب أو لجزء ما من اللباس.

فوفقاً لمنظور بارت فإن الصحيفة إذا كانت تقول لنا أن هذا الحزام من جلد، فهذا يعني أن لجلده قيمة حتماً، وإذا حدثنا صحيفة المواد عن الوردية الموجودة على الفستان، فهذا يعني أن لها قيمة كقيمة الفستان ككل، فهذا التضخيم الذي تفرضه اللغة، يسمح بانعاش المعلومات العامة المرسلة من قبل الصورة الفوتوغرافية.

ومن جهة أخرى فإن التضخيم الذي تضفيه اللغة على بعض الملامح اللباسية، يبقى وظيفياً بإحكام، ذلك أن الوصف هنا لا يهدف إلى عزل بعض العناصر بغية منحها القيمة الجمالية، ولكن ببساطة يهدف إلى تحويل مجموعة من التفاصيل إلى كل منظم واضح بطريقة تحليلية.²³³

وخلاصة القول أن بارت قد استقر خياره على البنية الشفوية، أو اللباس الموصوف من طرف صحف المواد،

Roland Barthes: Système de la mode, p 23, 24 ²³²
²³³ المصدر السابق، ص 25، 26

من أجل دراستها وتحليلها ،وبما أنَّ اللباس الموصوف يستند إلى اللغة فإن هذه الأخيرة تضطلع بثلاثة وظائف وهي: الوظيفة المعرفية وتثبيت مستوى الإدراك الحسي والوظيفة التضخيمية ،ومن خلال قيام اللغة بهذه الوظائف فهي تجعل لباس الكتابة أكثر تميزا من الأنواع الأخرى.

المطلب الثالث: أنظمة لباس الكتابة

يرى بارت أنَّ اللباس المكتوب كنسق من العلامات تتحكم فيه مجموعة من الأنظمة ،وقبل حديثه عن هذه الأنظمة صنف أولا بيانات صحف المواد المتعلقة باللباس المكتوب إلى مجموعتين المجموعة (أ) والمجموعة (ب) ، وكل مجموعة تحتوي على صنفين تبديليين: المجموعة (أ) هي (اللباس/العالم) والمجموعة الثانية (ب) هي (اللباس/المودا) فتارة يكون المصطلحان واضحين، كما هو الحال بالنسبة للمجموعة (أ) وتارة أخرى يكون أحدهما واضحا والآخر ضمنا، كما هو الحال بالنسبة للمجموعة (ب) أما المجموعة (أ) (اللباس/العالم) ، فتمثل البيانات التي تصف فيها الصحيفة اللباس وصفا بحيث تجعله في علاقة مع الميزات والظروف الآتية من العالم .

والمجموعة (ب) (اللباس/المودا) فتمثله جميع البيانات التي يكون فيها اللباس الموصوف من طرف الصحيفة، ليس له علاقة مع ظروف العالم كالبيان التالي: "إنها سترة فضفاضة" وبالتالي فالتبديل يكون دائما بين اللباس والعالم، وبين اللباس والمودا ولا يكون أبدا بين العالم والمودا، وبالتالي فبارت فيما يتعلق بالمودا المكتوبة فهو لا يشتغل إلا على مجالين ،وهما: (اللباس/العالم) و(اللباس/المودا) ، وقد سمى بارت هاتين المجموعتين بالأصناف الإبدالية.

أما بالنسبة للأنظمة التي يخضع لها اللباس الموصوف، أو ما يسميه بارت بـ "جيولوجيا لباس الكتابة" فهذا يقتضي تحديد عدد وطبيعة الأنظمة التي تحرك اللباس الموصوف ، ويتساءل بارت نفسه عن كيفية إحصاء هذه الأنظمة؟ بواسطة مجموعة من اختبارات التبديل المدرجة كما يقول، لأنَّ العلامات تعود بالضرورة إلى أنظمة مختلفة في حد ذاتها، فاختبار التبديل سيشير إلى الكلمة باعتبارها جزءا بسيطا من نظام لغوي، كما يشير إلى الكلمة نفسها أو مجموعة من الكلمات أو الجملة ذاتها، باعتباره عنصرا خاصا بدلالة لباسية أو كدال للمودا، أو دالا أسلوبيا فتتوزع مستويات التبديل هو الذي يقرر تعدد الأنظمة المتزامنة.

ويرى بارت أنَّ كل تحليل سيميولوجي مطروح هنا، يعتمد على التمييز ما بين اللغة والسنن اللباسية المكتوبة،

التي بإمكانها الإصطدام ،وما دام اللباس الموصوف يشتمل على نوعين من الأصناف التبديلية (المجموعة أ لباس=عالم) و (المجموعة ب لباس=مودا) ،فهذا يعني أن بيانات المجموعة (أ) ذات المدلولات الواضحة، لها أنظمتها وبيانات المجموعة (ب) ذات المدلولات الضمنية لها أنظمتها أيضاً.²³⁴

أولاً:أنظمة المجموعة "أ"

من أجل تبيان الأنظمة التي تخضع لها بيانات اللباس الموصوف، الذي تمثله المجموعة (أ) اشتغل بارت على المثال التالي، والذي يمثل بيانا مقتبساً من صحيفة المودا: "إن الأقمشة ذات الرسوم قد حققت رواجاً شعبياً ونجاحاً كبيراً في المنافسة".

فيوجد هنا على الأقل نظامان دلاليان فالأول في الأصل يوجد في الواقع، فبالنظر إلى الواقع ودون اللجوء إلى اللغة سنرى أن هناك تكافؤاً، ما بين عدد الأقمشة التي بيعت ومهرجانية المنافسة، فمن البديهي أن هذا التماثل هو الذي يؤسس أي بيان للمودا، لأنه معيش وعناصره واقعية وغير متكلمة، فالعلامة هنا، نموذجية فاللباس واقعي موجود في عالم واقعي وهذا ما سماه بارت بالسنن اللباسية الواقعية، حيث أن الدال هو اللباس الواقعي والمدلول هو العالم الواقعي.

أما إذا بقينا كما يرى بارت في حدود البيان كلباس موصوف، فنحن لا نرى لا أقمشة ذات رسومات ولا منافسة، فكل منهما يتمثلان بالنسبة لنا من خلال عنصر شفوي، والذي هو مقتبس من اللغة، فاللغة هنا تمثل في هذا البيان الخاص نظاماً معلوماتياً ثانياً، والذي يسمى بالسنن اللباسية المكتوبة أو النظام الاصطلاحي، لأن وظيفته تتمثل فقط في الإشارة بطريقة فضة إلى حقيقة العالم واللباس، على شكل مدونة.

وإذا ما تم التوقف، عند هذا المستوى من تشكيل اللباس المكتوب، فإننا سنتحصل على بيان نوعي والمتمثل في العبارة التالية: "هذه السنة الأقمشة ذات الرسومات هي علامة الرواج الشعبي" في هذا النظام الدال ليس هو الأقمشة ذات الرسومات ،كما هو الحال في النظام الأول لكنه مجموع الوحدات أو المواد الصوتية، والتي هي من طبيعة غرافيكية والضرورية للبيان، وهو ما يسمى بالجملة، أما المدلول فهو ليس أبداً المنافسة، لكن هو مجموعة المفاهيم المفعلة من طرف الجملة وهو ما يمكن تسميته بالقضية.

ويعتقد بارت أن هذين النظامين يخضعان في الأصل إلى الميتالغة، فعلازمة السنن اللباسية الواقعية تصبح المدلول البسيط، والذي هو (القضية) للسنن اللباسية المكتوبة، وهذا المدلول الثاني بدوره مزود بمدلول مستقل بذاته، هو الجملة وهذا ما يمكن توضيحه وفقاً للخطاطة التالية:

نظام2 أو الاصطلاحي	دال:	مدلول :
--------------------	------	---------

²³⁴ المصدر السابق، ص 44، 45

قضية		جملة
مدلول: عالم واقعي	دال: لباس واقعي	

نظام 1 أو السنن اللباسية

لكن هذا ليس كل شيء حسب بارت، فالبيان لا يزال يحتوي على علامات نموذجية أخرى، وبناء على ذلك أنظمة أخرى فتمائل الأقمشة ذات الرسومات والرواج مع اللباس والعالم معطى بشكل مكتوب، بحيث يدل على المودا أو بعبارة أخرى ربط الأقمشة بالرواج من شأنه أن يكون بدوره دالا لمدلول جديد هو المودا.²³⁵

وعلى اعتبار أن هذا المدلول لا يكون مفعلاً إلا إذا كان تماثل العالم واللباس مكتوباً، فإن تأثير هذا التناسب ذاته هو الذي يصبح دالا للنظام الثالث، والذي يكون فيه المدلول هو: المودا بواسطة المؤشر البسيط، فالمودا تقوم بإيحاء للعلاقة الدلالية للأقمشة والرواج، والتي هي في المستوى التقريبي على صعيد النظام الثاني، فهذا النظام الثالث (الأقمشة=الرواج=المودا) له أهمية لأنه يسمح لكل بيانات المجموعة (أ)، أن تدل على المودا وهذا النظام هو المسمى بإيحاء المودا.

وطبقاً لهذه الأنظمة المتداخلة فإن علامة النظام الثاني، هي التي تصبح دالا بسيطاً للنظام الثالث، بواسطة الفعل الوحيد للتأثير، فالبيان الإصطلاحي يدل على المودا، فمجموع الأنظمة الثلاثة المنكشفة حتى الآن تحتوي على مدلول أصلي أخير، وبناء على ذلك، فإنها تحتوي على علامة نموذجية أخيرة.

فعندما تبين الصحفية بأن الأقمشة ذات الرسومات لاقت رواجاً كبيراً، فهي لا تقول فقط بأن الأقمشة تدل على الرواج كما هو الحال بالنسبة للنظامين الأول والثاني، أو أن ارتباط الواحدة بالأخرى يدل على المودا، كما هو في النظام الثالث، فالصحيفة تحجب هذا الترابط على شكل درامي، وعندها يرى بارت أننا نجد أنفسنا أمام علامة نموذجية جديدة: دالها هو بيان المواد في شكله الكامل، والمدلول هو التمثيل الذي تقدمه أو تريد تقديمه الصحيفة للعالم والمودا مثل إشارات المرور التي تلمع.

وعليه فإن فرايزولوجيا الصحيفة تشكل رسالة إيجابية، تهدف إلى إرسال منظور للعالم وهذا ما يشكل النظام الرابع والأخير وهو النظام البلاغي، وبناء على التحليل السابق فالأنظمة الأربعة الدلالية، التي توجد داخل كل بيان ذو مدلول واضح هي: النظام (السنن) اللباسية الواقعية والسنن اللباسية المكتوبة أو النظام الإصطلاحي، أما النظام الثالث هو إيحاء المودا والرابع هو النظام البلاغي.

ويرى بارت أن هذه الأنظمة الأربعة، من البديهي، أن تقرأ بطريقة معكوسة بالنسبة لطرحها النظري، فالنظامان الأولان يشكلان جزءاً من حقل التقرير، والأخيران ينتميان إلى حقل الإيحاء، مع العلم أن التقرير والإيحاء

²³⁵ المصدر السابق، ص 45، 46

يشكلان مستويات التحليل للنظام العام، ويمكن توضيح هذه الأنظمة وفقا للخطّاطة التالية:²³⁶

4- النظام البلاغي		3- إحياء المودا	
2- السنن اللباسية المكتوبة		1- السنن اللباسية الواقعية	
دال: فرازيولوجيا الصحيفة		مدلول: تمثيل العالم	
دال: مؤشر		مدلول: المودا	
دال: جملة		مدلول: قضية	
دال: لباس		مدلول: عالم	

ثانياً: أنظمة المجموعة (ب)

من وجهة النظر البارتية فإن المجموعة (ب) لبيانات المودا، لها أنظمتها الخاصة التي تبني عليها، فبيانات هذه المجموعة هي التي يكون فيها لباس الكتابة بصورة مباشرة هو دال للمدلول الضمني "المودا"، حيث اشتغل بارت على المثال أو البيان التالي المقتبس من صحيفة للمودا: "كل امرأة تقصر تنورتها إلى حد مستوى الركبة، وتلبس نظارات ملونة وتمشي بخفين ذي لونين".

يرى بارت أننا نستطيع أن نلمح هنا حالة واقعية، والتي فيها كل هذه الملامح اللباسية — والتي لا يوجد فيها أي ملمح يحيل على مدلول عالمي -، تستقبل فوراً كعلامة عامة للمودا من قبل جميع النساء اللواتي رأين هذا اللباس، فهنا نجد سننا لباسية واقعية أولى مماثلة لتلك الخاصة بالمجموعة (أ): لكن المدلول هنا ليس هو العالم، بل هو المودا ومع هذا فإن النظام الواقعي لا يوجد في الصحيفة، إلا على أساس أنه عنوان لمرجع النظام اللباسي المكتوب.

ويضيف بارت في هذا الإطار دائماً أن هندسة البنيات للمجموعة (أ)، مطابقة لهندسة بيانات المجموعة (ب)، والتي يكون للمدلول (المودا) فيها ضمناً دائماً، فالمودا باعتبارها هنا مدلولاً للنظام الثاني لا يمكنها أن تكون مدلولاً إيجائياً في النظام الثالث، والذي ليس له الحق أن يكون موجوداً.

وفي الواقع ليس التأشير البسيط للعلامة (لباس=عالم)، هو الذي يدل على المودا، بل إن تفصيل الملامح اللباسية وتنظيمها في حد ذاتها هو الذي يدل فوراً على المودا تماماً، كما هو الحال في جميع البيانات حيث التنظيم والتفصيل هما اللذان يدلان مباشرة على الظروف العالمية، والتي لا توجد في البيانات (ب) المتعلقة بتقرير المودا.

ويعتقد بارت أنه، على اعتبار أن بيان اللباس المذكور آنفاً يأخذ شكلاً شرعياً، فإننا نجد في هذه الحالة من جديد نظاماً إيجائياً، إنه النظام البلاغي، كما هو الحال بالنسبة لبيانات المجموعة (أ)، فالتمثيل الذي تقدمه أو تريد تقديمه الصحيفة للمودا في العالم، يجعل من المودا شيئاً ملحاً وذا جوهر استبدادي.

²³⁶ المصدر السابق، ص 46، 47

وهكذا فإن بيانات المجموعة (ب) لا تحتوي إلا على ثلاثة أنظمة وهي: النظام اللباسي الواقعي والنظام اللباسي المكتوب أو النظام الإصطلاحي، والنظام البلاغي وعليه فحقول الإيحاء لا يحتوي إلا على نظام واحد فقط، ويمكن توضيح هذه الأنظمة وفقاً للخطّطة التالية:²³⁷

المدلول: تمثيل العالم	الدّال: فرازيولوجيا الصحفية		1/ نظام بلاغي
	المدلول: قضية	البدال: جملة	2/ نظام لباسي مكتوب
	مدلول: مودا	دال: لباس	3/ نظام لباسي واقعي

فاللباس المكتوب ينقسم إلى نوعين من المجموعات: الأولى ذات أربعة أنظمة والثانية ذات ثلاث أنظمة، لكن ما هي العلاقات القائمة بين هاتين المجموعتين ؟

يرى بارت أن ما يمكن ملاحظته، في بادئ الأمر فيما يتعلق بالمجموعتين أنّه لديهما الدّال النموذجي ذاته على مستوى حقول التقرير، وهو اللباس أو تتابع الملامح اللباسية وأنّه عندما نريد دراسة بنية النظام الأول والثاني، لا نستطيع إلا تحليل دال واحد فقط، وهو اللباس والذي يشكل جزءاً من البيان (أ) والبيان (ب) .

وهذا يعني حسب بارت أنّه لا بد من إبراز الفرق بين المجموعتين، وهذا الفرق يتمثل أساساً في أن المودا هي قيمة إيحائية في المجموعة (أ)، وقيمة تقريرية في المجموعة (ب). فعلى مستوى النظام الثاني للمجموعة (ب)، معنى المودا لا يأتي من عملية التأشير البسيط، لكنّه ينشأ من الملامح اللباسية نفسها فالتأشير مستوعب مباشرة في تفاصيل الملامح، والتأشير لا يمكن أن يكون له وظيفة مثل الدّال، والمودا لا يمكن أن تفلت من حالة مدلولها المباشر.

وفي المجموعة (أ)، فإنّ الصّحيفة بتوسطها ما بين اللباس ومودا المدلولات العالميّة، فإنّها تتلافى المودا بطريقة ما، من وضعية ضمنية إلى وضعية مستترة (كامنة). فالمودا هنا هي قيمة اعتباطية، ففي حالة المجموعة (ب) يظهر النظام العام كنتيجة على أنّه نظام اعتباطي، أو إذا جاز التعبير، ثقافي صراحة.

ولكن على الرغم من ذلك، في حالة المجموعة (أ)، فاعتباطية المودا تصبح خفية والنّظام العام يظهر على أنّه طبيعي، لأنّ اللباس ليس له مظاهر العلامة، لكنّ له مظاهر الوظيفة. فإنّنا، من منظور بارت، عندما نقوم بوصف سترة صدرية فإنّنا نقوم بتأسيس العلامة، وعندما نثبت بأنّ الأقمشة ذات الرؤومات لاقت رواجاً كبيراً، فإنّنا نقوم بإخفاء العلامة تحت مظاهر غاية موجودة بين العالم واللباس أي تحت مظاهر طبيعية.²³⁸

²³⁷ المصدر السابق، ص 47

²³⁸ المصدر السابق، ص 48، 49

ومن خلال ما سبق ذكره يمكن القول كخلاصة، أن بارت قد قسم البيانات التي تكتبها صحف المودا المتعلقة بلباس الكتابة كنسق إلى صنفين وهما: الصنف الأول أو المجموعة (أ)، والصنف الثاني أو المجموعة (ب). فالأولى تمثلها الثنائية (اللباس/العالم)، أما الثانية فتمثلها (اللباس/المودا).

واللباس الموصوف يخضع، حسب بارت، إلى مجموعة من الأنظمة. غير أن هناك بعض الاختلافات فيما يتعلق بالمجموعة (أ) والمجموعة (ب)، فالأولى تخضع بنيتها إلى أربع أنظمة، أما الثانية فتخضع إلى ثلاثة أنظمة، ونجد من بين هذه الأنظمة ما ينتمي إلى حقل التقرير ومنها ما ينتمي إلى حقل الإيجاء. ويسمى بارت هذه العملية، التي يتم فيها الكشف عن أنظمة لباس الكتابة، بـ"جولوجيا لباس الكتابة".

المبحث الثاني: التحليل البلاغي للباس المودا.

المطلب الأول: تعريف العلامة اللبائية

على اعتبار أن العلامة هي اتحاد الدال والمدلول، فإن هذا الاتحاد باعتباره كلاسيكياً في اللغة، لا بد أن يكون مدروساً من جهة اعتباطيته وتحفيزه، أي من عمقه المزدوج الاجتماعي والطبيعي. لكن وحدة العلامة اللبائية مستوحاة من جهازها البلاغي، معرفة بفردانية العلاقة الدلالية وليس بمفردانية الدال والمدلول.

فدال ومدلول العلامة اللبائية يجب أن ينظر إليهما في مجمل اتساعهما، وبالتالي، فالعلامة اللبائية حسب بارت هي عبارة عن سينتاجم "Syntagme"²³⁹، أي مجموعة من الكلمات المتتابعة التي تشكل وحدة وظيفية وسيمنطيقية في جملة تامة مشكّلة من عناصر نحوية²⁴⁰، فالعلامة اللبائية ذات طبيعة نحوية وهذه الطبيعة تعطي للمودا مفردات غير بسيطة.

ويعتقد بارت أن علامة المودا معرفة خارج كل قيمة، فإذا كان المدلول واضحاً فإنه لا يحتوي أبداً على تعدد للقيم المتشابهة، وإذا كان المدلول ضمناً فهو يشكل المودا في حد ذاتها، فعلمة المودا تتموضع في إطار نظام معقد هو المودا، والتي يكمن تعقيدها في عدم استقرارها.

وهذا النظام قد يتجدد كل سنة، ولا يثبت إلا على مستوى زمني قصير، كما أن تناقضاته تخضع لحركة عامة غير منقطعة. وعدم استقرار نظام المودا، يوجب دراسة العلامة اللبائية من جهة تحفيزها واعتباطيتها. فعلمة نظام المودا هي اعتباطية نسبياً، فهي مهيئة كل سنة ليس بواسطة جمهور المستعملين، والذي سيكون معادلاً

²³⁹ المصدر السابق، ص 217

²⁴⁰ Hachette, dictionnaire français, p 1587

للجمهور المتكلم الذي يصنع اللغة.

ففي حالة المودا المكتوبة المحررة من طرف الصحفية، فإن علامة المودا، دون شك، كأى علامة تنتج داخل الثقافة المسماة "ثقافة الجمهور"، وتظهر عند التقاء تصور فردي أو أوليغارشي بصورة جماعية، هي في الوقت نفسه مفروضة ومطلوبة، ولكن بنويها علامة المواد ليست أقل اعتبارية فهي لا تتطور تدريجيا ولا ذات علاقة ترابطية بين أجزائها، فالعلامة اللبائية تتولد فجأة كاملة كل سنة. مرسوم أو قرار.²⁴¹

فالأمر الذي يعلن اعتبارية علامة المودا، هو على وجه الدقة كونها تفلت من الزمن، فالمودا لا تتطور بل تتغير كل عام وتتمظهر عبر كلمات جديدة، ويعتقد بارت أن تأسيس العلامة اللغوية هو عملية مشروطة على مستوى المجتمع والتاريخ، في حين أن إنشاء علامة المودا هو عملية استبدالية. وبحسب نسبة الاعتبارية ذاتها تطوّر المودا بلاغة القانون والواقع، وبقدر ما تكون المودا حتمية تكون بلاغتها مستمرة.

هذا بالنسبة للجانب الاعتباري لعلامة المودا، أما بالنسبة للجانب التحفيري فيها، فيرى بارت أن العلامة تكون محفزة عندما يكون دالها في علاقة طبيعية وعقلانية مع مدلولها. والتحفيز بالنسبة لعلامة المودا يمكن أن يدرس بحسب حالة المجموعة (أ) والمجموعة (ب)، فعندما يكون المدلول عالمياً، بالإمكان التمييز تحت علاقة التحفيز عدة أنظمة للعلامات.

فبالنسبة للنظام الأول تكون العلامة محفزة صراحة، تحت غطاء الوظيفة ففي الأحذية المثالية للمشي، على سبيل المثال، توجد مشاهمة وظيفية ما بين شكل ومادة الأحذية والمتطلبات الفيزيائية للمشي. فالتحفيز هنا ليس تمثيلاً أو تشبيهاً بل هو وظيفي، فالوظيفة هي التي تؤسس العلامة، فبقدر ما تكون العلامة أكثر تحفيزاً بقدر ما تكون وظيفتها أكثر حضوراً وبالتالي تكون العلاقة السيميولوجية أكثر ضعفاً، وبهذه العلامات المحفزة فإن المودا تنغمس في العالم الوظيفي.

أما بالنسبة للنظام الثاني، فتحفيزية العلامة تكون أكثر ارتخاءً، فإذا كانت الصحيفة تقول بأن معطف فرو يجد استعمالاً له منذ البداية، على رصيف محطة، فمن الممكن الكشف هنا عن أثر وظيفي يكمن في علاقة مادة دافئة، وهي الفرو. بمكان مفتوح بارد، وهو رصيف المحطة، لكن العلامة هنا، كما يرى بارت، ليست محفزة إلا على مستوى عام جداً، أي بالقدر الذي يتطلب فيه المحيط البارد لباساً دافئاً.

وبعيداً عن هذا المستوى، لا يوجد أبداً تحفيز لأنه لا توجد في الأصل أي علاقة منطقية أو ضرورية ما بين رصيف المحطة والفرو، وأخيراً وحسب النظام الثالث، تكون العلامة غير محفزة صراحة، حيث يبدو أنه لا يوجد أي حافز يجعل التنورة ذات الشاي تكون في علاقة تكافئية مع عمر السيدات الرأشدات، كما يشير البيان التالي: "إن

²⁴¹ رولان بارت: المصدر السابق، ص 218

التَّنورة ذات الشَّنايا معدة للسيدات الراشدات".

فالتحفيز الموجود هنا أكثر انتشاراً امتداداً من تحفيز النظام السابق، كونه مؤسساً استناداً إلى معايير ثقافية، ويشير بارت هنا بناء على هذه الأنظمة الثلاثة للعلامات، والتي تحمل التحفيز بدرجات متفاوتة، أن التحفيز فيها يحمل ميزتين: فمن جهة هو غامض منتشر، كما أنه ليس تشبيهاً ولا تمثيلاً. بل هو توافقي وهذا يتضح من خلال قوله بأنه يجب أن نفهم من هذا بأن التحفيز الخاص بالعلاقة الدلالية، هو إما وظيفة نفعية وإما تقليد لنموذج جمالي أو ثقافي.²⁴²

فالتبيعة المركبة للعلامة الملبسية لدى بارت، تفترض وجود تركيب يسمح بملاءمة وحداتها، داخل التباينات المقطعية بين الدال والمدلول، تركيب تمليه تلك التحولات التي تقيمها الكتلة المستعملة (الكتلة المتكلمة) كالشركة المنتجة وجرائد المودا وغيرها. وذلك على خلاف بعض الأحداث السيمائية التي تستمد تركيبها من مجموع القيم التي يحددها نسقها القار، فهذه الخاصية تجعل من العلامة اللباسية علامة اعتباطية، كغيرها من العلامات المنتجة داخل الثقافة، لكن هذا الاعتباط لا ينفي عنها بعض أوجه التعليل التجانسي أو الجوهري أحياناً أخرى.²⁴³

وخلاصة القول أن علامة المودا هي الوحدة المشكلة من الدال والمدلول اللبسي والعلامة اللباسية حسب بارت معرفة بفردانية العلاقة الدلالية وعلامة المودا توجد في إطار نظام معقد جداً غير مستقر هو المودا في حد ذاتها كما أنها علامة تتأرجح بين الاعتباطية والتحفيز.

²⁴² المصدر السابق، ص 218، 219، 220

²⁴³ ينظر الموقع: <http://www.ulum.nl/b174.htm>

المطلب الثاني: النظام البلاغي

يرى بارت أنه مع النظام البلاغي يتم إرساء المستوى العام للإيجاء، فهذا النظام يحتوي السنن اللبّاسية في كليتها لأنّه يجعل من بيان الدلالة جزءاً بسيطاً لمدلول جديد، ولكن بما أنّ البيان على الأقل في حالة المجموعة (أ) لمدلولات واضحة هو نفسه يحتوي على دال هو اللّباس لمدلول هو (العالم) ومن علامة تجمع الإثنين معاً، فالنظام البلاغي له هنا علاقة مستقلة مع كل عنصر من عناصر السنن اللبّاسية وليس فقط مع مجموعة كما (هو في حالة اللغة).

فالنظام البلاغي يحتوي ، إن جاز التعبير، ثلاثة أنظمة بلاغية أقل منه، كل منها له موضوعه الخاص وهي بلاغة الدّالّ اللبّاسي، والمسماة "شعرية اللّباس" وبلاغة المدلول العالمي وهي التمثيل الذي تعطيه المودا للعالم وبلاغة علامة المودا، والتي تسمى "أسباب المودا" مع أنّ هذه الأنظمة الصغيرة لها مجتمعة نفس نوع الدّالّ والمدلول ذاته، فالأول يسمى "كتابة المودا" والثاني "إيديولوجيا المودا"، ويمكن عرض هذه الأنظمة المتفرعة عن النظام البلاغي في إطار الخطاطة التالية:

سنن لبّاسية	نظام بلاغي	
	مدلول	دال
دال: اللّباس	شعرية اللّباس	
	عالم المودا	
المدلول: العالم		

علامة المودا	سبب المودا	
	إيديولوجيا المودا	كتابة المودا

وقبل أن يقدم بارت تحليلاً للأنظمة الثلاثة، قدّم مثالا والذي من خلاله يستطيع تبيان الركائز الأساسية للنظام البلاغي للمودا، وذلك من خلال البيان التالي: "إنها تحب الدراسة وباسكال وموزارت والكول جاز، وتلبس حذاء دون كعب عالي، وتضع مجموعة من المناديل وتحب الصدريات الصوفية والتنورات المنتفخة".

بيان الدلالة هذا، يحتوي على مستوى السنن اللبائية في المقام الأول، على بيان للدال والذي هو اللباس في حد ذاته، المتمثل في الأحذية المسطحة، المناديل، الصدريات الصوفية، التنورات المنتفخة، فهذه الألبسة لها وظيفة كمثل وظيفة الدال البلاغي لمدلول مستتر ذي طبيعة إيديولوجية، وإذا جاز التعبير أسطورية، والذي هو بصفه عامة المنظور الذي تمنحه الصحيفة للباس.²⁴⁴

ويحتوي المثال في المقام الثاني، على بيان للمدلول العالمي المتمثل في القول: إنها تحب الدراسة، باسكال، موزارت والجاز، فهذا البيان المدلول بما أنه واضح وغير ضمني فهو يحتوي أيضاً على دال بلاغي، والمتمثل في التابع السريع للوحدات المتباينة، ومدلول بلاغي وهو المنظور ذو الطبيعة السيوكولوجية الذي تمنحه أو تريد منحها الصحيفة لمرتدية اللباس، وأخيراً في المقام الثالث، حيث يوجد البيان ككل أو بيان الدلالة كعلامة شاملة، لها وظيفة تشبه وظيفة الدال البلاغي لمدلول شامل وأخير، حسب الطريقة الوقائية البحتة التي مثلت بها الصحيفة نفسها ومثلت بها تناسب اللباس والعالم، أي المودا، فهذا المثال وضح المواضيع البلاغية الثلاثة للمودا.²⁴⁵

وما يمكن استخلاصه من خلال ما سبق ذكره، أن النظام البلاغي يعتبر أحد الأنظمة التي يخضع لها لباس المودا الموصوف، وأن إخضاع بيانات صحف المودا للتحليل البلاغي يكشف عن وجود ثلاث أنظمة بلاغية أخرى، تندرج ضمن النظام البلاغي: نظام يتعلق بالدال والثاني بالمدلول والثالث يتعلق بالعلامة ككل.

²⁴⁴ Roland Barthes: Système de la mode, p 240, 241

²⁴⁵ المصدر السابق، ص 242، 243

المطلب الثالث: التحليل البلاغي لدال المودا: شعرية المودا

إن وصف اللباس الذي هو دال السنن اللباسية، من شأنه أن يشكل مكانا للإيحاء البلاغي، وهذه البلاغة تأخذ خصوصيتها من الطبيعة المادية للموضوع الموصوف حسب اللباس، فبلاغة اللباس أو الدال هنا معرفة على أنها التقاء للمادة واللغة، وهذه الحالة هي ما يسميها بارت بشعرية الدال.

فاللباس يشكل موضوعا شعريا بامتياز، أولا لكونه ينوع ويحرك كل خصائص المادة من شكل ولون ولمسات، ثم لكونه يمس الجسم ويشغل كقناع و بديل له في الوقت ذاته، فاللباس هو موضوع استثماري مهم جدا، وشعرية اللباس أو الدال مقررّة ومثبتة، حسب بارت، عن طريق نوعية الأوصاف اللباسية في الأدب.

ومن جهة نظر بارتية تخص هذا السياق دائما، فإن ملاحظة البيانات التي تتركسها الصحيفة من أجل اللباس، يستنتج منها مباشرة كون أن المودا لا تشرف المشروع الشعري الذي سمحت له بموضوعها، فهي لا تمنح أي مادة لتحليل نفسي للمودا، وهذا راجع لكون الإيحاء لا يحال في هذه الحالة إلى نشاط من التخيل.

ويضيف بارت أنه، في العديد من الحالات لا يعطي دال النظام الأول، والمتمثل في اللباس أية بلاغة أو شعرية، حيث يكون اللباس موصوفا حسب مدونة بسيطة، ومستوعبة كليا على مستوى التقرير أي السنن اللباسية نفسها، فبلاغة أو شعرية الدال اللباسي تكون فقيرة دائما، وما يجب أن يفهم من هذا، أن الاستعارات والجمال التي تشكل الدال البلاغي للباس، ليست محددة بالرجوع إلى الخصائص البارزة لمادة اللباس، بل هي محددة بواسطة عملية

قابلة مقتبسة من تقليد أدبي معمم، سواء عن طريق ألعاب الروي أو من التشبيهات المشتركة، فهي باختصار بلاغة عادية. بمعنى أنها بلاغة ذات معلومة ضعيفة.

ويؤكد بارت بأنه بإمكاننا القول أنه، في كل مرة تقبل فيها المودا أن توحى باللباس مستعينة إما بالاستعارة الشعرية، الناتجة عن خاصية مبتكرة للمادة أو بالاستعارة المقولبة الناتجة عن آلية أدبية تختار الثانية.

وينتهي بارت فيها يخص هذه الفكرة المتعلقة بشعرية دال المودا، إلى أن ندرة وفقر النظام البلاغي على مستوى الدال، أي الضعف في شعرية الدال يفسر بالتأثير المستمر للتقرير في وصف اللباس، وهذا التأثير يمارس بوضوح عندما تكون المودا متموضعة بطريقة ما، بين المستوى الاصطلاحي (اللغوي) والمستوى البلاغي.²⁴⁶

وبناء على ما سبق ذكره يمكن القول أن وصف اللباس، أو إن صح التعبير، الدال اللباسي يكشف على مستوى التحليل البلاغي لهذا الأخير، على ما يسمى بشعرية اللباس أو شعرية الدال، حيث تلتقي اللغة الواصفة بالمادة الموصوفة.

المطلب الرابع: التحليل البلاغي لمدلول المودا: إيديولوجيا المودا

إن التحليل البلاغي لكتابة المودا، وفقا لوجهة نظر بارت، يكشف عن وجود مدلول عام هو المسمى "إيديولوجيا المودا"، وهذا المدلول يخضع لشروط تحليلية خاصة، وهذه الشروط متعلقة بدورها بالميزة الأصلية له، فهو ليس واضحا ولا ضمنيا بل هو متخف (مستتر).

فالمدلول الواضح يكون مفعلا، أما المدلول الضمني فهو على سبيل المثال ذلك الخاص باللغة، حيث إنه في إطار النظام اللغوي المستحيل موضوعة المدلول خارج داله، وحتى عندما يكون المدلول الضمني غير مرئي، فهو مع ذلك يكون واضحا بسبب تقطع داله، كما أن العلاقة الدلالية فيه تكون ضرورية وكافية، ذلك لأن النظام اللغوي تكون فيه المادة دلالية بشكل مباشر.

وفي مقابل المدلول الضمني، فإن المدلول المتخفي (المستتر) أو بعبارة أخرى، "إيديولوجيا المودا"، كما يصطلح عليه بارت، شأنه شأن كل المدلولات البلاغية للمودا، فإن لديه خصائص أصلية، والتي تجعله يأخذ مكانه ضمن مجموع النظام، فهو يقع ضمن عملية الإيحاء الذي يساهم بدوره في عملية خداع المدلول المستتر وازدواجيته، فالإيحاء هنا بصفة عامة يقوم بإخفاء الدلالة تحت مظهر طبيعي.

فالنظام الإيحائي للمودا، كما هو الحال بالنسبة للنظام البلاغي، لا يعني استهلاك العلامات ولكن يعني

²⁴⁶ المصدر السابق، ص 248، 249.

استهلاك الأسباب والغايات والصور، ولا ينتج عن ذلك سوى كون المدلول الإيحائي هو مدلول متخف، وليس أبدا مدلولاً ضمناً، ويضيف بارت بأنه بواسطة المدلول البلاغي أو المتخفي بالإمكان بلوغ المفارقة الجوهرية للدلالة الإيحائية المتمثلة، إن جاز التعبير، في كونها دلالة متلقاة ولكن غير مقروءة، فإيديولوجيات المودا أو المدلولات البلاغية قليلة العدد مقارنة بالدوال، وكل مدلول من هاته المدلولات غير المتعددة والقليلة، هو إيديولوجيا صغيرة متواجدة بطريقة ما في وضعية تأثير متبادل مع إيديولوجيات أكثر اتساعاً.

ولهذا يرى بارت أنه لا يوجد سوى مدلول بلاغي واحد، مشكّل بواسطة مجموعة من المفاهيم غير المحدودة، والتي يمكن تشبيهها بغمامة كبيرة وتمفصلات وحدود غامضة، وهذه الضبابية التي تحيط بالمدلول البلاغي ليست خللاً نظامياً، فالمدلول غامض لأنه يتعلق بشكل ما بوضعية الأفراد، ومعرفتهم وأحاسيسهم وأخلاقهم ووعيهم، وبالوضعية التاريخية للثقافة التي يعيشون في إطارها.²⁴⁷

ويذهب بارت في ذات السياق دائماً، على اعتبار أن عدم دقة ووضوح المدلول البلاغي، هو في الواقع انفتاح على العالم فالموضوعية، إذا تمثلت في تعريف المدلول البلاغي باعتباره في حد ذاته إيديولوجيا، على أنه ممكن ومحتمل وليس على أنه مؤكد وكما يقول بارت بأننا لا نستطيع إثبات وجود المدلول البلاغي باللجوء المباشر إلى جمهور مستعمله، لأن هذا الجمهور لا يقرأ رسالة الإيحاء ولكنه يستقبلها فلا يوجد إثبات لهذا المدلول، ولكن فقط توجد إمكانية.

وهذه الإمكانية مع ذلك، يمكنها أن تكون خاضعة لتحكم مزدوج خارجي وداخلي: أما الأول فيكون بالتحقق من قراءة بيانات المودا في طابعها البلاغي، عن طريق إخضاع قارئ المودا لحوارات غير موجهة، لأن ما يجب فعله هنا هو تشكيل كلفة إيديولوجية، أما بالنسبة للتحكم الداخلي، حيث المدلولات البلاغية تتسابق إلى تشكيل رؤية عامة للعالم، خاصة بالمجتمع الإنساني المشكلة من طرف الصحافة.

فمن جهة، ينبغي أن يكون عالم المودا مشبعاً كلياً بكل المدلولات البلاغية، ومن جهة أخرى ينبغي أن تكون هذه المجموعة من المدلولات مرتبطة فيما بينها وظيفياً، أو بعبارة أخرى، إذا كان المدلول البلاغي في طابعه الموحد، ليس بوسعه أن يكون إلا مجرد تركيبة، فلا بد أن تكون هذه التركيبة متناغمة.

وفي نهاية حديثه عن المدلول البلاغي "إيديولوجيا المودا"، يؤكد بارت أن العالم الموضوعي الذي يشغله هذا الأخير هو العالم التاريخي.²⁴⁸

وخلاصة القول بناء على ما سبق ذكره، أن كل عمل تحليلي لكتابة المودا بلاغياً، حسب وجهة النظر

²⁴⁷ المصدر السابق، ص 249، 250

²⁴⁸ المصدر السابق، ص 50، 51، 52

البارتية، يكشف الستار عن وجود مدلول عام، هو المسمى بإيديولوجيا المودا، الذي يتميز بخاصية التخفي.

المطلب الخامس: التحليل البلاغي لعلامة المودا: أسباب المودا

إذا كانت العلامة هي اتحاد الدال والمدلول، أي اتحاد بين اللباس كدال والعالم كمدلول، كما هو الحال بالنسبة لبيانات المجموعة (أ)، أو بين اللباس كدال والمودا كمدلول، فإن الصحيفة لا تقدم هذه العلامة دائما بطريقة معلنة، فهي لا تقول على وجه الإكراه بأن الإكسسوار هو دال لمدلول هو الربيع، وأن الفساتين القصيرة في هذه السنة تمثل علامة المودا، بل هي تقول بطريقة أخرى: "إن الإكسسوار يصنع الربيع هذه السنة، والفساتين تلبس قصيرة".

فالصحيفة بإمكانها بواسطة بلاغتها تحويل العلاقة بين الدال والمدلول، وتبديل أوهام العلاقات الأخرى، أو عبارة أخرى، ففي الوقت الذي تبني فيه المودا نظاما دقيقا للعلامات، فإنها تعطي لهذه العلامات مظهر الأسباب الخضة.

فالتحليل البلاغي لعلامة المودا، كما يرى بارت، يكشف بأن العلامة تختبئ خلف الاستعمال أو الوظيفة، وفي هذا السياق فهو يعتقد بأن هناك تبادلا بين الوظيفة والعلامة، حتى في حالة اللباس الواقعي، الذي يبدو وظيفيا خالصا، ولباس المودا الذي يبدو إشاريا محضا، فقد يظهر للوهلة الأولى أن هناك تعارضا بينهما.

لكن هذا من شأنه أن يكون تعارضا غير دقيق، فاللباس الواقعي حتى وإن كان في أساسه لباسا وظيفيا، فإنه يحتوي دائما على عنصر إشاري، بالقدر الذي تكون فيه كل وظيفة تمثل علامة لنفسها في حد ذاتها، فلباس العمل على سبيل المثال مخصص لفعل العمل، لكنه يعرض العمل ويدل عليه، كما أن لباس المودا الإشاري يخفي وراءه

الوظائف، وهذا التبادل ما بين الوظيفة والعلامة يوجد في الكثير من المواضيع الثقافية، فمعطف المطر على سبيل المثال يحمي من المطر ويدل عليه أيضاً.

ويرى بارت أن تحويل نظام العلامات إلى نظام من الأسباب والوظائف، يمكن أن يوضع تحت مسمى العقلنة، وبالإمكان القول أنه بفضل هذه العقلنة، التي تجعل المودا تحوّل كل علاماتها إلى أسباب، فإن المودا المكتوبة تحمل مفارقة كونها مكتوبة ومتكلمة.²⁴⁹

و مجمل القول فيما يتعلق بالتحليل البلاغي لعلامة المودا كوحدة كلية، أنها تحمل بعداً وظيفياً إضافة إلى بعدها السيميائي.

النتائج:

- 1- إن اللباس لدى بارت يشكل حقلاً دلاليّاً يمكن تتبّع وحداته الأساسيّة، من خلال ثلاث بنيات لباسية وهي: البنية الشفوية، البنية المصورة و البنية التكنولوجية.
- 2- على الرغم من الاختلاف الموجود بين لباس الكتابة و لباس الصّورة، إلا أن كليهما وثيق الصّلة والارتباط باللباس الواقعي، الذي يمثل الأساس بالنسبة لكليهما.
- 3- لباس الكتابة من وجهة نظر بارتية كثيراً ما يخلو من الأبعاد و المقاصد الإيديولوجية، و الرّسالة التي تهدف المودا إلى تمريرها من خلال هذا الصّنف من اللباس، لها معنى واحد هو المودا ذاتها.
- 4- استقرار بارت على لباس الكتابة كخيار من أجل دراسته و تحليله سيميائياً، لا يعود فقط إلى ما سبق ذكره، بل يرجع أيضاً للوظائف التي تضطلع اللغة بها في إطار هاته البنية، و المتمثلة في استقرار مستوى الإدراك و الوظيفة المعرفية، إضافة إلى التّضخيم، فهذه الوظائف مجتمعة هي من يعطي التّمييز في الحقل الدّلالي للباس الكتابة.
- 5- بيانات صحف المودا التي قسمها بارت إلى مجالين: "المجال أ" و "المجال ب"، تخضع على مستوى التّحليل، إلى مجموعة من الأنظمة منها ما ينتمي إلى صعيد التقرير، ومنها ما يمثّل صعيد الإيجاء.
- 6- إن العلامة اللباسية من ناحية التركيب لا تختلف كثيراً عن العلامة اللّغوية، فهي الوحدة التي تولّف بين دال

²⁴⁹ المصدر السابق، ص 260، 261

و مدلول، كما أنّها من طبيعة نحوية، لا هي اعتباطية خالصة و لا تعليلية كذلك، بل تتراوح بين الاعتباطية والتّحفيز.

7- رغم تعدّد الأنظمة التي ينبني عليها لباس الكتابة كبنية شفوية، إلّا أن بارت قد اختار النظام البلاغي، ليحلّل و يكشف من خلاله الوحدات الدّلالية المشكّلة لهذه البنية.

8- إن التّحليل البلاغي لدوال علامات لباس المودا، يكشف عما سماه بارت بشعرية اللّباس، أو بالأحرى شعرية الدّال، فبلاغة الدّال تشكّل مجالاً للإيجاء، عن طريق الالتقاء الحاصل بين اللّغة الواصفة و الموضوع الموصوف.

9- إن كتابة المودا، منظوراً إليها من زاوية التّحليل البلاغي، تكشف عن وجود مدلول من نوع خاص هو المسمّى بإيديولوجيا المودا.

الحائمه

لقد خلصت من خلال هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

أولاً: تستثمر رؤى رولان بارت السيميائية أفكار سوسير وهجمسلاف، مبتعداً قدر الإمكان عن السيميوطيقا البورسية، التي تتشعب كثيراً، حيث تستند سيميولوجيا بارت إلى أفكار سوسير فيم يتعلق بمجموع الثنائيات: (اللسان/الكلام)، (المركب/النظام)، (الدال/المدلول)، كما تنهل من أفكار هجمسلاف بخصوص ثنائية (التقرير/الإيجاء).

ثانياً: قد عمل بارت على تحريك الثنائيات السالفة الذكر، لتشمل حقول اجتماعية و ثقافية متنوعة، الأمر الذي منح أفكاره السيميائية طابع المتعة، فالدراسة النافذة لأعمال بارت، تؤكد أنه تجاوز الإطار المحدود الذي اشتغل عليه سوسير، ليخلق وسط فضاء أشمل و أعم، ممثلاً في أنظمة الدلالة الثقافية بمختلف أوجهها و تنوعاتها، على أساس أن الثقافة بمعناها الواسع عند بارت تقع تحت مرمى علم الدلالات.

ثالثاً: إذا كانت العلامة في السيميوطيقا البورسية تتمتع بتفريع ثلاثي، فهي تكتسب لدى سوسير تفريعا ثنائياً، و هذا اعتمده رولان بارت في تأسيس مغامرته السيميائية.

رابعاً: العلامة تقع في مركز الدراسات السيميائية البارتية، و هي بمنظوره الشيء الذي يمثل بديلاً عن شيء أو فكرة، فهي بمثابة البديل الذي يجعل التلمس الرمزي لهذه الفكرة سهلاً، أو بعبارة أخرى، هي شيء يعادل شيئاً آخر، يختلف عنه، يقوم مقامه و ينوبه، و تكون أداة موظفة لمعرفة الأشياء، و تنشأ بالتزامن مع هذه المعرفة، و مع حدوث الصلة مع هذه الأشياء، كما أن لها وظيفة أخرى، تتمثل في كونها أداة للتعامل مع العالم و مع الآخرين أيضاً.

خامساً: إنَّ العلامة بالمفهوم البارقي وثيقة الصلة بسيمياء الدلالة، التي تنطلق بدورها من تصوّرات سوسير، غير أنَّها تتجاوز التواصل و ما يستلزمه من مقصدية لدى مستعملي العلامات، و تركّز بالمقابل على آليات الدلالة، داخل هذه العلامات و داخل أنساقها السيميائية.

سادساً: إنَّ بارت قد انطلق من دراسة مجموعة متنوعة من الوقائع اليومية، في الحضارة الغربية المعاصرة، كالمصارعة الحرة، الاشهار، المقال الصحفي و كثير غيرها، و قد اعتبر هذه الوقائع أنساقاً دلالية، تدرس ضمن "ميثولوجيا" معاصرة سيميائية، تجسدها تظاهرات الثقافة الجماهيرية، و هذه التظاهرات تأخذ حسب بارت طابعاً أسطورياً، لأنَّها عبارة عن أنساق من الدرجة الثانية، فالنسق الميثولوجي ينبني على نسق سيميائي، موجود قبله يشكّل له الأرضية التي يتطلق منها، وهي اللغة، فالعلامة اللغوية بداها ومدلولها، هي ما يشكل النسق الدال لهذه

سابعاً: طَبَّق بارت النِّظام الدَّلالي على الأساطير المعاصرة، التي تختلف في معناها عن الأساطير القديمة، ذلك أن المشهد الثقافي بكل تجلياته المقابلة للإنسان كل يوم، تخفي وراءها مجموعة من البنى الأسطورية الدَّلالية، التي تعكس أفكار المجتمع والطبقة التي تنتج مختلف المظاهر الثقافية.

ثامناً: إنَّ اهتمام بارت بالمواد أو لباس المواد بأنواعه الثلاثة، كما حدَّدها منذ بداية اشتغاله بالأنساق الدَّلالية، على اختلاف ألوانها و موادّها، ضمن أولى محاولاته يدلُّ على أنَّه وجد فيه مجالاً رحباً للتقصّي عن عوالم الدَّلالة.

تاسعاً: إنَّ كشف البعد الدَّلالي للعلامات سواء تعلق الأمر بنظام المواد أو أي نظام سيميائي آخر يقتضي لدى بارت البحث عن تفاصيل النظام ذاته عبر الأدوات التحليلية للسانيات، و هذا ما تبين من خلال دراسته للباس الكتابة و ذلك انطلاقاً من كون أن الأنساق الدَّلالية أو العلامات لا يمكن أن تدل خارج إطار اللغة، لأنّها على حد تعبيره بذور الصوت المتناثر في ثنايا كل نسق سيميائي.

عاشراً: انحصار الفكر البارتي في إطار الحدود الضيقة للبنىوية، رغم اشتغاله على أنساق دلالية مختلفة، جعل نظريته في العلامة بكل ما تحمله من أبعاد، تتسم بالإنغلاق، فلو كان بارت أكثر تحملاً من الأطر الصارمة للبنىوية، لبلغ بنظره إلى أبعد مما هي عليه، لكانت نظريته أكثر انفتاحاً واحتواءً للمضامين والآفاق الفلسفية.

الحادي عشر: ارتباط المشهد الفكري البارتي العام، بشئائيه الدال والمدلول، واختزاله للعالم ككل في حدود هذه الشئائية الشكلية الضيقة، يجعل نظريته في العلامة رغم عمقها البنيوي بإمكانها أن تتموقع ضمن حالة الاغتراب حيث ضاعت القيم.

الفهارس

أولاً: فهرس الأعلام

ثانياً: فهرس المصادر والمراجع

ثالثاً: فهرس الموضوعات

فهرس الأعمه

الرقم	العلم
(أ)	
01	ابن سينا : أبو علي الحسين بن عبد الله الملقب بالشيخ الرئيس ولد سنة 980 م و توفي سنة 1037م أشهر أطباء العرب و من أشهر فلاسفتهم كانت له دراسات قيمة حول النفس و روحانيتها ، كما اهتم بالمسائل الميتافيزيقية المتعلقة بالوجود من أبرز مؤلفاته: المناظر، الشفاء، النجدة، الإشارات و التنبيهات.
02	أرسطو "Aristote": فيلسوف يوناني ولد سنة 384 ق.م و توفي سنة 322 ق.م ، أمضى حوالي عشرين عاما متلميذا على يد أفلاطون فكان عضوا في الأكاديمية و قد أسس مدرسة في الفلسفة في أثينا عرفت بالمدرسة المشائية ، من مؤلفاته: المقولات في التأويل ، التحليلات الأولى و الثانية، السياسة .
03	أغسطين "Saint Augustin": ولد بالجزائر سنة 354م توفي سنة 440م، مر بمراحل فكرية عديدة وأفنى عمره في التوفيق بين المسيحية والحكمة، من أشهر مؤلفاته : "مدينة الله" .
04	أفلاطون "Platon": من مشاهير فلاسفة اليونان ولد سنة 427 ق.م و توفي سنة 347 ق.م ، ينحدر من أسرة أرسقراطية عريقة ، قام برحلات عديدة ، و قد ترك بعد موته جامعة هدفها الرئيسي تربية و تخريج فلاسفة سياسيين قادرين على بث مبادئ العدالة، سميت بالأكاديمية و قد كانت مؤلفاته عبارة عن محاورات من أهمها: مينون ، أوطيفرون، الجمهورية.
05	السواح فراس: مفكر سوري ولد سنة 1941، يبحث في الميثولوجيا وتاريخ الأديان ، كمدخل لفهم البعد الروحي عند الإنسان، من مؤلفاته: " مغامرات العقل الأولى " ، " دين الإنسان " ، " الأسطورة والمعنى " .
06	الغزالي: أبو حامد محمد ولد سنة 1059 و توفي سنة 1111 فيلسوف مسلم ذو عقل جبار، ألحّ في تفهم مذاهب الفلاسفة ليدرك الحقيقة، عالج جميع المذاهب الفلسفية، عانى من أزمة نفسية نتيجة بحثه عن الحقيقة ثم خرج منها، من مؤلفاته: المنقذ من الضلال، إحياء علوم الدين ، تهافت الفلاسفة، مقاصد الفلسفة.

07	أوغدن، شارل كاي "Ogden Charles Kay": ولد سنة 1889 و توفي سنة 1957 كان كاتباً و فليسوفاً و لسانياً انجليزياً ، قام بعدة أعمال متعلقة بالأدب و السياسة، و الفنون و الفلسفة كما كان ناشراً و مترجماً كما كان ناشطاً في إصلاح اللغة الانجليزية و تطلق عليه تسمية صاحب اللسانيات النفسية.
08	أوسبانسكي، بيوتر ديميانوفيتش "Ouspensky Piotr Demianovitch": ولد سنة 1878 و توفي سنة 1947 فيلسوف روسي استعمل الهندسة كوسيلة لترجمة أفكاره المتعلقة بعلم النفس و الأبعاد العليا للوجود اشتهر باكتشافه للأعمال الصوفية الليوناني الأرمني جورج غوردجيف.
09	إيفانوف، فياتشسلاف "Ivanov Viatcheslav": ولد سنة 1866 و توفي سنة 1949 كان أحد أشهر منظري الرمزية الروسية كما كن شاعراً و فيلسوفاً و مؤرخاً للعقائد و كانت مجمل أعماله تختص بدراسة القرون الوسطى و كما كانت مهتماً بالنهضة و من مؤلفاته: الديانة الإغريقية للإله المعذب .
10	إيكو، أمبرتو "Eco Umberto": ولد سنة 1932 سيميولوجي و كاتب إيطالي له دراسات سيمنطيقية حول علاقات الإبداع الفني بوسائل التواصل مع الجمهور، من مؤلفاته: العمل المفتوح 1962، و رواية بودولينو 2000.
(ب)	
11	بارت، رولان "Barthes Roland": أديب و ناقد فرنسي ولد بـ 12 نوفمبر 1915 بشاربورغ بفرنسا و توفي في 26 مارس 1980 بباريس كانت له العديد من الكتابات السيميولوجية ، و قد كان أحد مؤسسي المغامرة السيميولوجية و البنيوية الفرنسية. درّس الآداب الكلاسيكية بجامعة باريس حيث ساهم في تأسيس جماعة المسرح القديم بالسوربون، عاش حياة فكرية خصبة، ساهم في إثرائها التقاؤه بجورج فورنيي و قراءاته لماركس و ميشوليه و سارتر و قد شغل منصب وزير للشؤون الخارجية لفرنسا من آثاره: أسطوريات، إمبراطورية العلامة، نظام الزّي، نقد و حقيقة.
12	باسكال، بلاز "Pascal Blaise": ولد سنة 1623 و توفي سنة 1662م فيزيائي، رياضي وفيلسوف فرنسي اشتهر بتجاربه على السوائل في مجال الفيزياء، وبأعماله الخاصة بنظرية الاحتمالات في الرياضيات. استطاع باسكال أن يسهم في إيجاد أسلوب جديد في النشر الفرنسي بمجموعته الرسائل الريفية.
13	برغسون هنري لوي "Bergson Henri Louis": فيلسوف فرنسي ولد سنة 1859 توفي

	سنة 1941 ، أقام مذهبا روحيا حاول به دحض المادية، فجاءت فلسفته نقدية تحليلية، كما وضع فلسفة التطور الخلاق، من مؤلفاته : "المفكر المتحرك" و"الطاقة الروحية" .
14	بروندال، ريموس فيغو "Brondal Rasmus Viggo": ولد سنة 1887 و توفي سنة 1942 فقيه لغوي دانماركي و أستاذ اللغات الرومانسية و الادب بجامعة كوبنهاغن ، كما انه مؤسس حلقة كوبنهاغن اللسانية .
15	بنفنيست، إميل "Benveniste Emile": لغوي فرنسي ولد سنة 1902 و توفي سنة 1976 بفارسي ، عالم لسانيات فرنسي ، كان له العديد من المؤلفات المهمة الخاصة باللسانيات العامة و الهندو أوروبية.
16	بودلير، شارل "Baudelaire Charles": كاتب رومانسي ولد سنة 1821 و توفي سنة 1867 حاول في أعماله أن يرسم ملامح إنسانية بأسلوب رومانسي من أعماله زهور الألم 1857م , الفن الرومانسي 1868م.
17	برييطو، لويس جورج "Prieto Luis Georges": ولد سنة 1926 و توفي سنة 1996 عالم لغوي عمل على تطبيق التغيير الفونولوجي على السيميولوجيا ، شغل منصب أستاذ اللسانيات في جامعات عدة و منها جامعة باريس.
18	بورس، شارل ساندرس "Peirce Charles Senders": فيلسوف و رياضي أمريكي ولد سنة 1839 , وضع أولى صياغات نظرية العلامات ما بين عامي 1867-1868 ثم طور المذهب البرغماتي ما بين عامي 1877-1878
19	بويسونس، إيريك "Buysens Eric": ولد سنة 1900 و توفي سنة 2000 ، لغوي بلجيكي متحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة و الآداب، متأثر بأفكار سوسير اشتهر كعالم لسانيات بعد نشره لكتاب عنوانه مقال عن اللسانيات الوظيفية في إطار السيميولوجيا ، والذي طور من خلاله أفكاره عن العلامة .
(ت)	
20	تريي، جوست "Trier Jost": و لد سنة 1894 و توفي سنة 1970 لساني ألماني كان أستاذا بجامعة مونستر 1932 و في عام 1968 تحصل على جائزة كونار-ديدان .
21	تودوروف، تزيفتان "Todorov Tzvetan": ولد سنة 1939 بلغاري الأصل فرنسي الجنسية، سيميونتيقي و مؤرخ للأفكار الفرنسية مترجم للشكلايين الروس نظرية الأدب 1965 ، عرف مناهج التحليل البنيوي للأدب – شعرية النشر 1971- قبل أن يتجه نحو التفكير الانساني (فكر التنوير 2006)

(ج)	
22	دريدا جاك " Dérída Jacques " :فيلسوف ولد سنة 1930 وتوفي سنة 2004، يعد ممثلاً للاتجاه التفكيكي، وتشكل أعماله الفلسفية مرجعاً للدارسين، طرح مجموعة من المقولات أصبحت علامة فارقة لفلسفة كاملة، من أهمها : النص ، القراءة ، الكتابة ، الاختلاف و التفكيك.
23	جاكسون، رومان "Jakobson Roman": لغوي روسي الأصل أمريكي الجنسية ولد سنة 1896 في موسكو بروسيا، و توفي سنة 1982 في بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية , قدم دراسات لغوية سنة 1941 في فروع لغوية مختلفة منها في علم الأصوات و في علم النفس اللساني و في نظرية الاتصال و في اللغة الشعرية من آثاره : مقالات في اللسانيات العامة.
(ح)	
24	حمزة، بن عبد المطلب: (؟ — 3 هـ، ؟ — 625م) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم أبو عمار، أحد صناديد قريش وسادتهم في الجاهلية. أما في الإسلام فكان سيد الشهداء، وأسد الله وأسد رسوله. سماه بهما رسول الله (ص). وهو عم النبي (ص) وأخوه من الرضاعة. ولد قبل النبي ³ بستين وأسلم في السنة السادسة من البعثة
(ر)	
25	روسي لاندي، فريكسيو "Rossi - Landi Ferruccio": ولد سنة 1985 وتوفي سنة 1921 فيلسوف إيطالي كانت له أعمال سيميائية و فلسفية متعلقة باللغات و كان ذلك في الفترة ما بين 1950-1980
26	ريتشارد، إيفور أرمسترونغ "Richards Ivor Armstrong": ولد سنة 1893 و توفي سنة 1979 كان أحد أبرز نقاد الأدب و علماء البلاغة الانجليزيين و يعد أحد مؤسسي الدراسة المعاصرة للأدب الانجليزي. من مؤلفاته: معنى المعنى ، مبادئ في نقد الأدب ، النقد التطبيقي، فلسفة البلاغة.
27	ريكور بول "Ricoeur Paul": فيلسوف فرنسي ولد سنة 1913 وتوفي سنة 2005، أحد أبرز فلاسفة التأويلية في الفلسفة المعاصرة، شغل منصب مدير البحث في الظواهرية والتأويلية في المركز القومي للبحوث العلمية، من أهم مؤلفاته : " التأويل وفائض المعنى " ، " فلسفة الإرادة " ، " رمزية الشر " .
(س)	

28	سارتر، جون بول "Sartre Jean - Paul": ولد سنة 1905 و توفي سنة 1980، فيلسوف و كاتب فرنسي متأثر بالظواهرية و هايدجر أسس نظرية وجودية متمحورة حول علاقة الانسان بالحرية ، طور أفكاره من خلال الروايات و المسرحيات منها: الغثيان ، طرق الحرية ، الأيدي القذرة، من مؤلفاته : الوجود و العدم ، الحقيقة و الوجود.
29	ستالين، جوزيف "Stalin Joseph": ولد سنة 1879 و توفي سنة 1953م رئيس اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية السابق من عام 1929م وحتى عام 1953م. صعد من حالة الفقر المدقع إلى حاكم لبلاد تُغطي مساحتها سُدس مساحة العالم.
30	سوسير، فرديناند دو "Saussure Ferdinand de": عالم لغوي سويسري ولد سنة 1857، و توفي سنة 1913 يعد من كبار علماء اللسانيات، علّم قواعد اللغة المقارنة و دروس اللسانيات العامة في باريس و جنيف 1907-1911 وقد جمعت محاضراته و نشرت بعد وفاته في كتاب درس اللسانيات العامة 1916.
(ف)	
31	فدجنشتين لودفيج "wittgenstein Ludwig": فيلسوف نمساوي ولد سنة 1889 وتوفي سنة 1951، كان لأفكاره أثر كبير على حركتين فلسفيتين ، هما : الوضعية المنطقية والتحليل اللغوي، من أهم مؤلفاته : " تتبع المنطقي الفلسفي " ، " تحقيقات فلسفية " .
32	فرويد، سيجموند "Freud Sigmund": ولد سنة 1856 و توفي سنة 1939، طبيب نمساوي مؤسس التحليل النفسي ، متخصص في علم الأعصاب، تَخلى عن مفاهيم و مناهج الطب النفسي التقليدي، وسع مجال التحليل النفسي إلى دراسة المشاكل الكبرى للحضارة من مؤلفاته: تفسير الأحلام 1900، مستقبل الوهم 1927، انزعاج في الحضارة 1930.
33	فريجه جوتلوب "Frege Gottlob": عالم رياضيات وفيلسوف ألماني ولد سنة 1846 وتوفي سنة 1925، من أهم فلاسفة الحركة النقدية، أحدث ثورة فكرية جددت في مفاهيم الرياضيات والمنطق والفلسفة، من كتبه : " أسس علم الحساب " .
34	فلوبير، غوستاف "Flaubert Gustave": ولد سنة 1821 و توفي سنة 1880 كاتب و أديب فرنسي أثر في الأدب الفرنسي بعمق تحليلاته النفسية، دون أن يكتثر بالواقعية تميز بنظرته الثاقبة لسلوكيات الأفراد و المجتمع و قوة أسلوبه المجسد في كبرى رواياته مثل السيدة بوفاري 1857 ، التربية العاطفية 1869.

(غ)	
35	غريماس، ألجير داس جوليان "Greimas Algirdas Julien": ولد سنة 1917 و توفي سنة 1992 بباريس. لساني و سيمنطقي فرنسي الجنسية لتواني الأصل أسس نظرية عامة للمعنى بمنظور بنيوي من مؤلفاته : السيمنطيقا البنيوية 1966.
(ك)	
36	كاسيرر، إرنست "Cassirer Ernest": ولد سنة 1874 و توفي سنة 1945 فيلسوف ألماني ، مهد لفكرة التأويلية المعاصرة ، قام بتحليل الأساطير و الأديان و الرموز من خلال كتابه فلسفة الأشكال الرمزية 1923 بمنظور كانطي.
37	كانط إيمانويل "Kant Immanuel": فيلسوف ألماني ولد سنة 1724 توفي سنة 1804، ذو نزعة مثالية من أقطاب الفكر الفلسفي المعاصر، مر في حياته الفلسفية بعدة مراحل، من مؤلفاته : " نقد العقل الخالص" ، " نقد العقل العملي " ، " نقد الحكم " .
(ل)	
38	لالاند، أندري "Laland André": ولد سنة 1867 و توفي سنة 1967 فيلسوف فرنسي التزم بالمذهب العقلي فدرس نظرية التطور الذي أكد أنه يقوم على الانتقال من المتجانس إلى المتنافر و نظر إلى المجتمع من خلال نظرية التطور، تحصل على الدكتوراه في الآداب 1899، مؤلفاته: العقل و المعايير 1948، معجم الفلسفة الاختصاصي النقدي 1926.
39	لوتمان، يوري ميخائيلوفيتش "Lotman Yuri Mikhailovich": ولد سنة 1922 و توفي سنة 1993 كان أحد الشكلايين الروس و أحد النقاد و السيمنطقيين وأحد علماء الثقافة هو مؤسس السيميوطيقا البنيوية في علم الثقافة و يعد أول بنيوي سوفيتي و كان ينتسب لمدرسة تارتو السيميائية بلغ مجموع مؤلفاته المختلفة .
40	ليفى ستروس، كلود "Levi - Strauss Claude": ولد سنة 1908 ، انثربولوجي فرنسي متأثر بدوركايم و موس ، بعد التقائه بجاكسون فكر في تطبيق المنهج البنيوي في دراسة الظواهر الانسانية فأعطى بذلك البعد الانساني للبنيوية .
(م)	
41	ماتوري، جورج "Matoré Georges": عالم نحو فرنسي ، أستاذ فخري بجامعة السوربون. في سنة 1953 صدر كتابه المنهج في علم النحو الذي ينطلق من مسلمة مفادها أن مفردات حضارة ما هي

	التي تكشف عنها و يعتبر أن غاية المفردات هو تاريخي اجتماعي .
42	مارتيني، أندري "Martinet André": ولد بسانت ألبان دي فيارد سنة 1908 و توفي بشاتناي مالايري سنة 1999 لساني فرنسي ألف حول علم المنطق و اللسانيات العامة, و يعتبر مؤسس التحليل الوظيفي للسانيات، متأثر بمدرسة براغ.
43	ماركس، كارل "Marx Carl": ولد سنة 1818 و توفي سنة 1883 فيلسوف ، اقتصادي، و رجل سياسي ألماني ، مادي أسس مقاربته عن الوقائع التاريخية و الاجتماعية — المادية التاريخية- مستلهما أفكاره من هيغل و المنظرين الاجتماعيين الفرنسيين و الاقتصاد السياسي البريطاني. من أهم أعماله رأس المال .
44	موريس، شارل "Morris Charles": ولد سنة 1903 و توفي سنة 1979 سيمنطقي و فيلسوف أمريكي و هو مؤسس علم النفس الاجتماعي و كان عضوا في أكاديمية الفنون و العلوم سنة 1930 و أسهم في كتابة الموسوعة العالمية للعلوم الموحدة ، قام بإضفاء طابع خاص على البرغماتية.
45	موزارت، فولفغانغ أماديوس "Mozart Wolfgang Amadeus": ولد سنة 1756 و توفي سنة 1791م، مؤلف موسيقي نمساوي يعتبر من أشهر العباقرة المبدعين في تاريخ الموسيقى. شهد له المؤلف الموسيقي الشهير جوزيف هايدن بأنه رائد الأسلوب الكلاسيكي في التأليف الموسيقي في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي. مات قبل بلوغ السادسة والثلاثين تاركاً ما يربو على 600 عمل فني، رغم قصر حياته.
46	مونان، جورج "Mounin Georges": ولد سنة 1910 و توفي سنة 1993 لساني فرنسي و أستاذ اللسانيات و السميولوجيا بجامعة أكس أون بروفانس ، تعالج أعماله مواضيع متعددة بدءا من تعريف اللسانيات و فروعها و مشاكلها التقليدية ذات العلاقة بفروع معرفية أخرى كالفلسفة والأدب.
47	ميرلوبونتي موريس "Merleau-Ponty Maurice": فيلسوف فرنسي ولد سنة 1908 و توفي سنة 1961، أظهر مقدرة على تعميق البحث الفينومينولوجي كان عضوا مؤسسا لمجلة الأزمنة الحديثة مع سارتر، من مؤلفاته: " المعنى واللامعنى " ، " علامات " .
(هـ)	
48	هجمسلف، لويس ترول "Hjelmslev Louis Trolle": ولد بكوبنهاغن سنة 1899 و توفي بها سنة 1965 عالم لسانيات دانمركي يسير على النهج السويسري كانت نظريته المتعلقة بدراسة و تصنيف الوحدات اللسانية بطريقة وظيفية بحتة تسعى إلى شكلنة البنيات اللسانية, من مؤلفاته: مبادئ

	في نظرية اللغة 1943.
49	هيجل، جيورغ ويلهلم فريدريك "Hegel Georg Wilhelm Frederic": فيلسوف ألماني ولد سنة 1770م، و توفي سنة 1931 و هو القائل بأن العقل هو كائن يتطور على مراحل ثابتة، من آثاره المنطق الكبير، مبادئ فلسفة الحق.
50	هيدغر مارتن "Heidgger Martin": فيلسوف ألماني ولد سنة 1889 وتوفي سنة 1976، يعتبر ممثل الوجودية تأثر بهوسرل، اشتهر بكتابه: " الوجود والزمان " حيث تعرض فيه لمسائل الهم والضمير والدين والخوف والوجود، من مؤلفاته أيضا: " مدخل إلى الميتافيزيقا " .
(و)	
51	وارتبيرغ، والتر فون "Wartburg Walther Von": ولد سنة 1880 و توفي سنة 1971 لساني فرنسي ، ألف عدة أعمال حول اللغات الرومانية ، اتجه منذ 1922 إلى انجاز خاص بالأعلام و هو قاموس مصطلحات اللغة الفرنسية و فصائها.
(ي)	
52	يونغ، يواكيم "Yung Yoachim": ولد سنة 1587 و توفي سنة 1657 فيلسوف و عالم طبيعات و رياضيات ألماني. رفض الميتافيزيقا و أكد عجزها عن تفسير مبادئ الطبيعة ، كان أستاذا و رئيسا بجامعة هامبورغ. من مؤلفاته: علم الهندسة المادية، المنطق الهامبورغي.

فهرس المصادر و المراجع

أولاً: المصادر

المصادر باللغة العربية:

1- بارت، رولان: درس السيميولوجيا، ترجمة ع. بنعبد العالي ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ، ط3، 2008 .

2- بارت، رولان: مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، دار قرطبة للطباعة و النشر، الدار البيضاء، المغرب (د.ط)، 1986.

المصادر باللغة الفرنسية:

1-Barthes Roland: Mythologies, éd seuil, Paris , 1^{er} pub ,1957

2-Barthes Roland: Système de la mode, éd, seuil, Paris, 1967

ثانياً: المراجع

المراجع باللغة العربية:

1- ابن سينا: العبارة، تحقيق محمد الخضير، القاهرة، (د.ط)، 1790.

2- أرسطو: في التأويل، ترجمة ابن رشد، تحقيق جبرار جهامي، دار العودة، بيروت، (د.ط)، 1988.

3- الحداوي، طائع: سيميائيات التأويل ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.

4- الزاوي، الحسين وآخرون: الطريق إلى الفلسفة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009.

5- السواح، فراس: الأسطورة و المعنى، دار علاء الدين، دمشق، ط2، 2001.

- 6- العرابي، لخضر: المدارس النقدية المعاصرة، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران، الجزائر، (د.ط)، 2007.
- 7- الغزالي، معيار العلم، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط2، (د.ت).
- 8- الكردي، محمد علي: دراسات في الفكر الفلسفي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 1998.
- 9- إيكو، أمبرتو: السيميائية و فلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2005.
- 10- إيكو، أمبرتو: العلامة تحليل المفهوم و تاريخه، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2007.
- 11- إيكو، أمبرتو: سيميائيات الأنساق البصرية، ترجمة محمد التهامي و محمد أودادا، دار الحوار، اللاذقية، ط1، 2008.
- 12- بغوره، الزواوي: الفلسفة واللغة ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005.
- 13- بغوره، الزواوي: المنهج البنوي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2001.
- 14- بنكراد، سعيد: السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها، دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية، سورية، ط2، 2005.
- 15- بنكراد، سعيد: السيميائيات و التأويل ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
- 16- بوزيان، دليل محمد: اللغة والمعنى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010.
- 17- توسان، برنار: ما هي السيميولوجيا، ترجمة محمد نظيف، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1994.
- 18- حنون، مبارك: دروس في السيميائيات ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، المغرب، ط1، 1987.
- 19- خليفي، بشير: الفلسفة وقضايا اللغة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010.
- 20- دولودال، جيرارد: السيميائيات ، ترجمة عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار ، اللاذقية، سورية، ط1، 2004.
- 21- ريكور، بول: نظرية التأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2003.

22- مرسللي، دليلة و آخرون: مدخل إلى السيميولوجيا، ترجمة عبد الحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط1، 1995.

23- مومن، أحمد: اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، 2002.

المراجع باللغة الفرنسية:

1-Peirce Charles Senders: Écrits sur le signe, éd, seuil, Paris ,1978.

2-Saussure Ferdinand de : Cours de linguistique générale, éd, Payothèque ,Paris,1979.

ثالثاً: الموسوعات والمعاجم

باللغة العربية:

1- ابن منظور: لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، مج 3.

2- الأحمر، فيصل: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010.

3- الموسوعة العربية العالمية، النسخة الالكترونية، الإصدار 3، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2004.

4- إيلي ألفا، روني: موسوعة أعلام الفلسفة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ج1، ج2.

5- صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1980، ج1، ج2.

6- لالاند، أندري: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 2002.

باللغة الفرنسية:

1-Hachette,éd,Institution nationale des arts, Algerie,1993.

2-Le Grand Robert,imprimé en France,pub2,2001.

3-Le Petit Larousse Illustré,éd, librairie Larousse, Canada,1990.

باللغة الإنجليزية:

1-Oxford advanced learners dictionnary, oxford university press,6thed,2000.

ثالثاً: المجلات

باللغة العربية:

1-بركات، وائل: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، مجلة جامعة دمشق، العدد2،2002، دمشق،سوريا.

2-دقة، بلقاسم: علم السيمياء في التراث العربي، مجلة التراث العربي، العدد91، سبتمبر 2003، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

باللغة الفرنسية:

1-Carolle Gagnon: Nouvelle sociétés, nouveaux mythes,érudit,n°2,1994,Université Montréal, Canada.

2-Nathalie Cimino: Théorie de la mythologie, Métiers des arts et de la culture,2007,Université de Paris.

رابعاً: مواقع الإنترنت

<http://www.>

1- aljahidhiya.asso.dz/Revues/tebyin_20/Elalama_fiellisaniyate.htm

<http://www.>

2-alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=86500

<http://www.>

3-ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=52836

<http://www.>

4-ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=79251

<http://www.>

5-ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=82719

<http://www.>

6-annabaa.org/nbahome/nba79/029.htm

<http://www.>

7-doroob.com/?p=33856

<http://www.>

8-saidbengrad.com/al/n12/7.htm

<http://www.>

9-saidbengrad.com/al/n12/11.htm

<http://www.>

10-saidbengrad.com/al/27/27-4.pdf

<http://www.>

11-ulum.nl/b174.htm

فهرس الموضوعات

المقدمة.....	أ-د
الفصل الأول: مصطلح العلامة.....	36-05
المبحث الأول: تعريف العلامة.....	14-08
المطلب الأول: التعريف اللغوي للعلامة.....	08
المطلب الثاني: العلامة في اصطلاح الفلاسفة.....	10
المطلب الثالث: العلامة في اصطلاح السيميائيين.....	13
المبحث الثاني: العلامة في المدارس السيميائية.....	26-15
المطلب الأول: العلامة في سيمياء التّواصل.....	15
المطلب الثاني: العلامة في سيمياء بورس.....	18
المطلب الثالث: العلامة في سيمياء الدّلالة.....	21
المطلب الرابع: العلامة في سيمياء الثقافة.....	24
المبحث الثالث: أصناف العلامة.....	35-27
المطلب الأول: الأيقون.....	28

المطلب الثاني: المؤشر.....	30
المطلب الثالث: الرمز.....	32
الفصل الثاني: مصطلح العلامة عند مرو لان بارت.....	67-37
المبحث الأول: العلامة بالمفهوم البارتي.....	50-40
المطلب الأول: تعريف العلامة.....	40
المطلب الثاني: تعريف الدال.....	45
المطلب الثالث: تعريف المدلول.....	47
المبحث الثاني: الأنظمة الشائية المحددة للعلامة عند بارت.....	65-51
المطلب الأول: اللسان/الكلام.....	51
المطلب الثاني: المركب/النظام.....	57
المطلب الثالث: التقرير/الإيحاء.....	62
الفصل الثالث: الأسطورة كشق سيميائي لدى مرو لان بارت.....	99-68
المبحث الأول: الأسطورة بالمفهوم البارتي: تعريفها علاقتها باللغة و قراءتها.....	91-71
المطلب الأول: تعريف الأسطورة عند بارت.....	71

المطلب الثاني: البنية الدلالية للأسطورة.....	77
المطلب الثالث: الأسطورة و اللغة.....	86
المطلب الرابع: قراءة رموز الأسطورة.....	89
المبحث الثاني: أصناف الأسطورة عند بارت.....	92-98
المطلب الأول: الأسطورة ككلام غير ميسس.....	92
المطلب الثاني: أسطورة اليمين.....	94
المطلب الثالث: أسطورة اليسار.....	96
الفصل الرابع: نسق المودا كبنية دلالية لدى رولان بارت.....	100-123
المبحث الأول: بنيات لباس المودا و أنظمة لباس الكتابة.....	103-112
المطلب الأول: البنيات اللباسية.....	103
المطلب الثاني: لباس الكتابة.....	106
المطلب الثالث: أنظمة لباس الكتابة.....	108
المبحث الثاني: التحليل البلاغي للباس المودا.....	113-121
المطلب الأول: تعريف العلامة اللباسية.....	113

